

التقوى في القرآن الكريم "تفسير موضوعي"

إعداد
نبيل محمد أحمد زهور

إشراف
الدكتور محسن سميح الخالدي

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات
العليا في جامعة النجاح الوطنية، في نابلس، فلسطين.

2008م

التقوى في القرآن الكريم

"تفسير موضوعي"

إعداد

نبيل محمد أحمد زهور

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 7 / 8 / 2008م وأجيزت.

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة

نبيل محمد أحمد زهور

- الدكتور محسن سميح الخالدي / مشرفاً رئيساً

[Signature]

- الدكتور اسماعيل نواهضة / متحناً خارجياً

[Signature]

- الدكتور خالد علوان / متحناً داخلياً

الإهداء

إلى طب القلوب ودوائها ... وعافية الأبدان
وشفاؤها ... ونور العيون وبهاؤها
إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-
إلى أصحابه الغر الميامين المحجلين الذين
كانوا من أئمة المتقين
إلى قوافل الشهداء وإلى أهل غزة
المحاصرين الصابرين
إلى والدي العزيزين اللذين ربياني صغيراً
وتعهداي كبيراً
أسأل الله لهما الرحمة والغفران
إلى زوجتي الوفية التي صبرت وضحت فكانت
نعم المؤازر والمعين
إلى فلذات كبدي "أحمد ... محمد ...
عرين ... عهد ... رغد"
إلى أشقائي وشقيقاتي الأفاضل
إلى أبناء الصحوة الإسلامية المباركة
العاملين في حقل الدعوة
إلى أساتذتي الذين نهلت من كنوزهم
إليهم جميعاً أهدي هذا البحث
والله الموفق

الباحث

شكر وتقدير

الحمد لله، حمد المتقين الصابرين، الحمد لله حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذه الرسالة وبعد،،،

فلا يسعني بعد الانتهاء من كتابة هذه الرسالة إلا أن أتقدم بوافر الشكر، وعظيم الامتنان إلى أستاذي، وأخي الفاضل فضيلة الدكتور محسن سميح الخالدي -حفظه الله-، حيث تفضل بقبول الإشراف على هذه الرسالة، وأزجي له خالص التحية على عنايته، ورعايته لي، ولطفه معي، فإنه لم يبخل علي بنصح، أو إرشاد، وكان لتوصياته وتوجيهاته الدور البارز في إخراج هذا البحث.

كما يسرني أن أشكر عضوي لجنة المناقشة اللذين تفضلا بمناقشة هذه الرسالة وهم الدكتور اسماعيل نواهضة، والدكتور خالد علوان، كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم في إخراج هذا البحث.

الباحث

إقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

التقوى في القرآن الكريم

"تفسير موضوعي"

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name:

اسم الطالب: نبيل محمد أحمد زهور

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ:

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ب	قرار لجنة المناقشة
ت	الإهداء
ث	شكر وتقدير
ج	إقرار
ح	فهرس المحتويات
ذ	الملخص
1	المقدمة
9	الفصل الأول: تعريف التقوى وأهميتها
10	المبحث الأول: تعريف التقوى في اللغة والاصطلاح
10	المطلب الأول: التقوى في اللغة
11	المطلب الثاني: التقوى في الاصطلاح
13	المبحث الثاني: معنى التقوى في المصطلح القرآني وحقيقتها
13	المطلب الأول: التقوى في المصطلح القرآني
14	المطلب الثاني: حقيقة التقوى
17	المبحث الثالث: مكانة التقوى وأهميتها في دين الله
17	المطلب الأول: التقوى وصية جميع الرسل الكرام -عليهم السلام- لأقوامهم
19	المطلب الثاني: التقوى أجمل لباس يتزين به العبد
21	المطلب الثالث: التقوى خير زاد يتزود منه العبد
23	المبحث الرابع: التقوى وما يقارب معناها من ألفاظ القرآن الكريم
23	المطلب الأول الخوف
25	المطلب الثاني: الخشية
26	المطلب الثالث: الحذر
27	المطلب الرابع: الوجل
27	المطلب الخامس: الرهبة
28	المطلب السادس: الإشفاق
28	المطلب السابع: الهيبة
29	الفصل الثاني: فضائل التقوى والأتقياء

الصفحة	الموضوع
31	المبحث الأول: التقوى وصية الله لعباده من الأولين والآخرين
34	المبحث الثاني: تقوى الله سبب في الرزق وتكفير السيئات
40	المبحث الثالث: التقوى تفرج الهموم والكروب
46	المبحث الرابع: النصر والتمكين للمتقين
50	المبحث الخامس: المتقون هم أولياء الله
61	المبحث السادس: التقوى ميزان التفاضل
65	المبحث السابع: التقوى سبب العلم
68	المبحث الثامن: التقوى ثمرة التوحيد
76	الفصل الثالث: صفات المتقين في القرآن الكريم
77	المبحث الأول: ما يقترن بالتقوى من صفات
77	المطلب الأول: الصبر
81	المطلب الثاني: الشكر
83	المطلب الثالث: التعاون على البر
87	المطلب الرابع: الطاعة
90	المطلب الخامس: الإحسان
98	المبحث الثاني: صفات المتقين
98	المطلب الأول: الإيمان بالغيب
99	المطلب الثاني: إقامة الصلاة
102	المطلب الثالث: الإنفاق في سبيل الله
105	المطلب الرابع: الاستغفار شعار المتقين
107	المطلب الخامس: كظم الغيظ والعفو
110	المطلب السادس: الخشية والإشفاق
112	المطلب السابع: قيام الليل
115	المطلب الثامن: الصدق
119	المطلب التاسع: التوبة وعدم الإصرار على المعصية
123	المطلب العاشر: القنوت
124	الفصل الرابع: طرق الوصول إلى التقوى
125	المبحث الأول: تدبر القرآن
133	المبحث الثاني: مجاهدة النفس

الصفحة	الموضوع
144	المبحث الثالث: العبادة
144	المطلب الأول: تعريف العبادة وبيان أهميتها
149	المطلب الثاني: التقوى في الصلاة
152	المطلب الثالث: التقوى في الصيام
157	المطلب الرابع: التقوى في الزكاة
162	المطلب الخامس: التقوى في الحج
167	المبحث الرابع: معرفة الله -تعالى-
169	المبحث الخامس: مراقبة الله -تعالى-
174	الفصل الخامس: عاقبة التقوى وآثارها
175	المبحث الأول: عاقبة التقوى
181	المبحث الثاني: الآثار المترتبة على التقوى في الدنيا
204	المبحث الثالث: الآثار المترتبة على التقوى في الآخرة
218	الخاتمة
220	فهرس الآيات القرآنية
231	فهرس الأحاديث الشريفة
242	فهرس الأعلام
243	المراجع والمصادر
b	الملخص باللغة الإنجليزية

التقوى في القرآن الكريم

إعداد

نبيل محمد أحمد زهور

إشراف

الدكتور محسن الخالدي

الملخص

لقد جعلت البحث في مقدمة وخمسة فصول، وقفت في الفصل الأول على تعريف التقوى وأهميتها، فبينت معنى التقوى في اللغة والاصطلاح، وبينت طبيعة العلاقة بينهما، ثم وضحت حقيقة التقوى ومكانتها في دين الله -تعالى-، ثم تحدثت في المبحث الأخير عن الألفاظ المرادفة للتقوى، وما يقارب معناها.

وفي الفصل الثاني: تحدثت عن فضائل التقوى والأتقياء، وبينت أن التقوى سبب في الرزق وتكفير السيئات، وهي سبب من أسباب النصر والتمكين، وتعرضت لمقياس التفاضل بين الناس وأنه لا يكون إلا بالتقوى، فهي سبب النجاة، وسبب العلم، وصفة من صفات أولياء الله -تعالى-، ثم ختمت الفصل ببيان أن التقوى ثمر التوحيد.

وفي الفصل الثالث: تناولت صفات المتقين كما عرضها القرآن الكريم، فوضحت معناها، وأوردت أقوال المفسرين في ذلك، فبدأت الحديث عن الصبر لكونه أعظم صفة من صفات المتقين، ثم الشكر والتعاون على البر، وبينت صفة الطاعة، ثم وضحت صفة الإحسان التي لا يصل إليها إلا المتقون، وكذلك الإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله، ثم تناولت الاستغفار كونه شعار المتقين، ثم ختمت الفصل بصفة القنوت.

وفي الفصل الرابع: عرضت طرق الوصول إلى التقوى وهي: تدبر القرآن، ومجاهدة النفس، والعبادات، وبينت كيف تكون التقوى في الصلاة والصيام والزكاة والحج؟ ثم تحدثت عن معرفة الله ومراقبته لكونهما إحدى الطرق التي تحقق التقوى.

وختمت الفصل الخامس: بالحديث عن عاقبة التقوى، ووقفت على الآيات الكريمة التي تبين وتؤكد أن العاقبة الحسنة للمتقين، ثم تناولت الآثار المترتبة على التقوى في الدنيا، لكونها الثمرات العظيمة التي تظهر على الأفراد، ومن ثم على الجماعة المسلمة التي تسعى لتحكيم شرع الله والتمكين لدينه، ثم ختمت الفصل بالحديث عن الآثار المترتبة على التقوى في الآخرة، وبينت أن الكافر ليس له في الآخرة من نصيب، وأما المنقون فقد جعل الله لهم نصيباً في الدنيا والآخرة، وفصلت فيها بحسب ما يقتضيه المقام، آملاً أن أكون قد وفقت في ذلك.

والله تعالى ولي التوفيق

المقدمة

الحمد لله، حمد الشاكرين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، الحمد لله، ناصر المؤمنين، مذل الكافرين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد قائد الغر الميامين المحجلين، خير من أمر بالتقوى، وخير من عمل بها، أحمك ربي حمداً يليق بجلال وجهك، وعظيم سلطانتك، وأسألك ربي من عطائك العظيم، وخيرك العميم، وجودك الكريم، وأسألك أن تنير عقلي وفكري، وأن تزيل أدران قلبي، ونفسي، أشكرك، ولا أكفرك، وأنتي عليك الخير كله، رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت تجعل الحزن، والصعب إذا شئت سهلاً، أنت المقدم، وأنت المؤخر، إنك على كل شيء قدير.

اللهم أفض علينا من نساءم رحمتك، ولطائف حكمتك وفضلك، وعلما اللهم ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا من فضلك علماً، إنك أنت العليم الحكيم.

أهمية الموضوع:

تولدت فكرة الكتابة في موضوع التقوى -في ذهني- من الواقع الذي يعيشه الناس في هذه الأزمنة، التي استولت فيها الغفلة على القلوب، وضعفت فيها العين المتطلعة إلى الآخرة، فلا تكاد ترى، وظن الناس أن السعيد من فاز في الدنيا بشهواتها، ومن وصل إلى جاهها وسلطانها، والشقي من حرم هذا الخير الكثير. وغاب عن أكثر الخلق أن أهل التقوى هم أهل السعادة الحقيقية، والشرف الرفيع في الدنيا مع ما ينتظرهم من سعادة الآخرة، إن في معنى التقوى سرّاً عجبياً فلا يمكن فهم القرآن فهماً حقاً، إلا بعد الاحتماء بها، ولا يمكن الوصول إليها إلا بالسير في فلك القرآن، الذي يفتح -قبل كل شيء- بابه للمتقين.

والتقوى: أفضل عمل عند الله -تعالى- والمتقون هم أكرم عباده وأنزههم، والإنسان بفضل التقوى ينجو من السقوط إلى أسفل سافلين، ويغدو سائراً إلى أعلى عليين، لهذا كله أخذت هذا

الموضوع -رغم قلة حيلتي، وقصر باعي، وقلة زادي- آملاً أن يعينني المولى -جل وعلا- على الوصول إلى الطرق التي تحقق التقوى، وأن أعطي هذا الموضوع حقه وأكشف غوامضه وأسراره، آملاً من الله أن لا يخيبني ولن يخذلني، فإن أصبت فمنه وحده سبحانه، وإن أخطأت فمني ومن الشيطان، سائلاً المولى سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة، اللهم آمين.

وأما أسباب اختيار هذا الموضوع:

لم يكن اختياري لهذا الموضوع عشوائياً، أو جاء بمحض الصدفة، أو وليد اللحظة، وإنما بدأت فكرة هذا الموضوع في ذهني منذ مدة طويلة، وذلك حين بدأ اهتمامي ينصب على موضوع التقوى في القرآن الكريم، وأصبح هذا الموضوع يشغل حيزاً واسعاً من تفكيري، وبدأت منذ ذلك الحين بالقراءة، وجمع المعلومات المتعلقة به.

وعندما توجهت بنظري إلى القرآن الكريم لمعرفة مدى تطرقه لهذا الموضوع، وجدته زاخراً بالآيات المبينة لكثير من جوانبه، الموضحة لكثير من قضايا الأمر الذي حثني على النظر في كتب التفسير بشكل خاص حيث تناولت هذا الموضوع بمنهج التفسير الموضوعي، ويمكن إجمال الأسباب التي دفعتني للكتابة في هذا الموضوع - إضافة إلى ما سبق ما يلي:

1. الدراسات الموضوعية وأثرها في علاج كثير من مشكلات الأمة الإسلامية حيث يعد هذا الموضوع أساساً قوياً ومتيناً؛ يساهم في بناء مجتمع إسلامي قائم على تقوى الله - تعالى-.

2. كون التقوى ميزان التفاضل بين الناس، ومن أهم ركائز الدعوة في الإسلام.

3. إن الإحباط الذي تعيشه الأمة الإسلامية اليوم لهو من أهم ما يدعو للكتابة في هذا الموضوع.

4. إن أي أمة بدون تقوى لا قيمة لها بين الأمم، مهما حققت من أهداف دنيوية زائلة.

5. إن الأمة الإسلامية اليوم في أمس الحاجة إلى هذا النوع من أنواع العتاد المعنوي، والإيماني أكثر من حاجتها للطعام والشراب.

6. إن للتقوى أثراً كبيراً في توحيد الأمة وتحسينها من الاستجابة لعوامل الفرقة، فحين تغيب التقوى تسيطر الأهواء، والمصالح الشخصية، والنعرات الجاهلية التي تؤدي إلى فرقة الأمة.

مشكلة البحث:

وردت كلمة التقوى في سياقات قرآنية متعددة، بمعان متعددة، ومقترنة بأمر كثيرة، هل للتقوى معنى واحداً أم عدة معاني؟ ما علاقة هذه المعاني ببعضها؟ ما علاقة التقوى بحياة الفرد والجماعة؟ ما السر في كون القرآن هدى للمنتقين؟ فأردت أن أبين هذه المعاني من خلال تلك السياقات، وعلاقة التقوى بما اقترن بها من معان، وآثار كل ذلك على الواقع الإنساني النفسي والفكري والسلوكي، من خلال الآيات القرآنية هذا من الناحية الأولى، وأما من ناحية أخرى، فلم أجد أفكار هذا الموضوع قد اكتملت وجمع شتاتها من جميع الجوانب في كتاب أو كتب، ومجمل ما كتب عنها ورد في كتب التفسير، والفكر الإسلامي في إشارات وتلميحات غير معمقة، فحاولت أن أجمع شتاتها، وأولف بين مفرداتها وفق المنظور القرآني، فاستعنت بالله، وتوكلت عليه، وقلت بتجميع هذه الأفكار في بحثي هذا، آملاً أن أكون قد وفق في عملي.

الجهود والدراسات السابقة:

لا بد من الإشارة إلى الجهود والدراسات السابقة التي بذلت في موضوع التقوى، ومهدت الطريق، وكشفت أبعاداً مهمة حول هذا الموضوع ومن أبرزها:

1. كتب التفسير، مثل: في ظلال القرآن، تفسير المنار، وغيرها.

2. عودة سليمان في كتابه "زاد المنتقين".

3. سعيد حوى في كتابه "جند الله ثقافة وأخلاقاً".

4. فتحي قوره في كتابه "التقوى في القرآن". حيث تحدث عن التقوى والشباب والتقوى رسالة الأنبياء، ثم تحدث عن مجالات التقوى في العبادات والمعاملات، ثم ختم ببيان جزاء المتقين.

5. أديب الصالح في كتابه "التقوى في هدي الكتاب والسنة وسير الصالحين".

6. عبد الله بن ناصر صالح النويصر، بحث بعنوان "التقوى في القرآن الكريم"، دراسة موضوعية، والتي نوقشت في عام 1408هـ-1988م في جامعة الإمام محمد بن سعود حيث تناول الطالب الآيات التي وردت في موضوع التقوى بشكل مفصل، ومطول ومن الموضوعات التي تناولها تفسير التقوى من خلال الآيات التي وردت بها، وتعرض للتقوى والسلوك الاجتماعي، ثم بين بعض الفروق اللغوية الدقيقة بين التقوى، وما يقاربها من ألفاظ مثل الرغبة، والإحسان، ثم تحدث عما جاء من التقوى على لسان الأنبياء -عليهم السلام- مثل إبراهيم، وعيسى، ولوط، وشعيب... وغير ذلك، حيث تضمنت خطتي موضوعات بل مباحث كثيرة لم تتضمنها رسالته مثل طرق الوصول إلى التقوى، فضائل التقوى، عاقبة المتقين وصفاتهم... وغيرها.

منهجية البحث:

لقد اتبع الباحث منهجياً استقرائياً وصفيّاً موضوعياً، لملائمته لهذا النوع من التفسير، وذلك على النحو التالي:

1. جمع الآيات القرآنية ذات العلاقة بالتقوى.
2. تصنيفها في موضوعات حسب خطة البحث.
3. تفسير الآيات القرآنية تفسيراً موضوعياً يغيّر طريقة التفسير التحليلي الذي يتعرض لجوانب كثيرة منها نحو، وصرف، وبلاغة، وقرآيات، وغير ذلك.
4. ربط كلمة التقوى، ومشتقاتها بالسياق الذي وردت فيه.

5. ربط الآيات الواردة بالتقوى بالواقع الإنساني النفسي، والفكري، والسلوكي.

6. الرجوع إلى المصادر، والمراجع؛ لجمع ما يلزم من مادة علمية، وردت في كتب التفسير، والمؤلفات المختلفة.

7. اتباع الأسلوب العلمي في كتابة البحث بما يتفق مع المنهجية المتبعة في كتابة الرسائل الجامعية بحيث تشمل:

- التقسيم إلى فصول، ومباحث، ومطالب.
- توثيق المعلومات بشكل دقيق، وعزو الأقوال إلى أصحابها.
- توثيق الآيات القرآنية، وتخريج الأحاديث الشريفة.
- الترجمة للأعلام.
- وضع علامات الترقيم، والتشكيل.
- إعداد فهرس تشمل المحتويات، والآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والأعلام.

طريقة التوثيق:

اعتمدت طريقاً للتوثيق على النحو التالي:

اسم الشهرة، اسم المؤلف: اسم الكتاب، عدد المجلدات، الطبعة، مكان النشر، سنة النشر، الجزء والصفحة، وعندما يتكرر المرجع اكتفي باسم الشهرة والمرجع.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول على النحو التالي:

المقدمة

الفصل الأول: تعريف التقوى وأهميتها

المبحث الأول: تعريف التقوى في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: التقوى في اللغة

المطلب الثاني: التقوى في الاصطلاح

المبحث الثاني: معنى التقوى في المصطلح القرآني وحقيقتها

المطلب الأول: التقوى في المصطلح القرآني

المطلب الثاني: حقيقة التقوى

المبحث الثالث: مكانة التقوى وأهميتها في دين الله

المطلب الثاني: التقوى أجمل لباس يتزين به العبد

المطلب الأول: التقوى وصية جميع الرسل الكرام -عليهم السلام- لأقوامهم

المطلب الثالث: التقوى خير زاد يتزود منه العبد

المبحث الخامس: التقوى وما يقارب معناها من ألفاظ القرآن الكريم

المطلب الأول الخوف

المطلب الثاني: الخشية

المطلب الثالث: الحذر

المطلب الرابع: الوجل

المطلب الخامس: الرهبة

المطلب السادس: الإشفاق

المطلب السابع: الهيبة

الفصل الثاني: فضائل التقوى والأتقياء

المبحث الأول: التقوى وصية الله لعباده من الأولين والآخرين

المبحث الثاني: تقوى الله سبب في الرزق وتكفير السيئات

المبحث الثالث: التقوى تفرج الهموم والكروب:

المبحث الرابع: النصر والتمكين للمتقين

المبحث الخامس: المتقون هم أولياء الله

المبحث السادس: التقوى ميزان التفاضل

المبحث السابع: التقوى سبب العلم

المبحث الثامن: التقوى ثمرة التوحيد

الفصل الثالث: صفات المتقين في القرآن الكريم

المبحث الأول: ما يقترن بالتقوى من صفات

المطلب الأول: الصبر

المطلب الثاني: الشكر

المطلب الثالث: التعاون على البر

المطلب الرابع: الطاعة

المطلب الخامس: الإحسان

المبحث الثاني: صفات المتقين

المطلب الأول: الإيمان بالغيب

المطلب الثاني: إقامة الصلاة

المطلب الثالث: الإنفاق في سبيل الله

المطلب الرابع: الاستغفار شعار المتقين

المطلب الخامس: الكاظمون الغيظ والعافون عن الناس

المطلب السادس: الخشية والإنفاق

المطلب السابع: قيام الليل

المطلب الثامن: الصدق

المطلب التاسع: التوبة وعدم الإصرار على المعصية

المطلب العاشر: القنوت

الفصل الرابع: طرق الوصول إلى التقوى

المبحث الأول: تدبر القرآن

المبحث الثاني: مجاهدة النفس

المبحث الثالث: العبادة

المطلب الأول: تعريف العبادة وبيان أهميتها

المطلب الثاني: التقوى في الصلاة

المطلب الثالث: التقوى في الصيام

المطلب الرابع: التقوى في الزكاة

المطلب الخامس: التقوى في الحج

المبحث الرابع: معرفة الله -تعالى-

المبحث الخامس: مراقبة الله -تعالى-

الفصل الخامس: عاقبة التقوى وآثارها

المبحث الأول: عاقبة التقوى

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على التقوى في الدنيا

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على التقوى في الآخرة

أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يلهمني السداد والتوفيق، وأن يتقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، فإن زل قلبي فأسأله سبحانه العفو المغفرة.

الفصل الأول

تعريف التقوى وأهميتها

المبحث الأول: تعريف التقوى في اللغة والاصطلاح وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التقوى في اللغة

المطلب الثاني: التقوى في الاصطلاح

المبحث الثاني: معنى التقوى في المصطلح القرآني وحقيقتها وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معنى التقوى في المصطلح القرآني

المطلب الثاني: حقيقة التقوى

المبحث الثالث: مكانة التقوى وأهميتها في دين الله، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التقوى وصية جميع الرسل الكرام عليهم السلام لأقوامهم

المطلب الثاني: التقوى أجمل لباس يتزين به العبد

المطلب الثالث: التقوى خير زاد يتزود منه العبد

المبحث الرابع: التقوى وما يقارب معناها من ألفاظ القرآن الكريم، ويشتمل على سبعة مطالب:

المطلب الأول: الخوف

المطلب الثاني: الخشية

المطلب الثالث: الحذر

المطلب الرابع: الوجل

المطلب الخامس: الإشفاق

المطلب السادس: الرهبة

المطلب السابع: الهيبة

المبحث الأول

تعريف التقوى في اللغة والاصطلاح

المطلب الأول: التقوى في اللغة

التقوى من (وقى)، والواو، والقاف، والياء: كلمة واحدة تدل على دفع الشيء عن شيء بغيره، والوقاية: ما يقي الشيء، وائق الله، توفة: أي اجعل بينك وبينه كالوقاية⁽¹⁾.

وقال الأصفهاني: "وقى: الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، يقال: وقيتُ الشيء أقيه وقايةً وقاء، قال تعالى: "فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَضْرَةً وَسُرُورًا"⁽²⁾.

والتقوى جعل النفس في وقايةٍ مما يخاف، هذا تحقيقه، ثم يسمى الخوف تارةً تقوى والتقوى خوفاً حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضى بمقتضاه، وصار التقوى في تعارف الشرع: حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور"⁽³⁾.

والتقوى: "الخشية والخوف، تقوى الله: خشية، وامتنال أو امره، واجتتاب نواهيه، وأصله وقيا، قلبوه للفرق بين الاسم والصفة... والتقيّه عند بعض الفرق الإسلامية، إخفاء الحق، ومصانعة الناس في غير دولتهم تحرزاً من التلف"⁽⁴⁾.

"المتقي: من يقي نفسه عن تعاطي ما يعاقب عليه من فعل أو ترك، وأصل الالتقاء: الحجز"⁽⁵⁾.

(1) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ): معجم مقاييس اللغة، دار الجليل، بيروت، لا يوجد طبعه، (131/6) بتصرف. سأسير إليه: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة.

(2) سورة الإنسان: آية 11.

(3) الأصفهاني: الحسين بن محمد بن المفضل، وقيل الحسين بن مفضل بن محمد (ت502هـ): مفردات ألفاظ القرآن، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط2، 1418-1997. مادة وقى، ص881. بتصرف. سأسير إليه الأصفهاني: المفردات.

(4) انظر: مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، د. ن، ط2، 1972. (1052/2). سأسير إليه: مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط.

(5) ابن الهائم، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد، (ت815هـ): التبيان في تفسير غريب القرآن، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1419هـ-2003م، (ص:47).

جاء في المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم، "التقوى: الاتقاء من عذاب الله، واق: حامٍ وحافظ. متقيًا، يلزم الطاعة ويتجنب المعصية، المتقون: أصحاب التقوى بطاعة الله والبعد عن معصيته. الأتقى: الأكثر تقوى"⁽¹⁾.

قال ابن منظور: "الأصل، وقويُّ، فأبدلوا من الواو الأولى تاء... وأبدلوا من الواو الثانية ياء، وأدغموها في الياء التي بعدها، وكسروا القاف لتصبح الياء"⁽²⁾.

المطلب الثاني: التقوى في الاصطلاح:

التقوى في الاصطلاح هي: "الاستقامة على طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، بإخلاص، ومحبة، وصدق، وخشية الله بالغيب وفق ما بين من أؤتمن على بيان القرآن، رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما تعني الحرص على كل ما فيه قربة إلى الله -تعالى- تصل بالمؤمن إلى حسن العاقبة يوم الدين"⁽³⁾.

وقد عرفها الفاريايبي⁽⁴⁾: "انتقاء سخط الله وعقوبته، بإتيان أوامره والكف عن زواجره".

وقيل: الاقتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم- قولاً وفعلاً.

وقيل: ترك ما دون الله.

وقال الإمام أحمد -رحمه الله-: "التقوى: هي ترك ما تهوى لما تخشى".

(1) هارون، نبيل عبد السلام: المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم، دار النشر للجامعات، ط1، 1417هـ - 1997م، (ص:222).

(2) انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (711هـ): لسان العرب، مادة وقى، دار صادر، بيروت، ط1، 1990، (403-402/15)، بتصريف. سأنير إليه: ابن منظور: لسان العرب.

(3) الصالح، محمد أديب: التقوى في هدي الكتاب والسنة وسير الصالحين، دار القلم، 1421-2000، ط1، (15/1). سأنير إليه: الصالح: التقوى في هدي الكتاب.

(4) الفاريايبي، محمود بن أحمد (ت 607هـ) له مجموعة كبيرة سماها خالصة الحقائق في التصوف والأخلاق. انظر: الزركلي، الأعلام، (161/7).

وقيل هي: "علم القلب بقرب الرب"⁽¹⁾.

وقد عرفها المحاسبي: "إتقاء الشرك فما دونه، من كل ذنب نهى الله عنه، أو تضييع واجب مما افترضه الله"⁽²⁾، فهي شاملة لأصول الدين وفروعه.

يقول الجرجاني في كتابه التعريفات: "التقوى عند أهل الحقيقة: هو الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك، والتقوى في الطاعة: يراد بها الإخلاص، وفي المعصية: يراد بها الترك والحذر، وقيل: أن يتقي العبد ما سوى الله تعالى، وقيل: المحافظة آداب الشريعة، وقيل: مجانبة كل ما يبعدك عن الله -تعالى-، وقيل: ترك حظوظ النفس، ومباينة النهي، وقيل: أن لا ترى في نفسك شيئاً سوى الله، وقيل: ألا ترى نفسك خيراً من أحد، وقيل: ترك ما دون الله، والمتبع عندهم، هو الذي اتقى متابعة الهوى، وقيل: الإقتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم- قولاً وفعلاً"⁽³⁾.

(1) الفاريابي: تهذيب خالصة الحقائق ونصاب غاية الدقائق، دار ابن حزم، ط1، 1421-2000، (522/1).

(2) المحاسبي، أبو عبد الله الحارث بن أسد (ت243هـ): الرعاية لحقوق الله، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ص34. سأشير إليه: المحاسبي: الرعاية لحقوق الله.

(3) الجرجاني: علي بن محمد (ت816هـ): التعريفات، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، (1424-2003)، ص52.

المبحث الثاني

معنى التقوى في المصطلح القرآني وحقيقتها

المطلب الأول: التقوى في المصطلح القرآني

تطلق التقوى في القرآن الكريم على خمسة أوجه⁽¹⁾:

الوجه الأول: الخشية والهيبة، قال تعالى: "وَإِنِّي فَاتَّقُونَ"⁽²⁾. وقال تعالى: "وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ"⁽³⁾.

الوجه الثاني: الطاعة والعبادة، قال تعالى: "يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ"⁽⁴⁾. وقال عبد الله بن مسعود: "هو أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر"⁽⁵⁾.

الوجه الثالث: تنزيه القلب عن الذنوب، وهذه هي الحقيقة في التقوى، ألا ترى في قوله تعالى: "وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ"⁽⁶⁾. فالملاحظ هنا أن الله -تعالى- ذكر الطاعة والخشية ثم ذكر التقوى، فعلم بهذا أن حقيقة التقوى بمعنى غير الطاعة، والخشية، وهي تنزيه القلب عن ذنب لم يسبق منك مثله⁽⁷⁾.

(1) انظر: الدامغاني، أبو عبد الله الحسين بن محمد (ت478هـ): الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، تحقيق محمد حسن أبو العزم الزفتيني، مطابع الاهرام، القاهرة، د.ط، 1416هـ - 1996م، (94/1-95). وانظر: الدراويش، حسين أحمد: معجم الاكليل المفهرس للوجوه والنظائر في محكم التنزيل، جامعة القدس، أبو ديس، فلسطين، ط1، 1995، (401-402).

(2) سورة البقرة: آية 41.

(3) سورة البقرة: آية 281.

(4) سورة آل عمران: آية 102.

(5) النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت405هـ): المستدرک على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ - 1990م، (323/2). قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. قال الذهبي على شرط البخاري ومسلم.

(6) سورة النور: آية 52.

(7) انظر: الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ): بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، (257/5-258). انظر: أبو طاهر، اسماعيل بن موسى، الجبائطي النفوسي، تحقيق سيد كسروي حسن، خلاف محمود عبد السمیع، قناطر الخيرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ - 2000م، (10/3).

الوجه الرابع: التوحيد، الشهادة، قال -تعالى- "وَاتَّقُوا اللَّهَ"⁽¹⁾. وقال تعالى: "أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ قُلُوبُهُمْ لِلتَّقْوَى"⁽²⁾ يعني التوحيد.

الوجه الخامس: الإخلاص، قال تعالى: "فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ"⁽³⁾. يعني من إخلاص القلوب.

المطلب الثاني: حقيقة التقوى

إن التقوى وصية عظيمة جامعة لحقوق الله، وحقوق عباده، فإن حق الله على عباده أن يتقوه حق تقاته. "وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه، ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه: من غضبه وسخطه وعقابه، وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته، واجتناب معاصيه، وتارة تضاف التقوى إلى اسم الله عز وجل كقوله تعالى: "وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ"⁽⁴⁾، وقوله تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ"⁽⁵⁾.

"فإذا أضيفت التقوى إليه سبحانه و-تعالى- -فالمعنى: اتقوا سخطه وغضبه وهو أعظم ما يتقى، وعن ذلك ينشأ عقابه الدنيوي والأخروي، قال تعالى: "وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ"⁽⁶⁾. وقال تعالى: "هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ"⁽⁷⁾، فهو -سبحانه- أهل أن يخشى ويهاب ويجل ويعظم في صدور عباده، حتى يعبدوه ويطيعوه، لما يستحقه من الإجلال والإكرام، وصفات الكبرياء والعظمة وقوة البطش، وشدة البأس"⁽⁸⁾.

(1) سورة النساء: آية 1.

(2) سورة الحجرات: آية 3.

(3) سورة الحج: آية 32.

(4) سورة المائدة: آية 96.

(5) سورة الحشر: آية 18.

(6) سورة آل عمران: آية 28.

(7) سورة المدثر: آية 56.

(8) العفيفي: طه عبد الله: من وصايا الرسول -عليه الصلاة والسلام-، دار التراث العربي، د.ط، د.ت، (99/2).

"وقد تضاف التقوى إلى عقاب الله، وإلى مكان عقابه كالنار، وإلى زمانه، كيوم القيامة، قال تعالى: " وَأَتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ " (1). وقال تعالى: " وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا " (2)(3).

ويدخل في التقوى الكاملة: فعل الواجبات، وترك المحرمات، والشبهات، وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المنذوبات، وترك المكروهات، وهي أعلى درجات التقوى، قال تعالى: " لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآلَمَلَيْكَةِ وَآلْكَتَبِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۗ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ " (4). واعلم أن التقوى ثلاث مراتب (5):

الأول: التوقي من العذاب المخلد صاحبه، وذلك بالتبري من الكفر، قال تعالى: " وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ " (6)، فإن المراد بها لا إله إلا الله محمد رسول الله.

الثانية: التجنب عن كل ما فيه لوم، حتى الصغائر عند قوم، وهذا المعنى هو المشار إليه في قوله تعالى: " وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ " (7).

الثالثة: أن ينتزه العبد عن كل ما يشغل سره عن الحق، وهو المعنى المراد بقوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ " (8).

(1) سورة آل عمران: آية 131.

(2) سورة البقرة: آية 48.

(3) ابن رجب الحنبلي، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد (ت795هـ): جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، دار المعرفة، بيروت، د. ط، ص148.

(4) سورة البقرة: آية 177.

(5) العفيفي: من وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم، (2/106).

(6) سورة الفتح: آية 26.

(7) سورة المائدة: آية 65.

(8) سورة آل عمران: آية 102.

قال الأوسي - رحمه الله -: "حق تقاته من باب إضافة الصفة إلى موصوفها، إذ الأصل اتقوا الله التقاة الحق أي: الثابتة... والتقاة الحق التقوى التي تحقق له -تعالى- وهي ألا يترك العبد شيئاً مما يلزمه فعله، ولا يفعل شيئاً مما يلزمه تركه، ويبدل في ذلك جهده ومستطاعه"⁽¹⁾.

وأصل التقوى: أن يعمل العبد ما يتقي ثم يتقي.

وينبغي أن أشير أن كثيراً من الناس يظنون أن التقوى معناها مقصور على الانكسار والذل والمسكنة والانطواء، وهذا وهم لا نصيب له من الصحة، فالتقوى حصانة وصيانة، والتقوى رعاية ووقاية، والتقوى قوة وفتوة، والتقوى بر وخير، والتقوى إحسان واتقان، والتقوى وفاء وصبر.

(1) زاده، خير الدين أبو البركات نعمان بن محمود أفندي آلوسي، (ت1317): غالية المواعظ ومصباح المتعظ وقبس الواعظ، دار المعرفة، د.ط، د.ت، (84/2).

المبحث الثالث

مكانة التقوى وأهميتها في دين الله

إن تقوى الله طريق الوصول إلى الله، وهي سبب محبته ورضوانه، ولهذا فقد أكثر القرآن من ذكرها، ومضى عليها في آيات كثيرة، فالتقوى هي التي تحبب الوازع الديني في النفس، فلا يحتاج صاحبها بعد ذلك إلى رقيب أو حسيب، فهي الحاجز للمسلم عن كل شر وسوء، والدافعة إلى كل خير.

إن المتطلع لأحوال الناس في مثل هذه الأزمنة التي استولت عليها الغفلة على القلوب، وضعت فيها العين المتطلعة إلى الآخرة فلا تكاد ترى، وظن الناس أن السعيد من فاز في الدنيا بشهواتها، ومن وصل إلى جاهها وسلطانها، والشقي من حُرِمَ هذا الخير العظيم، وهذا من الغفلة الشنيعة، والجهل البليغ بالسعادة الحقيقية، ولو ذاقت قلوب أهل الدنيا شيئاً من مواجيد أهل التقوى وما يجدونه من العز والشرف في الدنيا مع ما ينتظرهم من سعادة الآخرة، ونصيبيها لأكلوا أصابعهم ندماً وحسرة على ما فاتهم من الخير ويفوتهم إذا استمرت غفلتهم.

إن أهل التقوى: هم أهل السعادة الحقيقية والشرف العظيم، قال تعالى: "وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ"⁽¹⁾، وقد جعلت أهمية التقوى في ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول: التقوى وصية جميع الرسل الكرام -عليهم السلام- لأقوامهم

الهدف الأساسي الذي جاء الرسل من أجله، هو التوحيد وتصحيح الاعتقاد عند الناس، وتعبيد الناس لربهم، فالتقوى كما بين القرآن الكريم، وصية الله للأولين والآخرين، وأوصى بها الأنبياء أقوامهم، وبها خير الدنيا وخير الآخرة، فهي سبب تيسير الأمور، وتفريج الكرب، وجلب الأرزاق، ولأهلها أعد الله الجنة، وسماها دار المتقين، وهي الكلمة الأخيرة من السماء لأهل الأرض.

(1) سورة الزخرف: آية 35.

إن الهدف العام الذي يعيش من أجله الرسل، وكانت من أجل التشريعات والأوامر والوصايا هو التقوى، التي إن وجدت في قلب بشر لم يحتج بعدها إلى رقيب أو حسيب، فنقواه حاجزة له عن كل شر، دافعة لكل خير، ولذلك نجد أن أوامر الرسل كلهم منصبة عليها، وعلى طاعتهم، إذ لا تعرف التقوى بدونها، قال تعالى: «كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ»⁽¹⁾، قال تعالى: «وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّي غَيْرُهُ ﴿١٢١﴾ أَفَلَا تَتَّقُونَ»⁽²⁾.

قال ابن عاشور رحمه الله في تفسير هذه الآيات الكريمة: "وقوله (ألا تتقون) يجوز أن يكون لفظ (ألا) مركباً من حرفين، همزة استفهام دخلت على (لا) النافية، فهو استفهام على انتفاء تقواهم مستعمل في الإنكار، وهو يقتضي امتناعهم من الامتنال لدعوته، ويجوز أن يكون (ألا) حرفاً واحداً وهو حرف التحضيض... والمراد بالتقوى: خشية الله من عقابه إياهم؛ على أن جعلوا معه شركاء"⁽³⁾.

وقال الإمام القرطبي - رحمه الله -: "ألا تتقون الله في عبادة الأصنام"⁽⁴⁾، ومن الملاحظ أن الأمر بتقوى الله - تعالى - تقدم على طاعته، وذلك لأن تقوى الله - علة - لطاعته، فقدم العلة على المعلول⁽⁵⁾.

وهذا نبي الله صالح - عليه السلام - يذكر قومه بتقوى الله، قال تعالى: «كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ»⁽⁶⁾.

(1) سورة الشعراء: آية 105-106.

(2) سورة الأعراف: آية 65.

(3) ابن عاشور، محمد الطاهر (ت1390هـ): التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، د.ط، د.ت، مج9، (158/19).
سأشير إليه: ابن عاشور: التحرير والتنوير. بتصرف يسير.

(4) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري (ت671هـ): الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر (1415-1995)، مج7، (111/13). وسأشير إليه: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن.

(5) انظر: الرازي: محمد بن عمر بن الحسين (ت604هـ): التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، د.ط، 1415هـ-1995م، مج12، (156/24). سأشير إليه: الرازي: التفسير الكبير.

(6) سورة الشعراء: آية 123-124.

قال الإمام الألويسي -رحمه الله-: "وحكاية الأمر بالتقوى والإطاعة ونفي سؤال الأجر، أي كما في قوله تعالى: "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ"⁽¹⁾... وتصديرها بذلك للتبنيه على أن مبنى البعثة هو: الدعاء إلى معرفة الحق، والطاعة فيما يقرب المدعو إلى الثواب ويبعده من العقاب، وأن الأنبياء -عليهم السلام مجتمعون على ذلك، وإن اختلفوا في بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف الأزمنة، والإعصار، وأنهم -عليهم السلام- منزهون عن المطامع الدنيوية بالكلية"⁽²⁾.

"وإنما كان جواب هؤلاء الرسل واحداً على صيغة واحدة، لأنهم متفقون على الأمر بالتقوى، والطاعة والإخلاص في العبادة، والامتناع من أخذ الأجر على تبليغ الرسالة"⁽³⁾. ولا شك أن الرسل هم أزكى البشر، وأنصح الناس لهم، فلو علموا أن هناك خصلة للناس أنفع لهم من التقوى لما عدلوا عنها، فلما أجمعوا عليها بان خطرها وعظم موقعها.

المطلب الثاني: التقوى أجمل لباس يتزين به العبد

إن خير لباس يتزود به العبد لمرحلة الآخرة هو التقوى، ومما يؤكد هذا الكلام قوله تعالى: "يَبْنِي ۖ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيشًا ۗ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ"⁽⁴⁾. فبعد أن تمنن الله -عز وجل- على عباده بأن جعل لهم من اللباس والريش⁽⁵⁾، ما يستر به العورات، والريش والرياش ما يتجمل به. فالأول من الضروريات، والثاني من الزيادات والتكميليات، دلهم على أفضل لباس، وهو ما يوراي عورات الظاهر، والباطن، ويتجمل به، وهو لباس التقوى.

(1) سورة الشعراء: آية 127.

(2) الألويسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود (ت1270هـ-): روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، 1414هـ-1994م، مج11، (163/19). سأنشير إليه: الألويسي: روح المعاني.

(3) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج7 (125/13).

(4) سورة الأعراف: آية 26.

(5) الريش والرياش، الخصب والمعاش، والمال والأثاث، واللباس الحسن الفاخر. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة ريش، (309/6).

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-، في قوله تعالى: "وَلِبَاسٍ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ"⁽¹⁾ "هو العمل الصالح"⁽²⁾، "وعنه أيضاً سمت الحسن في الوجه"⁽³⁾.

وقيل: ما علمه الله عز وجل وهدى به، وقيل ستر العورة للصلاة، التي هي التقوى⁽⁴⁾، وقيل الحياء⁽⁵⁾.

بينما جمع الإمام الطبري -رحمه الله- بين الإيمان والعمل الصالح والحياء، وخشية الله، والسمت الحسن وعلل ذلك بقوله: "لأن من اتقى الله كان به مؤمناً وبما أمره به عاملاً، ومنه خائفاً، وله مراقباً... ومن كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه فحسن سمته وهدية ورؤيت عليه بهجة الإيمان ونوره"⁽⁶⁾، وأما الإمام الزمخشري -رحمه الله- فقد قال: إن المقصود بلباس التقوى لباس الورع والخشية من الله -تعالى-... وهذا تعظيم للباس التقوى... وتفضيل له على لباس الزينة⁽⁷⁾.

ويمكن القول بأن لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة، على أن من التقوى امتثال أمر الله في الخشية والستر، وبما نعم ما يفضل الله به على من يدعون لباس التقوى من عباده فيتجلى عليهم برضوانه، ويلبسهم جزاء ما عملوا حلل الكرامة، وسبحان من لا راد لفضله وإحسانه، يقول تعالى: "فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً لِّمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"⁽⁸⁾.

(1) سورة الأعراف: آية 26.

(2) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت450هـ): النكت والعيون، تفسير الماوردي، تعليق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، (214/2). سائير إليه: الماوردي: النكت والعيون.

(3) ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي (ت597هـ): زاد المسير في علم التفسير، دار الفكر، ط1، 1407هـ-1987م، (124/3). سائير إليه: الجوزي: زاد المسير.

(4) انظر: الماوردي: النكت والعيون، (214/2).

(5) المرجع السابق، (214/2).

(6) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ): جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق: أحمد عبد الرزاق البكري وآخرون. دار السلام، ط2، 1428هـ-2007م. (مج5/3475). سائير إليه: الطبري: جامع البيان.

(7) الزمخشري، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر بن محمد (ت538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتب العلمية، 1415هـ-1995م، د.ط، (93/2). بتصرف. سائير إليه: الزمخشري: الكشاف.

(8) سورة السجدة: آية 17.

المطلب الثالث: التقوى خير زاد يتزود منه العبد

قال تعالى: "وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى"⁽¹⁾. لقد جمعت الآية الكريمة بين الزاد الذي هو قوام المرء في الدنيا، وبين الزاد الذي يكون استعداداً ليوم الجزاء، إذ شبه هذا الاعداد المبارك النافع لذلك اليوم، بإعداد المسافر الزاد لسفره، بناءً على اطلاق اسم السفر والرحيل على الموت، وإنه لزاد بالغ الأهمية في تقرير المصير يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

يقول ابن كثير -رحمه الله-: "لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا، أرشدهم إلى زاد الآخرة، وهو استصحاب التقوى إليها، كما قال تعالى: "يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤْرِي سَوْءَ تِكْمٍ وَرِيْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ"⁽²⁾، لما ذكر اللباس الحسي، نبه مرشداً إلى اللباس المعنوي، وهو الخشوع والطاعة والتقوى، وذكر أنه خير من هذا وأنفع"⁽³⁾.

سبب نزول الآية الكريمة:

أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: "كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون نحن متوكلون، ثم يقدمون فيسألون الناس"⁽⁴⁾، فنزلت هذه الآية الكريمة. "والمراد بالتقوى على هذا: إتقاء السؤال، وبذل ماء الوجه...، وهو غير ظاهر من العبارة، بل المتبادر منها، وأن الزاد هو: زاد الأعمال الصالحة، وما تدخر من الخير والبر"⁽⁵⁾.

(1) سورة البقرة: آية 197.

(2) سورة الأعراف: آية 26.

(3) ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت774هـ): تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا، ط1، 1423هـ-2002م، (1/282). سأشير إليه: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم.

(4) البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت256هـ): صحيح البخاري، دار الفحاء، دمشق، دار السلام، الرياض، ط2، 1419هـ-1999م، كتاب الحج، باب قول الله تعالى: "وتزودوا فإن خير الزاد التقوى". برقم (1523)، ص247. سأشير إليه: البخاري: صحيح البخاري.

(5) انظر: رضا، محمد رشيد: تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1414هـ-1993م، (2/229). سأشير إليه: رضا: تفسير المنار.

"إن التقوى زاد القلوب والأرواح منه تقّات، وبه تتقوى وترف وتشرق، وعليه تستند في الوصول، والنجاة، وأولو الألباب هم أول من يدرك التوجيه إلى التقوى، وخير من ينتفع بهذا الزاد⁽¹⁾".

قال الإمام الرازي -رحمه الله-، في الآية قولان:

"الأول: أن المراد وتزودوا من التقوى، والدليل عليه قوله بعد ذلك "فإن خير الزاد التقوى"، وتحقيق الكلام فيه، إن الإنسان له سفران، سفر في الدنيا، وسفر من الدنيا، فالسفر في الدنيا لا بد له من زاد وهو الطعام والشراب والمركب والمال والسفر من الدنيا لا بد فيه من زاد، وهو معرفة الله ومحبته، والإعراض عما سواه.

وهذا الزاد خير من الزاد الأول لعدة وجوه منها:

الأول: إن زاد الدنيا يخلصك من عذاب موهوم، وزاد الآخرة يخلصك من عذاب متيقن.

الثاني: إن زاد الدنيا يخلصك من عذاب منقطع، وزاد الآخرة يخلصك من عذاب دائم.

الثالث: إن زاد الدنيا يوصلك إلى لذة ممزوجة بالآلام، والأسقام، والبليات، وزاد الآخرة يوصلك إلى لذات باقية خالصة عن شوائب المضرة، آمنة من الانقطاع والزوال.

الرابع: إن زاد الدنيا يوصلك إلى منصة الشهوة والنفس، وزاد الآخرة يوصلك إلى عتبة الجلال والقدس، فثبتت بمجموع ما ذكرنا أن خير الزاد التقوى⁽²⁾.

ومن هنا يتبين لنا أهمية التقوى في كونها مقياس النفاضل عند الله -تعالى- وكذلك أمر في قوله تعالى: "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ"⁽³⁾.

(1) قطب، سيد بن إبراهيم حسين الشاذلي (ت1386هـ): في ظلال القرآن، دار الشروق، ط17، 1412هـ-1992م، (197/1). سأشير إليه: قطب: الظلال.

(2) الرازي: التفسير الكبير، مج3، (183/5-184). بتصرف يسير.

(3) سورة آل عمران: "آية 102.

المبحث الرابع

التقوى وما يقارب معناها من ألفاظ القرآن الكريم

المطلب الأول: الخوف

الخوف في اللغة:

الخوف لغة: الفرع⁽¹⁾، "والخاء والواو والفاء، أصل واحد يدل على الذعر والفرع"⁽²⁾، "والخوف توقع المكروه، ويعبر عنه بالجزع، وقيل توقع المكروه، لأمانة مظنونة أو معلومة"⁽³⁾.

الخوف في القرآن:

ذكر أهل التفسير: أن الخوف في القرآن على عدة أوجه⁽⁴⁾:

1. الخوف نفسه، ومنه قوله تعالى: "يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا"⁽⁵⁾، وقوله "وَأَذْكُرَنَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً"⁽⁶⁾.
2. العلم، ومنه قوله تعالى: "وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ"⁽⁷⁾. وقوله تعالى: "فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"⁽⁸⁾.
3. الظن، ومنه قوله تعالى: "إِلَّا أَنْ تَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ"⁽⁹⁾.

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة خوف. (99/9).

(2) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. (مج2/230).

(3) السمين، الحلبي: عمدة الحفاظ. (621/1-622). وانظر: الأصفهاني: المفردات. (ص: 303).

(4) ابن الجوزي: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، (140هـ - 1984م)،

(279-281). سأنشير إليه الجوزي: نزهة الأعين النواظر.

(5) سورة السجدة: آية 16.

(6) سورة الأعراف: آية 205.

(7) سورة البقرة: آية 182.

(8) سورة الأنعام: آية 51.

(9) سورة البقرة: آية 229.

4. القتال، يقول تعالى: "أَشِحَّةٌ عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ ۗ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا"⁽¹⁾.

5. النكبة تصيب المسلمين من قتل أو هزيمة، ومنه قوله تعالى: "وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ"⁽²⁾.

6. التيقظ، قال تعالى: " أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ"⁽³⁾، أي: على تيقظ⁽⁴⁾.

7. العذاب، قال تعالى: "أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ"⁽⁵⁾، أي: لا عذاب عليهم

8. النقص، قال تعالى: "أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ"⁽⁶⁾، أي: تنقص⁽⁷⁾.

في الاصطلاح:

المراد بالخوف، "الانزجار عن المعاصي، وتحري الطاعات وعملها، ولهذا قال بعض العلماء: لا يعد خائفاً من لم يكن للذنوب إلا تاركاً"⁽⁸⁾، ومنه قوله تعالى: "هُم مِّن فَوْقِهِمْ مُّظَلَّلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ مُّظَلَّلٌ ۗ ذَٰلِكَ تَخَوُّفٌ لِّلَّهِ بِهِ عِبَادُهُ ۗ يَعْبَادُ فَاتَّقُونِ"⁽⁹⁾.

ويقول صاحب التعريفات: "الخوف توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب"⁽¹⁰⁾. "والخوف ليس مقصوداً لذاته، بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل، ولهذا يزول بزوال المخوف، فإن أهل الجنة

(1) سورة الأحزاب: آية 19.

(2) سورة النساء: آية 83.

(3) سورة النحل: آية 47.

(4) الدراويش: معجم الإكليل المفهرس للوجوه والنظائر في محكم التنزيل، (ص127).

(5) سورة آل عمران: آية 170.

(6) سورة النحل: آية 47.

(7) الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز. (2/576-579). بتصرف يسير.

(8) السمين، الحلبي: عمدة الحفاظ. (1/621-622).

(9) سورة الزمر: آية 16.

(10) الجرجاني: التعريفات. (ص:84).

لا خوف عليهم ولا هم يحزنون"⁽¹⁾. "والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه، وبين محارم الله - عز وجل-، فإذا تجاوز خيف منه اليأس والقنوط"⁽²⁾.

"ويتضمن معنى الخوف، الظن في حقيقته ومجازه، وهو غم يلحق لتوقع المكروه وكذا الهم"⁽³⁾.

المطلب الثاني: الخشية

الخشية في اللغة: خشي، الخاء والشين والحرف المعتل يدل على خوف وذعر... فالخشية: الخوف"⁽⁴⁾.

"والخشية: أشد الخوف. وقيل خوف يشوبه تعظيم المخوف منه، وأكثر ما يكون ذلك عن علم ما يخشى منه، ولذا خص الله به من عباده العلماء". فقال تعالى: "إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"⁽⁵⁾.

وقال تعالى: "وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا"⁽⁶⁾، أي: استشعروا خوفاً عن معرفة...⁽⁷⁾.

الخشية في الاصطلاح: تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل، يكون تارة بكثرة الجناية من العبد، وتارة بمعرفة جلال الله وهيئته، وخشية الأنبياء من هذا القبيل"⁽⁸⁾.

(1) ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت751هـ): مدارج السالكين، بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، (1417هـ-1997م)، (510/1). سأسير إليه. ابن القيم: مدارج السالكين.

(2) ابن القيم: مدارج السالكين. (510/1).

(3) الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت1094هـ): الكليات. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. فهرسة عدنان درويش وآخرون. مؤسسة الرسالة، ص3، 1419هـ-1998م. (ص: 409). سأسير إليه: الكفوي: الكليات.

(4) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. (مج2/184). وانظر: ابن منظور: لسان العرب. (228/14).

(5) سورة فاطر: آية 28.

(6) سورة النساء: آية 9.

(7) انظر: السمين، الحلبي: عمدة الحفاظ. (583/1). وانظر: الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز. (544-545).

(8) الجرجاني: التعريفات. (ص81).

"والخشية أخص من الخوف فهي خوف مقرون بمعرفة، قال -عليه الصلاة والسلام-: "إنني أتقاكم لله وأشدكم له خشية"⁽¹⁾، لقد حرم الله -تبارك وتعالى- النار على رجل بكى خوفاً، وخشية من الله -تعالى- يقول -عليه الصلاة والسلام- في الحديث الشريف: "عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله"⁽²⁾.

المطلب الثالث: الحذر

الحذر في اللغة: الخيفة⁽³⁾، "حذر: الحاء والذال والراء أصل واحد وهو من التحرز والنتيقت، يقال حذر يحذر حذراً"⁽⁴⁾. وأصل التحذر من الشيء المخيف المهلك، فهو أخص من الخوف، قال تعالى: "وَيَحذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ"⁽⁵⁾.

أي: يخوفكم ويذكركم عقابه، وما يوعدكم به، وأتى بلفظ النفس مبالغة، وتنبيهاً أن حق مثله أن يحذر⁽⁶⁾.

في القرآن:

ورد الحذر في القرآن على ثلاثة أوجه⁽⁷⁾:

1. الخوف والخطر، قال تعالى: "وَيَحذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ"⁽⁸⁾، أي: يخوفكم الله عقابه.
2. الإباء والامتناع، قال تعالى: "وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَأَحْذَرُوا"⁽⁹⁾، أي: امتنعوا أن تطيعوه.
3. كتمان السر، قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ"⁽¹⁰⁾، أي: مظهر ما تكتُمون.

(1) مسلم: صحيح مسلم. كتاب الفضائل. باب علمه -صلى الله عليه وسلم- بالله -تعالى- برقم (2356). (ص: 958).

(2) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة، (ت279هـ)، سنن الترمذي، حكم على أحاديثة وأثارة وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله برقم (1630)، ص385. قال الألباني حديث صحيح.

(3) ابن منظور: لسان العرب. مادة حذر، (175/4).

(4) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. (37/2).

(5) سورة آل عمران: آية 28.

(6) السمين، الحلبي: عمدة الحفاظ. (442/1). وانظر: الأصفهاني: المفردات. (ص: 223).

(7) الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز. (441/2). وانظر: الدامغاني: الوجوه والنظائر. (ص: 191).

(8) سورة آل عمران: آية 28.

(9) سورة المائدة: آية 41.

(10) سورة التوبة: آية 64.

وفي الاصطلاح: اجتناب الشيء خوفاً منه، والحذر: الخوف، والحذر شدة الخوف⁽¹⁾
ثم يختلف الحذر: تارة من فتنة الأولاد، قال تعالى: "إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ"⁽²⁾، وتارة حذر الرسول -عليه الصلاة والسلام- من مكر المنافقين، فقال تعالى: "هُرَّ الْعَدُوِّ فَاحْذَرَهُمْ"⁽³⁾، وتارة حذره -عليه الصلاة والسلام- من فتنة اليهود⁽⁴⁾، قال تعالى: "وَاحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ"⁽⁵⁾.

المطلب الرابع: الوجل

الوجل في اللغة: الفزع والخوف⁽⁶⁾، ومنه قوله تعالى: "وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ"⁽⁷⁾، أي خافت، يقال: وجلَّ يوجلُّ وجلًّا، ووجلُّ وجلًّا، والوجل: استشعار الخوف⁽⁸⁾.

قال ابن القيم⁽⁹⁾: "رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته، أو لرؤيته"⁽¹⁰⁾.

المطلب الخامس: الرهبة

الرهبة في اللغة: الخوف والفزع⁽¹¹⁾، خوف مع تحير⁽¹²⁾. "والرهبة والرهب والرهب: مخافة مع تحرز واضطراب، قال تعالى: "وَأَصْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ"⁽¹³⁾، وقيل أصل ذلك من

(1) الكفوي: الكليات. (ص: 409).

(2) سورة التغابن: آية 14.

(3) سورة المنافقون: آية 4.

(4) انظر: الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز. (441/2).

(5) سورة المائدة: آية 49.

(6) ابن منظور: لسان العرب. (722/11).

(7) سورة الأنفال: آية 2.

(8) السمين، الحلبي: عمدة الحفاظ، (330/4). وانظر: الاصفهاني: المفردات. (ص: 855).

(9) ابن القيم: محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين (ت751هـ)، أحد كبار العلماء، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، كان حسن الخلق محبوباً عند الناس، له تصانيف كثيرة منها: إعلام الموقعين، كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء وغيرها، انظر: الزركلي: الأعلام، (56/6).

(10) ابن القيم: مدارج السالكين. (508/1). وانظر: الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز. (165/5).

(11) ابن منظور: لسان العرب، مادة رهب. (436/1). وانظر: ابن فارس. معجم مقاييس اللغة. (مج2/230).

(12) الكفوي: الكليات. (ص: 429).

(13) سورة القصص: آية 32.

الرهابة، وهي عظام الصدر، لأنها تضطرب عند الخوف، ومنه قوله تعالى: "وَأَسْتَرْهَبُهُمْ"⁽¹⁾
أي: حملوهم على أن يرهبوا، والترهب: التعبد، وهو استعمال الرهبة"⁽²⁾، ومنه قوله تعالى:
"وَأَيُّنِي فَأَرْهَبُونِ"⁽³⁾، أي فخافون.

قال ابن القيم: "الامعان في الهرب من المكروه"⁽⁴⁾.

المطلب السادس: الإشفاق

الإشفاق في اللغة: الخوف⁽⁵⁾، شفق... يدل على رقة في الشيء... وأشفقت من الأمر إذا رقت
وحذرت⁽⁶⁾، "قال بعضهم: عناية مختلطة بخوف، لأن المشفق يحب المشفق عليه، ويخاف ما
يلحقه، فإذا عدي بمن فمعنى الخوف فيه أظهر، وإذا عدي بعلى، فمعنى العناية فيه أظهر"⁽⁷⁾،
ومنه قوله تعالى: "قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ"⁽⁸⁾.

قال الإمام الطبري رحمه الله- في تفسيره للآية الكريمة: "خائفين من عذاب الله وجلين أن
يعذبنا ربنا اليوم"⁽⁹⁾.

المطلب السابع: الهيبة

في اللغة: هاب الشيء يهابه إذا خافه، وإذا وقره، وإذا عظمه... والهيبة: المهابة، وهي الإجلال
والمخافة⁽¹⁰⁾.

في الاصطلاح: "خوف مقارن للتعظيم والإجلال، وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة"⁽¹¹⁾.

(1) سورة الأعراف: آية 116.

(2) انظر: السمين، الحلبي: عمدة الحفاظ. (130/2). وانظر: الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز. (ص: 366).

(3) سورة البقرة: آية 140.

(4) ابن القيم: مدارج السالكين. (508/1).

(5) ابن منظور: لسان العرب، مادة شفق. (180/10).

(6) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة. (197/3)، بتصرف.

(7) السمين، الحلبي: عمدة الحفاظ. (322-321/2). وانظر: الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز. (331/3). وانظر:

الأصفهاني: المفردات. (ص: 458).

(8) سورة الطور: آية 26.

(9) الطبري: جامع البيان (مج9/7662). وانظر: الزمخشري: الكشاف، (402/4).

(10) ابن منظور: لسان العرب، مادة هيب، (790-789/1)، بتصرف.

(11) ابن القيم: مدارج السالكين، (508/1).

الفصل الثاني

فضائل التقوى والأتقياء

المبحث الأول: التقوى وصية الله لعباده من الأولين والآخرين

المبحث الثاني: تقوى الله سبب في الرزق وتكفير السيئات

المبحث الثالث: التقوى تفرج الهموم والكروب:

المبحث الرابع: النصر والتمكين للمتقين

المبحث الخامس: المتقون هم أولياء الله سبحانه الذين يكلؤهم بعنايته ويحفظهم بحفظه

المبحث السادس: التقوى ميزان التفاضل

المبحث السابع: التقوى سبب العلم

المبحث الثامن: التقوى ثمرة التوحيد

الفصل الثاني

فضائل التقوى والأتقياء

إن من كريم الإحسان وعظيم الفضل، ما يمتن به الله -جل ثناؤه- على العبد، حين يهدي قلبه، فيسلك به طريق أهل التقوى، ويشرح صدره للتخلق بأخلاق المتقين، حتى يصل إلى رحمة الله وفضله، إلى ساحل النجاة من نار السعير، يوم المعاد، ودخول الجنة وعد من الله -تبارك وتعالى- لعباده المتقين.

إن أهل التقوى هم ملوك الدنيا، كما أنهم ملوك الآخرة، وهم أهل السعادة الحقيقية، والشرف العظيم في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: "وَالْعَنَقِبَةُ لِلتَّقْوَى" (1).

فهل لك أخي الكريم أن تحقق لنفسك السعادة في كل لحظة، لحظة صدق يجلس فيها العبد إلى نفسه فلا يخدعها ولا تخدعه، يفكر فيما مضى من عمره.

قال تعالى: "ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١١١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿١١٢﴾"، لذلك كانت لنا هذه الوقفة مع فضائل التقوى والأتقياء.

(1) سورة طه/آية 132.

(2) سورة الشعراء/آية 206-207.

المبحث الأول

التقوى وصية الله لعباده من الأولين والآخرين

إن الله تعالى لم يبعث من رسول إلا أمر قومه بتقوى الله -عز وجل- ولقد أوصى الله -تعالى- بالتقوى أهل الكتاب وإيانا فقال: "وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا"⁽¹⁾، كما أن محمداً -صلى الله عليه وسلم- الذي استفاد من هدي القرآن، وتربى على فهمه أوصى بها فقال: "اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"⁽²⁾.

قال الإمام الطبري -رحمه الله- تعالى: "ولقد أمرنا أهل الكتاب وهم أهل التوراة والإنجيل (وإياكم)، وأمرناكم وقلنا لكم ولهم: (اتقوا الله) أي احذروا أن تعصوه وتخالفوا أمره ونهيه (وإن تكفروا) أي: وإن تجحدوا وصيته إياكم أيها المؤمنون فتخالفوها (فإن الله ما في السماوات وما في الأرض) فإنكم لا تضرون بخلافكم، وصيته غير أنفسكم، ولا تعدون في كفركم ذلك أن يكونوا أمثال اليهود والنصارى في نزول عقوبته بكم، وحلول غضبه عليكم، كما حل بهم... فجعل منهم القردة والخنازير"⁽³⁾.

ومن الملاحظ أن الإمام الطبري فسر الآية على أن الأمر لأهل التوراة والإنجيل، أي! لليهود والنصارى، والأقرب والأصوب أن الأمر عام بالكتب الإلهية، ولا ضرورة تدعو إلى تخصيص الموصول باليهود، والكتاب بالتوراة بل التعميم أولى وهو تأكيد الأمر بالإخلاص... وإنما وصاكم، وإياهم لرحمته لا لحاجته⁽⁴⁾.

(1) سورة النساء /آية 131.

(2) الترمذي: سنن الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرته الناس/مكتبة المعارف، الرياض، دت، ط1/ برقم (1987). (451) قال الترمذي "هذا حديث حسن صحيح".

(3) الطبري/جامع البيان، (مج4/2586). بتصرف يسير.

(4) الألويسي / روح المعاني، مج4(ج5/240)، (بتصرف). (وانظر ابن كثير /تفسير القرآن العظيم ، 262/2).

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. إن أهل التقوى يسعدون بها عند الله، وبها ينالون النجاة في العاقبة⁽¹⁾.
 2. إن هذه الآية الكريمة هي رحي آي القرآن؛ لأن جميعه يدور عليها⁽²⁾.
 3. "إن الأمر بتقوى الله شريعة عامة لجميع الأمم، لم يلحقها نسخ ولا تبديل، بل هو وصية الله في الأولين والآخرين"⁽³⁾.
 4. "وجعل الأمر بالتقوى وصية: لأن الوصية قول فيه أمر بشيء نافع جامع لخير كثير...، لأنها يقصد منها: وعي السامع، واستحضاره كلمة الوصية في سائر أحواله"⁽⁴⁾.
 5. التقوى تجمع الخيرات؛ لأنها امتثال الأوامر، واجتتاب النواهي⁽⁵⁾.
 6. المقصود بهذا الأمر إلهاب هم المسلمين للتهمم بتقوى الله لئلا تفضلهم الأمم الذين من قبلهم من أهل الكتاب⁽⁶⁾.
 7. إن الله -تعالى- منزه عن أن يتضرر بكفر عباده وأن ينتفع بشكرهم... وإنما يوصيهم بالتقوى لصلاحهم، ولصلاح حالهم⁽⁷⁾.
- إن تقوى الله طريق الوصول إلى الله، وهي سبب محبته ورضوانه ، ولهذا أكثر القرآن من ذكرها، والأمر بها والترغيب بفضائلها، وثمراتها، بأساليب متنوعة.

(1) انظر: الزمخشري/الكشاف/(562/1). وانظر للقاسمي، محمد جمال الدين (ت 1332) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، تعليق، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر بيروت، ط2 (1398) إلى (1987) (512/5) سائير إليه، القاسمي، محاسن التأويل.

(2) الزحيلي، وهبة، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر (بيروت لبنان) ط1 (1411-1991)، (308/5). (بتصرف يسير)، سائير إليه، الزحيلي: التفسير المنير .

(3) الرازي، التفسير الكبير مج6، (71/11).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مج3، (ج5 220-221). بتصرف يسير.

(5) انظر: المرجع السابق، مج3، (5، 220-221).

(6) المرجع السابق، مج3، (5، 220-221)، بتصرف يسير.

(7) قطب: الظلال، مج2 (5، 772) بتصرف.

إن تقوى الله تعالى: أصل عظيم من أصول الدين، بعث من أجله الرسل، وسنت من أجله التشريعات، والأوامر والنواهي، فالتقوى: هي التي تحبب الوازع الديني في النفس، فلا يحتاج صاحبها بعد ذلك إلى رقيب أو حسيب، لأن التقوى هي الحاجز للمسلم عن كل شيء سيء، والدافع له لكل خير. لذلك كانت التقوى وصية الله لعباده من الأولين والآخرين، وهي خير وصية على الإطلاق، وعلى المسلمين أن يتمسكوا بها ليفوزوا بدار الدنيا والآخرة.

المبحث الثاني

تقوى الله سبب في الرزق وتكفير السيئات

من فضائل التقوى أنها سبب في كثرة الرزق، وتكفير السيئات والخطايا، ودخول الجنان، لهذا كانت التقوى من أكثر ما يدخل الناس الجنة. إذ إن الرزق مسألة خطيرة تشغل المؤمن، والكافر معاً، وللرزق أسباب مادية، وهناك أسباب إيمانية⁽¹⁾، وهذا الأمر خص الله به المؤمنين الصادقين، وليس عاماً للناس أجمعين. وهذه دعوة لنا جميعاً إلى الثبات على الحق، بإيمان عميق، والسير في الطريق المستقيم حتى نفوز برحمة الله ويغفر لنا الذنوب، صغيرها وكبيرها. يقول تعالى: "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"⁽²⁾.

إن الفتح فتحان: فتح مبارك على المؤمنين كما ورد في الآية السابقة، وفتح آخر على الكافرين وهو فتح غير مبارك، فعن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج ثم تلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قوله تعالى: "فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمَ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ"⁽³⁾، فاختر لنفسك من أي الفريقين أنت، فالأمر في هذا اليوم العظيم، وهو يوم القيامة ليس بكثرة المال أو ضخامة الأجسام، إنما بالتقوى والعمل الصالح وعظيم الإيمان"⁽⁴⁾.

قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: "ولو أن أهل القرى"، ويقال للمدينة قرية لاجتماع الناس فيها من قريت الماء إذا جمعتة... (آمنوا) أي: صدقوا. و(اتقوا) أي: الشرك، يعني

(1) انظر: غنيم، هاني سعيد، التقوى جنة وطريقك إلى الجنة، مكتبة الإيمان -المنصورة ط1 (2005م-1426هـ) (ص: 7

(8) سأشير إليه: غنيم، التقوى جنة.

(2) سورة الأعراف/ آية 96.

(3) سورة الأنعام / آية 44. والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (17311)، (547/28)، قال المحقق شعيب الأرناؤوط حديث حسن.

(4) انظر: غنيم، التقوى جنة - ص 68.

"لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض"، وهذا في أقوام على الخصوص جرى ذكرهم على الخصوص إذ قد يمتحن المؤمنون بضيق العيش، ويكون تكفيراً لذنوبهم"⁽¹⁾.

لقد خص الله -تعالى- المؤمنين برزق من عنده وفير، إن هم استقاموا على أمره، وثبتوا على الحق وساروا في الطريق المستقيم، وكان سبيلهم: سبيل المتقين الصادقين قال تعالى: "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"⁽²⁾. إن المقصود (بالتقوى): هي تقوى الله بالوقوف عند حدوده، وذلك بعد الإيمان⁽³⁾.

ويقول الإمام الطبري -رحمه الله-: "(ولو أن أهل القرى) الذين أرسلنا إليهم رسلنا الذين ذكرنا لك يا محمد... صدقوا الله ورسله...، واتقوا الله فخافوا عذابه... لأرسلنا عليهم من السماء الأمطار، وأنبتنا لهم من الأرض بها النبات... وأصل البركة المواظبة على الشيء، يقال: قد بارك فلان على فلان، إذا واطب عليه... ولكن كذبوا بالله، ورسله فجعلنا لهم العقوبات بكسبهم الخبيث وعملهم الرديء، وذلك كفرهم بالله وآياته"⁽⁴⁾.

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. يخبر الله -تعالى- عن قلة إيمان أهل القرى الذين أرسل فيهم الرسل⁽⁵⁾.

2. إن ما يناله الناس من الخيرات الدنيوية لا يعدو أن يكون ناشئاً من الأرض وذلك معظم المنافع، أو من السماء مثل، ماء المطر، وشعاع الشمس، وضوء القمر، والنجوم والهواء...⁽⁶⁾.

3. إن المراد بالآية الكريمة التوسعة على المؤمنين بالخير، والتيسير من كل جانب⁽¹⁾.

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج4، (227/7-228) بتصرف يسير.

(2) سورة الأعراف/ آية 96.

(3) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مج5، (22/9). وانظر: الزمخشري، الكشاف، (2 \ 129).

(4) الطبري، جامع البيان (مج 5/3581) بتصرف يسير.

(5) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (264/3).

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مج5، (22-20/9) بتصرف.

5. إن المراد بالبركات السماوية والأرضية: الأشياء التي تحمد عواقبها، ويسعد في الدارين صاحبها، وقد جاءت البركة بمعنى السعادة... ولا يفتح ذلك إلا للمؤمن بخلاف المطر والنبات والصحة والعافية فإنه يفتح له، وللكافر فيه استدراجاً ومكراً⁽²⁾.

6. كل ما يناله الناس من نعم، هي من عطاءات الرب الخالق لعبادة، يتفضل بها عليهم⁽³⁾.

7. إن نزع البركات وكثرة الآفات هي جزاء أعمال أهل القرى المخالفة لأمر الله⁽⁴⁾.

8. إن في الآية استعارة قائمة على تشبيهه عطاء الله، بفتح الأبواب⁽⁵⁾.

ويطرح صاحب الظلال التساؤل التالي:

"ولقد ينظر بعض الناس فيرى أمماً -يقولون: إنهم مسلمون- مضيقاً عليهم في الرزق، لا يجدون إلا الجذب والمحق!... ويرى أمماً لا يؤمنون ولا يتقون، مفتوحاً عليهم في الرزق والقوة والنفوذ، فيتساءل: وأين إذن هي السنة التي لا تتخلف؟! ولكن هذا وذلك وهم تخليه ظواهر الأحوال... إنه الابتلاء بالنعمة... وهو أخطر من الابتلاء بالشدة... وفرق بينه وبين البركات التي يعدها الله من يؤمنون ويتقون. فالبركة قد تكون مع القليل إذا أحسن الانتفاع به، وكان معه الصلاح والأمن والرضى والارتياح... فالبركات الحاصلة مع الإيمان والتقوى، بركات في الأشياء، وبركات في النفوس وبركات في المشاعر، وبركات في طيبات الحياة... بركات تنمي الحياة وترفعها في آن، وليست مجرد وفرة مع الشقوة والتردي والانحلال"⁽⁶⁾.

(1) انظر: البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله عمر محمد الشيرازي (ت791هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، بيروت، د- ط(1416هـ - 1996م) (43/3)، سأسير إليه: البيضاوي: أنوار التنزيل.

(2) الألوسي: روح المعاني، مج6 (9/17)، بتصرف.

(3) انظر: الميداني، معارج التفكير ودقائق التدبير، (439/9).

(4) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (ت1376) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، ط1 (1418-1997)، (381/1)، بتصرف يسير. سأسير إليه: السعدي، تيسير الكريم الرحمن.

(5) الميداني، معارج التفكير، (439/4).

(6) قطب: الظلال، مج3، (9/1339-1340).

إن التقوى سبب في تكفير السيئات، وغفران الذنوب، ودخول الجنة يقول تعالى: "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ"⁽¹⁾

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "أي ولو أنهم آمنوا بالله ورسوله، واتقوا ما كانوا يتعاطونه من المآثم والمحارم... لأزلنا عنهم المحذور ولحصلناهم المقصود"⁽²⁾، قال الإمام الرازي -رحمه الله- "ولو آمن أهل الكتاب، واتقوا لوجدوا سعادات الدنيا والآخرة، أما سعادات الآخرة فهي محصورة في نوعين:

الأول: رفع العقاب، وهو المراد بقوله تعالى: "لكفرنا عنهم سيئاتهم".

الثاني: إيصال الثواب، وهو المراد بقوله تعالى: "ولأدخلناهم جنات النعيم"⁽³⁾.

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. تدل الآية الكريمة على سعة رحمة الله -تعالى- وفتح باب التوبة على كل عاصٍ وإن عظمت معاصيه⁽⁴⁾.

2. الإيمان لا ينجي ولا يسعد إلا مشفوعاً بالتقوى⁽⁵⁾.

3. تدعو الآية الكريمة اليهود والنصارى للإيمان برسالة سيدنا محمد -عليه الصلاة والسلام- حتى يدخلوا الجنة⁽⁶⁾.

4. تدل الآية الكريمة على أن الإيمان والتقوى، وتحقيق منهج الله -تعالى- في واقع الحياة البشرية، في هذه الحياة الدنيا، لا يكفل جزاء الآخرة وحده⁽⁷⁾.

(1) سورة المائدة/آية 65.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (3/90) بتصرف يسير.

(3) الرازي، التفسير الكبير، مج6 (12/49) بتصرف يسير.

(4) الزمخشري، الكشاف، (1/644) بتصرف يسير.

(5) المرجع السابق (1/644) بتصرف يسير.

(6) الطبري، جامع البيان (مج4/2951). بتصرف.

(7) المرجع السابق، مج2، (6/930)، بتصرف.

5. ومن بلاغة الآية الكريمة أن الله -تعالى- أضاف الجنات إلى النعيم، للتبنيه على ما يستحقونه من العذاب، لو لم يؤمنوا ويتقوا⁽¹⁾.

وهذا دليل على أن التقوى سبب في الرزق، وتكفير السيئات والذنوب، والفوز بجنات النعيم المقيم، وأن الله -تعالى- واسع الرحمة بعباده المتقين.

ومن الأدلة على أن التقوى تكفر السيئات قول الله تعالى: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا"⁽²⁾.

يقول الإمام الطبري -رحمه الله- تعالى: "ومن يخف الله فيتقيه باجتناب معاصيه، وأداء فرائضه، يمح الله عنه ذنوبه، وسيئات أعماله... ويجزل له الثواب على عمله ذلك وتقواه، ومن إعظامه له الأجر عليه، أن يدخله جنته، فيخلده فيها"⁽³⁾.

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. من يتق الله يذهب عنه المحذور، ويجزل له الثواب على العمل اليسير⁽⁴⁾.

2. إن تقوى الله وترك ما لا يرضاه سبب لمغفرة الذنوب، والفوز بالجنة⁽⁵⁾.

إن ما نحن فيه من قلة البركة، ونقص الثمار، وكثرة الآفات والأمراض، إنما هو نتيجة حتمية لضعف وازع التقوى في النفوس، وكثرة المعاصي كما قال تعالى: "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"⁽⁶⁾.

فهذه صرخة مدوية لكل المسلمين أن يسلكوا طريق التقوى حتى يخفف الله -تعالى- عنا ما نحن فيه من ضيق الرزق، وتآمر الأعداء على الإسلام والمسلمين، وهذا ابتلاء من الله -

(1) الألويسي، روح المعاني، مج4، (269/6) (بتصرف يسير).

(2) سورة الطلاق /آيه5.

(3) الطبري/جامع البيان (8083/10)، بتصرف يسير.

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم(97/8).

(5) الشوكاني، فتح القدير (344/5)، بتصرف. انظر: لقاسمي: محاسن التأويل، (201/16).

(6) سورة الروم/ آيه41.

تعالى - ليعلم الصابرين والمتقين، وليمتحن إيماننا، وليعرف أينما أكثر تقوى، ومخافة له، وعملاً بكتابه، وتطبيقاً لسنة نبيه - عليه الصلاة والسلام -، وليس لنا من سلاح إلا التقوى والصبر والإيمان العميق بأن الحياة والموت والنفع والضرر والرزق بيد الله، يقول تعالى: "وَلَنَبِّئَنكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرَاتِ ۗ وَدَشِيرِ الصَّابِرِينَ" (1).

(1) سورة البقرة/ آية 155.

المبحث الثالث

التقوى تفرج الهموم والكروب

إن تقوى الله تعالى سبب في تفريج الكروب والهموم، وسبب في الخروج من المصائب والخطوب، فالتقوى سلاح قوي يحارب به المرء شيطانه وهواه عند كل عمل يعمل، ولقد جعل الله للمؤمن من عسره يسرا، وذلك وقت همه وغمه، أو وقت مرضه وضعفه، فالعمل الصالح، وتقوى الله -تعالى- ينجيان الإنسان، وقت الشدة فقد يتعرض الإنسان في حياته للهموم والغموم ويلجأ إلى الله طالباً منه العون، والنصر، وتخفيف الآلام، والمعاناة والتقوى هي خير وسيلة تتجى الإنسان من كروب الدنيا، والآخرة وتدفع عنه البلايا والمصائب، يقول تعالى: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۗ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا"⁽¹⁾.

وهذه الآية وردت في سياق سورة الطلاق، تحض المطلق على التقوى واجتناب الظلم، بإيقاع الطلاق كما أمر الله.

يقول الإمام ابن القيم: "واعلم أن من اتقى الله في طلاقه، فطلق كما أمره الله ورسوله وشرعه له، أغناه عن ذلك كله، ولهذا قال الله -تعالى- بعد أن ذكر حكم الطلاق المشروع (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) فلو اتقى الله عامة المطلقين؛ لاستغنوا بتقواهم عن الأضرار والأغلال والمكر والاحتتيال"⁽²⁾.

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. إن الله تعالى يرزق من يتقيه من وجه لا يخطر بباله، ولا يحتسبه⁽³⁾.

(1) سورة الطلاق / 2-3.

(2) ابن القيم: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، (1/ 280). بتصرف.

(3) الزمخشري، الكشاف، (4/ 543)، انظر: القاسمي: تفسير القاسمي (16/ 198).

2. إن أمر الطلاق والعدة، من الأمور التي تحتاج إلى فضل تقوى⁽¹⁾.

"لما كان أمر الطلاق غير خال من حرج وغم يعرض للزوجين وأمر المراجعة لا يخلو في بعض أحواله من تحمل أحدهما لبعض الكره من الأحوال التي سببت الطلاق، أعلمهما الله بأنه: "وعد المتقين الواقفين عند حدوده بأن يجعل لهم مخرجاً من الضائقات شبه ما هم فيه من الحرج بالمكان المغلق على الحال فيه، وشبه ما يمنحهم الله به من اللطف، واجراء الأمور على ما يلئم أحوالهم بجعل منفذ في المكان المغلق يتخلص منه المتضايق فيه... وشمل المخرج ما يحف من اللطف بالمتقين، في الآخرة أيضاً بتخليصهم من أهوال الحساب والانتظار، فالمخرج لهم في الآخرة، هو الإسراع بهم إلى النعيم...ولذلك فإن تقوى الله سبب تفريج الكرب، والخلص من المضائق، وملاحظة المسلم ذلك ويقينه بأن الله -تعالى- يدفع عنه ما يخطر بباله من الخواطر الشيطانية التي تثبته عن التقوى يحقق وعده إياه، بأن يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب"⁽²⁾.

كثيراً ما يتعرض الإنسان في حياته لكروب ومصائب، لقد بين الله في كتابه الكريم وعلى لسان نبيه المصطفى -عليه الصلاة والسلام-، عن حال أهل الضلالة الذين سقطوا في حماة الكذب على الله، وتجاوز حدوده في الدنيا، وعا يلقون من سوء المصير في الآخرة، وما أبان -كذلك- عن حال من أنار الله بصائرهم، فأمنوا، واتقوا، وأحسنوا صلتهم به -تبارك وتعالى- وما يظفرون به من جزيل العطاء، وكريم المثوبة في دار البقاء. يقول تعالى: "وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"⁽³⁾.

(1) انظر: الألويسي: روح المعاني، مج15، (201/28).

(2) ابن عاشور/التحرير والتنوير، مج13 (311/28-312) بتصرف.

(3) سورة الزمر: آية 61.

"إن الله -تعالى- ينجي المتقين بما سبق لهم من السعادة، والفوز عند الله "لا يمسهم سوء" أي: يوم القيامة، "ولا هم لا يحزنون" أي: لا يحزنهم الفزع الأكبر، بل هم آمنون من كل فزع مزحزون عن كل شيء، نائلون كل خير"⁽¹⁾.

قال الإمام الألويسي -رحمه الله-: "ينجيهم الله -تعالى- من جهنم مثوى المتكبرين؛ لتقواهم مما اتصف المتكبرون به، ملتبسين بفلاحهم، وظفرهم بالبغية وهي الجنة"⁽²⁾.

والفوز كما يقول الراغب الأصفهاني: "الظفر بالخير مع حصول السلامة"⁽³⁾.

فإنه -تعالى- ينجي أوليائه المتقين، ويدخلهم برحمته في جنته.

من لطائف الآية الكريمة:

1. جملة "لا يمسهم سوء ولا هم يحزنون" مبيّنة لجملة "ويُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ"

لأن نفي مس سوء هو إنجاؤهم، ونفي الحزن عنهم نفي لأثر المس سوء"⁽⁴⁾.

2. "جاء في جانب نفي سوء بالجملة الفعلية، لأن ذلك لنفي حالة أهل النار عنهم، وأهل

النار أيضاً في مس من سوء متجدد، وجاء في نفي الحزن عنهم بالجملة الإسمية، لأن

أهل النار أيضاً في حزن وغم ثابت لازم لهم...، "فإن شأن الأسواء الجسدية تجدد

الأمها، وشأن الأكدار القلبية دوام الإحساس بها"⁽⁵⁾.

"إن فريق المتقين فريق ناج فائز لا يمسه سوء، ولا يخالطه الحزن، لأنهم عاشوا في حذر من

الآخرة، وفي طمع في رحمة الله، فهم اليوم يجدون النجاة والفوز، والأمن، والسلامة "لا يمسهم

(1) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (73/7).

(2) الألويسي، روح المعاني، مج13، (31/24).

(3) الأصفهاني: المفردات، مادة فوز، ص647.

(4) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج11، (53/24).

(5) المرجع السابق، مج11، (53/24).

السوء، ولا هم يحزنون"، ومن شاء بعد هذا فليلبِ النداء إلى الرحمة الندية الظليلة، وراء الباب المفتوح، ومن شاء فليبق في إسرافه، وفي شروره حتى يأخذهم العذاب، وهم لا يشعرون⁽¹⁾.

إن هذه الآية الكريمة تبين حال من أسعدهم الله بالنجاة من عقابه، وأليم عذابه؛ لأنهم جعلوا التقوى لباساً لهم في حياتهم كلها.

إنه الجزاء الذي أعده الله -تبارك وتعالى- لعباده المتقين، وما أعظمه من جزاء، وذلك لأن أهل التقوى لم يتكبروا على عبادته تعالى، وطاعته.

من لطائف الآية:

1. عبّر الله -تعالى- بالفعل المضارع؛ لتصوير حالهم في تقواهم، لأنه كان من شأنهم التقوى، وخوف الله -تعالى- ووقاية أنفسهم من غضب الله، ورجاء رحمته، فهم الذين أذعنوا للحق وآمنوا به، وهدموا الأوثان⁽²⁾.

2. في تأخير جملة "وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون". عن جملة "إن في ذلك لآية لقوم يعلمون" طمأنة لقلوب المؤمنين بأن الله ينجيهم مما توعد به المشركين، كما نجى الذين آمنوا، وكانوا يتقون من ثمود، وهم صالح ومن آمن معه⁽³⁾.

3. "زيادة فعل الكون في "وكانوا يتقون" للدلالة على أنهم متمكنون من التقوى"⁽⁴⁾.

4. تبين الآية الكريمة ما يفيضه الله -تعالى- على عباده المتقين من العطاء الجزيل، والثواب العظيم، على ما قدموا من صالح الأعمال، وذلك بالنعيم المقيم في الجنة، وهذا حث لنا جميعاً أن نجعل التقوى شعاراً لنا في جميع شؤون حياتنا.

(1) قطب: الظلال، (3059/5). بتصرف.

(2) أبو زهرة: زهرة التفاسير، (5464/10)، بتصرف.

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج9، (287/19).

(4) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج9، (287/19).

إن المؤمن التقى إذا التزم طريق أهل النجاة -طريق التقوى-، فإن الله -تبارك وتعالى- يبشر أولئك الذين اتقوه وخافوا يوم الحساب، بالإيمان والتقوى سبب للنجاة يوم القيامة، والفوز بمرضاة الله -تبارك وتعالى-.

قال الطبري -رحمه الله-: "وكانوا يخافون الله أن يحل بهم من العقوبة على كفرهم لو كفروا ما حل بالذين هلكوا منهم، فأمنوا اتقاء الله وخوف وعيده، وصدقوا رسله، وخلعوا الآلهة والأنداد"⁽¹⁾.

ما ترشد إليه الآية الكريمة

1. إن الله -تعالى- أنجى الذين آمنوا، فلم يمسهم سوء، ولم ينزل بهم مكروه بإيمانهم، وتقواهم وصالح وأعمالهم⁽²⁾.

2. قوله: (وكانوا يتقون) أي كان سنتهم اتقاء الله، والنظر فيما ينجي من غضبه وعقابه، وهو أبلغ في الوصف من أن يقال والمتقين⁽³⁾.

بعد أن يمر الخلائق على الصراط، والنار، ينجي الذين اتقوا ما يوجب النار، وهو الكفر بالله ومعاصيه، فيمرون على الصراط بإيمانهم وأعمالهم يقول تعالى: "ثُمَّ نُجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَدَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا"⁽⁴⁾ إن الله -تعالى- ينجي الذين يتقوه ويخافوه بأداء فرائضه، واجتتاب معاصيه، ينجيهم من النار بعد ورودهم جميعاً إياها⁽⁵⁾.

(1) الطبري: جامع البيان، (مج9، 7184).

(2) انظر: المراغي: تفسير المراغي، (355/8).

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج11، (264/24).

(4) سورة مريم: آية 72.

(5) الطبري: جامع البيان، (مج7/5531). بتصرف.

عن جابر بن عبد الله⁽¹⁾: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "لا يبقى برّ ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت النار على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجاً من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً"⁽²⁾.

مما سبق يتبين لنا أن الله -تعالى- ينجي الذين حملوا أنفسهم على مركب التقوى من جهنم، لأنهم ليسوا متكبرين على الإيمان والحق والطاعة وهذا ترغيب لنا أن نسير على نهجهم، ونقتدي بهم، حتى نفوز بالجنة التي أعدها الله لعباده المتقين.

(1) جابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان بن سنان بن سلمة الانصاري، أحد ستة الذين شهدوا بيعة العقبة الأولى، شهد سائر المشاهد مع رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، وهو أول من أسلم من الأنصار. انظر: العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، (مج1/434).

(2) أخرجه الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، برقم (8744)، (8/3134)، قال الحاكم هذا حديث صحيح ولم يخرجاه، قال الذهبي: صحيح.

المبحث الرابع

النصر والتمكين للمتقين

إن معية الله ونصره وتأييده للمتقين وهذا من عدله في حكمه وفضله على عباده المتقين، "إن وصول الأمة الإسلامية في هذا الزمان إلى التمكين، ليس بالأمر السهل، ولكنه كذلك ليس بالأمر المستحيل، إذ على الرغم من التضيق الشديد، والحرب الضروس التي تشن على الإسلام والمسلمين، إلا أن كثيراً من المسلمين يرون أن التمكين لدين الله قاب قوسين، أو أدنى من ذلك، ومهما رأى الأعداء أن التمكين للإسلام بعيد يشبه المستحيل، فإن المسلم واثق بوعد الله أن الأرض يرثها عباده الصالحون، وهذا ليس من باب الأحلام والتمنيات، ولكن من باب الثقة في الله -تعالى- واليقين بوعد⁽¹⁾".

إن المتقين يحرصون كل الحرص على التقرب من الله -تعالى- فهو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله يمدهم بعونه ونصره وتأييده، ويصونهم بهدايته ولذلك يقول تعالى: "إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ"⁽²⁾.

وقد جاءت هذه الآية الكريمة بعد آيات مباركات -والقرآن كله مبارك-، تتعلق بمنهج الدعوة إلى الله، وكيفية الجدل مع الآخرين، والدعوة إلى أن تكون المعاقبة بالمثل عندما تقع المعاقبة مع الحرص على الترغيب في الصبر.

إن الملاحظ عند هذه الآية الكريمة، وهي الآية الأخيرة من سورة النحل أنها بدأت بحرف التأكيد (إن) لتؤكد أن الله مع الذين اتقوا، وجعلوا بينهم وبين غضب الله وقاية، وأحسنوا لأنفسهم بأن بلغوا أعلى درجات التقوى.

لقد فسر الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "المعية بمعية التأييد والنصر والمعونة وهي معية خاصة ... كقول النبي -عليه الصلاة والسلام- للصديق وهما في الغار "لَا تَحْزَنَ إِنَّ اللَّهَ

(1) الصلابي، علي محمد محمد: تبصير المؤمنين بفقهاء النصر والتمكين في القرآن الكريم، دار الفجر للتراث، د.ط، د.ت، (ص:5-6). سأشير إليه: الصلابي: فقه النصر والتمكين.

(2) سورة النحل/ آية128.

مَعَنَا⁽¹⁾... فالله -تعالى- مع الذين اتقوا أي: تركوا المحرمات (والذين هم محسنون) أي: فعلوا الطاعات، فهو لاء الله يحفظهم ويكلؤهم وينصرهم ويؤيدهم ويظفرهم على أعدائهم ومخالفهم⁽²⁾. فمن أراد أن يكون الله معه فليكن من المحسنين المتقين. وقد فسر الإمام الرازي المعية: بالرحمة والفضل والرتبة، وبين أن الآية الكريمة تشير إلى التعظيم لأمر الله -تعالى- وتشير إلى الشفقة على خلق الله، وذلك يدل على أن كمال السعادة للإنسان في هذين الأمرين: (التعظيم لأمر الله -تعالى- والشفقة على خلق الله)⁽³⁾.

وذكر الشيخ أحمد الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين: "إن المقصود بالمعية معية النصر والعون والطاعة والصبر، وهي معية معنوية خاصة، وبين أن المعية خاصة وعمامة، فالعمامة بالتصريف والتدبير لكل مخلوق.

والمعية الخاصة بالإعانة والنصر والرضا للمتقين والمحسنين أحياءً وأمواتاً فرضى الله عن المتقين، والمحسنين دائم مستمر لا ينقطع"⁽⁴⁾.

بينما فسر أبو السعود المعية: "بالولاية الدائمة التي لا تحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع والحزن، وضيق الصدور...، وهذا يدل على أن المتقين هم المباشرون للتقوى... ونبه على أن كلاً من الصبر، والتقوى من مثل الإحسان⁽⁵⁾ ونظيره قوله تعالى: "إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ"⁽⁶⁾.

(1) سورة التوبة/آية 40.

(2) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (350/4). بتصرف يسير.

(3) الرازي، التفسير الكبير، مج 10 (146/20). (بتصرف).

(4) انظر، الصاوي، أحمد المالكي (ت 1241هـ)، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين المكتبة العصرية- بيروت ط1، 1423-2002، مج 2، (4/531-532). بتصرف. وسأشير إليه الصاوي/ حاشية الصاوي .

(5) انظر أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت 982هـ) تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المعروف بتفسير أبي السعود، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1419-1999، (مج 4/106-107). سأشير إليه: أبو السعود، تفسير أبي السعود.

(6) سورة يوسف/آية 90.

من لطائف الآية الكريمة:

1. "أتى في جانب التقوى بصلة فعلية ماضية، للإشارة إلى لزوم حصولها وتقررهما من قبل، لأنها من لوازم الإيمان، لأن التقوى آيلة إلى أداء الواجب، وهو حق على المكلف، ولذلك أمر فيها بالاختصار على قدر الذنب"⁽¹⁾.
2. "أتى في جانب الإحسان بالجملة الاسمية، للإشارة إلى كون الإحسان ثابتاً لهم دائماً معهم، لأن الإحسان فضيلة، فبصاحبه حاجة إلى رسوخه من نفسه وتمكنه"⁽²⁾.

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. "إن الله -تعالى- ولي الذين يجتنبون السيئات، وولي العاملين بالطاعات"⁽³⁾.
2. "قد يقع الأذى بالمؤمن، لامتحان صبره، ويبطئ عليه النصر، لابتلاء ثقته بربه، ولكن العاقبة مظنونة ومعروفة... ومن كان الله معه، فلا عليه ممن يكيدون، ممن يمكرون وهذا هو دستور الدعوة إلى الله -تعالى- كما رسمه الله -تعالى-، والنصر مرهون بإتباعه كما وعد الله. ومن أصدق من الله"⁽⁴⁾.
3. إن أردت أن يكون معك بالنصر، والتأييد فكن من المتقين، ومن المحسنين"⁽⁵⁾.

عن قتادة بن النعمان الأوسي الظفري قال: "ذكر لنا أن هرم⁽⁶⁾ ابن حيان العبدى لما حضره الموت قيل له: أوص، قال: ما أدري ما أوصى، ولكن بيعوا درعي فاقضوا عني ديني،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير، (مج7/14/338).

(2) المرجع السابق، مج7، (338/14).

(3) النسفي: تفسير النسفي، (2/894).

(4) قطب: الظلال، مج4، (14/2203). بتصرف يسير.

(5) انظر: النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي (ت728هـ): غرائب القرآن و رغائب الفرقان، ضبط وتخريج زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1416-1999، (مج4/318) سائير إليه: القمي: غرائب القرآن و رغائب الفرقان..

(6) هرم بن حيان العبدى، من بني عبد قيس. قائد فاتح من كبار النساك من التابعين، ولي بعض الحروب في أيام عمر وعثمان بأرض فارس/ الزركلي/ الأعلام، (8/82).

فإن لم تف فبيعوا فرسي، فإن لم يف فبيعوا غلامي، وأوصيكم بخواتيم سورة النحل "أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٦﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٧﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۗ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٨﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٩﴾" (1) (2).

إن المؤمنين إذا اتقوا وأحسنوا فإن الله -تبارك وتعالى- يكون معهم بتأييده ونصره ومعونته، وقد أمر الله -تعالى- نبيه بالصبر على ما يلاقي من قومه وهو يدعو إلى الله وأن لا يحزن على أولئك الذين اختاروا طريق الضلالة، ولا يضيق بما يمكرون.

"هكذا ختمت سورة النحل بهذه الآية الكريمة التي تحمل في طياتها تلك البشرى العظيمة بمعية الله -تعالى- لأولئك الذين يتقون الله بالعمل فيما شرع لهم من أحكام، ويحسنون في ذلك، ويزيدون من فعل الخير، وهي معية مباركة قوامها العون، والتأييد والنصرة للذين اتقوا، والذين هم محسنون، فالنصرة وحسن العاقبة لمن يأخذون أنفسهم بهذا المنهج، مهما طغى الشر وأهله، وتفاقم كيد الكائدين، ومكر الماكرين، لأن الله معهم ومن كان الله معه لم يخف بخساً ولا رهقاً" (3).

وإذا ما استقرأنا نصوص القرآن الكريم يتبين لنا أن المعية قد تكون معية عامة، أو معية خاصة.

(1) ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري، (ت784هـ): الطبقات الكبرى، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ-1990م، برقم (3021)، (94/7-95). سائير إليه: ابن سعد: الطبقات الكبرى.

(2) سورة النحل/ آية125-128.

(3) انظر: الصالح، محمد أديب، التقوى في هدي الكتاب، (303/1).

المبحث الخامس

المتقون هم أولياء الله

قال تعالى: "أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٤﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" (1).

إن الله -تعالى- خلق الإنسان ضعيفاً، فهو يحتاج إلى ولي ينصره وقت الشدة عندما يستغيث به، والله -تعالى- ولي الصالحين المتقين، فهو الذي يحفظ المتقين في حلهم وترحالهم، فهنيئاً لك أيها النقي النقي بولاية الله لك، فهو وليك وناصرك أما غيره فلا ينصر ولا ينفع ولا يضر، وإذا وقع الإنسان في مصيبة يتيه عقله، ويضيع فكره، ولا يستحضر ذهنه في هذا المقام الأعلى من يستطيع نصره، ويدعو كل محبوب إليه مقرب، ولكن من يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، إنه الله -تعالى- فمن كان معه الله، فمعه كل شيء، ومن فقد معية الله، فقد كل شيء، كن لله كما يريد، يكن لك فوق ما تريد (2).

يقول تعالى: "وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضْرِبْكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ" (3)

جاء في تفسير الإمام الطبري -رحمه الله-: "إن تصبروا أيها المؤمنون على طاعة الله واتباع أمره فيما أمركم به، واجتناب ما نهاكم عنه، من اتخاذ بطانة لأنفسكم من هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم من دون المؤمنين... لا يضركم كيدهم شيئاً...، ويعني بكيدهم غوائلهم (4) التي يبتغونها للمسلمين ومكرهم بهم ليصدوهم عن الهدى وسبيل الحق" (5).

(1) سورة يونس/62-64.

(2) غنيم، هاني السعيد، التقوى جنة وطريقك إلى الجنة، 62-65، (بتصرف).

(3) سورة آل عمران/آية 120.

(4) غوائلهم: غول - غالة الشيء غولا، اغتاله: أهلكه واخذه من حيث لا يدري. والغوائل الدواهي - (انظر) ابن منظور: لسان العرب، مادة غول، 507/11.

(5) الطبري، جامع البيان، (3/1942)، بتصرف. وانظر: الزمخشري: الكشاف، (1/400).

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. إن الله -تعالى- يرفع الضر والأذى عن المتقين الصابرين، وهذا تسلية لهم وتقوية لنفوسهم⁽¹⁾.

2. يرشد الله -تعالى- المتقين الصابرين إلى السلامة من شر الأشرار، وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى، والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم فلا حول ولا قوة لهم الا به... ومن توكل عليه كفاه⁽²⁾.

3. "إن كل من صبر على أداء أوامر الله، واتقى كل ما نهى الله عنه، كان في حفظ الله، فلا يضره كيد الكافرين، ولا حيل المحتالين"⁽³⁾.

4. أرشد الله المؤمنين إلى كيفية تلقي أذى العدو: بأن يتلقوه بالصبر والحذر، وعبر عن الحذر بالاتقاء، أي اتقاء كيدهم⁽⁴⁾ وخداعهم وقوله: "لا يضركم كيدهم شيئاً... أي: بذلك ينتفي الضر كله، لأنه أثبت في أول الآيات أنهم لا يضررون المؤمنين إلا أذى، فالأذى ضر خفيف.. وينتفي ذلك بالصبر على الأذى"⁽⁵⁾.

قال سيد قطب -رحمه الله-: "إنه الصبر والعزم والصمود أمام قوتهم، إن كانوا أقوياء، وأمَام مكرهم وكيدهم، وإن سلخوا طريق الوقعة والخداع؛ والصبر والتماسك لا الانهيار والتخاذل، ولا التنازل عن العقيدة كلها أو بعضها اتقاءً لشرهم المتوقع أو كسباً لودهم المدخول، ثم هو التقوى، الخوف من الله وحده، ومراقبته وحده، هو تقوى الله التي تربط القلوب بالله... وهذا هو الطريق: الصبر والتقوى والتماسك والاعتصام بحبل الله، وما استمسك المسلمون في تاريخهم كله بعروة الله وحدها وحققوا منهج الله في حياتهم كلها، إلا عزوا وانتصروا، ووقاهم

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج2، (174/4)، بتصرف.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم. (65/2). بتصرف. وانظر: النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (248/1).

(3) الرازي، التفسير الكبير، مج4، (223/8)، انظر: الشوكاني: فتح القدير، (560/1)، انظر: البيضاوي: وأنوار التنزيل وأسرار التأويل، (86/2).

(4) كيدهم: الكيد: المكر والاحتيال: قال الراغب هو نوع من الاحتيال وقد يكون ممدوحاً وقد يكون مذموماً وإن كان يستعمل في المذموم -أكثر (انظر) الأصفهاني: المفردات، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم، ط2، 1418هـ-1997م، مادة كيد، (ص728). سأشير إليه: الأصفهاني: المفردات.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير، مج3، (68/4) بتصرف.

الله كيد أعدائهم، وكانت كلمتهم هي العليا، وما استمسك المسلمون في تاريخهم كله بعروة أعدائهم الطبيعيين، الذين يحاربون عقيدتهم ومنهجهم سراً وجهرًا، واستمعوا إلى مشورتهم، واتخذوا منهم بطانة وأصدقاء، وأعاوناً وخبراء ومستشارين... إلا كتب الله عليهم الهزيمة، ويمكن لأعدائهم فيهم، وأذل رقابهم، وأذاقهم وبال أمرهم... والتاريخ كله شاهد على أن كلمة الله خالدة، وأن سنة الله نافذة، فمن عمي عن سنة الله المشهودة في الأرض، فلن ترى عيناه إلا آيات الذلة والإنكسار والهوان⁽¹⁾.

"إن الله -تعالى- أمر المؤمنين بالصبر على عداوة أولئك المبغضين الكائدين وبتقاء شرهم ولم يأمرهم بمقاولة كيدهم وشرهم بمثله وهكذا شأن القرآن، لا يأمر إلا بالمحبة والخير والإحسان ودفع السيئة بالحسنة إن أمكن قال تعالى: "أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ مَنْ أَعْلَمَ بِمَا يَصِفُونَ"⁽²⁾، فإذا لم يمكن تحويل العدو إلى محب بدفع سيئاته بما هو أحسن منها، فإنه يجيز دفع السيئة بمثله من غيربغي ولا اعتداء، كما فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- في معاملته بني النضير الذين نزلت فيهم الآية، فإن الرسول الكريم حالفهم ووادهم فنكثوا وخانوا غير مرة، أعانوا عليه قريشاً⁽³⁾ يوم بدر، وادعوا أنهم نسوا العهد، ثم أعانوا الأحزاب الذين تحزبوا لإبادة المسلمين، ثم حاولوا قتل النبي -صلى الله عليه وسلم- فتعذرت موادتهم، واستمالتهم بالمحبة، وحسن المعاملة، فكان الملجأ إلى قتالهم وإجلائهم⁽⁴⁾.

إن التقى: هو من جمع بين الإيمان والقرآن، فالإيمان أولاً ثم القرآن، ولا يغني أحدهما عن الآخر، فالله -تعالى- هو ولي المؤمنين المتقين، وأما الكافرون فلا ناصر لهم، ولا معين لهم فهنيئاً للمتقين الصالحين الذين يحفظهم الله، ويتولاهم برعايته، لأنهم عباده الذين تخلصوا من

(1) سيد قطب، الظلال، مج1، (4/453)، بتصرف.

(2) سورة المؤمنون: آية 96.

(3) قريش: من أعظم القبائل العربية، وتنسب إلى فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة، ابن معد بن عدنان، من بطونها عبد المطلب والحارث بن عبد المطلب، وحمزة بن عبد المطلب، انظر الوائلي: موسوعة قبائل العرب، (1770/4).

(4) رضا: تفسير المنار، (4/92-93)، بتصرف.

سيطرة الشيطان، وأساليب خداعه، فهم أنصار الله لا يخافون من عقابه، ولا يحزنون على ما فاتهم من أمور الدنيا الزائلة.

"ألا إن أنصار الله لا خوف عليهم في الآخرة من عقاب الله؛ لأن الله رضي عنهم فأمنهم من عقابه، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من الدنيا، والأولياء جمع ولي وهو النصير"⁽¹⁾.

تساؤل: من هم أولياء الله؟

قال بعضهم:⁽²⁾ هم قوم يذكر الله لرؤيتهم لما عليهم من سيما الخير والإخبات⁽³⁾

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن من عباد الله عبداً ليسوا بأنبياء يغيظهم الأنبياء والشهداء: قيل من هم يا رسول الله فلعلنا نحبههم؟ قال: هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب، وجوههم من نور، على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، ثم قرأ "ألا إن أولياء الله..... الآية"⁽⁴⁾.

قال علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه -: أولياء الله قوم صُفِرَ الوجوه من السهر عُمس⁽⁵⁾ العيون من الصبر، خُمص⁽⁶⁾ البطون من الجوع، يُبس الشفاه من الذوي⁽⁷⁾⁽⁸⁾.

(1) الطبري، جامع البيان، (مج5/4226).

(2) الطبري/ جامع البيان، (مج5/4226).

(3) الإخبات: الخبت اللين والتواضع والخشوع/ (انظر) الأصفهاني/ المفردات/ مادة خبت (ص272).

(4) أخرجه ابن حبان في صحيحه، انظر ابن بلبان الفارسي، (ت739هـ)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1418هـ-1997م، برقم (573)، (مج2/332-333). قال المحقق شعيب الأرنؤوط إسناداه صحيح.

(5) عمش: الأعمش الفاسد العين، الذي تغسق عينه، والعمش ضعف رؤية العين مع سيلان دمعها، في أكثر أوقاتها. ابن منظور: لسان العرب، مادة عمش، (6/320).

(6) خمص: مجاعة تورث خمص البطن أي: ضموره، يقال رجل خامص أي ضامر، وأخمص القدم باطنها، وذلك لضمورها. انظر: الأصفهاني: المفردات، مادة خمص، (ص299).

(7) الذوي: ذوي، ذوى العود والبقل ذبل، فهو ذاو وهو أن لا يصيبه ريّه أو يضر به الحر فيذبل ويضعف، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة ذوي، (14/290).

(8) الرضي، نهج البلاغة، (2/406).

بينما فسر الإمام الشوكاني الولي بقوله: "الولي في اللغة: القريب، والمراد بأولياء الله: خالص المؤمنين كأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته، واجتناب معصيته... فهم يؤمنون بما يجب الإيمان به، ويتقون ما يجب عليهم اتقاؤه من معاصيه سبحانه... وأنهم لا يخافون كما يخاف غيرهم، لأنهم قد قاموا بما أوجب الله عليهم، وانتهوا عن المعاصي التي نهاهم عنها، فهم على ثقة من أنفسهم، وحسن ظن بربهم، وكذلك لا يحزنون على فوت مطلب من المطالب؛ لأنهم يعلمون أن ذلك بعتاء الله وقدره، فيسلمون للقضاء والقدر، ويريحون قلوبهم عن الهم والكدر..."⁽¹⁾.

ومن الملاحظ أن صاحب المنار فسر الولي: القريب بالنسب، والمكانة، والصدقة...، وأولياء الله: هم المؤمنون المتقون...، وهم درجات أعلاها، درجة الذين يتولونه بإخلاص العبادة له وحده، ولا يتخذون من دونه ولياً، ولا شافعاً... وهم الذين آمنوا فجمعوا بين الإيمان الصحيح بالله وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وملكة التقوى⁽²⁾.

عن سعيد بن جبير⁽³⁾ أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سئل من أولياء الله فقال: هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني: السمات والهيئة⁽⁴⁾.

"فكيف يخاف أولياء الله أو يحزنون والله معهم هكذا في كل شأن وفي كل عمل وفي كل حركة أو سكون؛ لأنهم على اتصال مع الله، وهم أولياء الله المؤمنون به الأتقياء المرقبون له في السر والعلن، المؤمنون به حق الإيمان المتقون حق التقوى"⁽⁵⁾.

(1) الشوكاني، فتح القدير، (2/ 639). بتصرف يسير.

(2) رضا: تفسير المنار، (11/ 415-416). بتصرف.

(3) سعيد بن جبير، ابن هشام الأسدي، أحد أعلام التابعين، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي سنة (95هـ) وقيل (94هـ)، (انظر) وفيات الأعيان-ابن خليكان- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ) تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة (بيروت- لبنان) د- ط/مج 2/373، وسأشير إليه: ابن خليكان، وفيات الأعيان.

(4) أخرجه البزار، قال الهيثمي "لم أعرفه وبقيّة رجاله وثقوا". انظر: الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت 807هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق عبد الله محمد الدرويش/ دار الفكر (بيروت-1414-1994) باب في الذين إذا رؤوا ذكر الله، برقم (16779)، (80/10).

(5) قطب: الظلال، (مج 3/ج 11/1804).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية⁽¹⁾ -رحمه الله-: "من كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً، وليست الولاية بتطويل المسبحة، وتوسيع الكم، وتكبير العمامة والنمنمة⁽²⁾ والهمهمة⁽³⁾، وإنما الولاية بالإيمان والتقوى، فيفاس المرء بإيمانه وتقواه، لا بهمهمته ودعواه؛ لأن دعوى الولاية معناه تركية النفس، وتركية النفس معصية لله -عز وجل- تنافي التقوى قال الله -تعالى-: "هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ ۗ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى" ⁽⁴⁾.

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. عبر عن إيمان أوليائه بالفعل الماضي؛ لبيان أنه كان كاملاً باليقين، لم يزل له شك، ولم يحصل بالتدريج⁽⁵⁾.
2. عبر عن تقواهم بالفعل الذي يدل على الحال والاستقبال؛ لأن التقوى تتجدد دائماً بحسب متعلقاتها من كسب، وحرب، وشهوة، وغضب⁽⁶⁾.
3. "إن المعنى الجامع في التقوى: هو اتقاء كل ما لا يرضي الله -تعالى- من ترك واجب، ومنذوب، وفعل محرم ومكروه، واتقاء مخالفة سنن الله -تعالى- في خلقه من أسباب الصحة، والقوة، والنصر، والعزة، سيادة الأمة"⁽⁷⁾.
4. إن أولياء الله -تعالى- دائماً في حفظه وحمايته، لأنه وعدهم بذلك، ولن يخلف الله وعده.

من الآيات الكريمة التي تبين أن المتقين هم أولياء الله، وهم أهل لأن يكونوا أولياء الله، وأولياء نبيه الكريم، فقد جاء في هذا التعبير بصيغة الحصر يقول تعالى: "وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۗ إِنَّ

(1) ابن تيمية بن عبد الحلیم بن عبد السلام تقي الدين... شيخ الإسلام، الإمام العالم العلامة له التصانيف مثل، كتاب الفتاوى وغيرها.. (انظر) وفيات الأعيان، ابن خليكان، (7/11-19) بتصرف.

(2) النمنمة: النم: تزيين الكلام بالكذب، ابن منظور، لسان العرب، مادة نم (12/595).

(3) الهمهمة: وقيل الكلام الخفي، ذا الصوت الخفي وقيل هو صوت معه بحج. ابن منظور: لسان العرب، مادة همم (12/622).

(4) سورة النجم: آية 32.

(5) انظر: رضا، تفسير المنار، (11/417).

(6) انظر: المرجع السابق، (11/417).

(7) المرجع السابق، (11/417).

أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ⁽¹⁾. جعلت الآية الكريمة التقوى صفة لمن يتولون المسجد الحرام، وما أعظمها حقيقة قرآنية تمثل شهادة ربانية كريمة، لمن يرزقون أن يحرصوا في حياتهم الدنيا على طاعة الله، واجتناب معاصيه، فهل يعقل أن يكون أولياء البيت الحرام كما هي دعوى مشركي قريش أولئك الذين يصدون عنه، ويحولون دون المؤمنين، ودون العبادة فيه، وهو بيت توحيد الخالق سبحانه، ومن أولى من أبناء الأمة بأن يوصفوا بالتقوى من كانوا، وحيث كانوا تشملهم دلالة الآية، ليقتدوا بأول المتقين محمد -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه الذين آمنوا به، وصدقوا في نصرته⁽²⁾.

إن المشركين يحسبون أنهم أولياء الله، ولكن أكثرهم لا يعلمون أن أولياء الله -تعالى- هم المتقون الذين يتقون الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه⁽³⁾.

من هم المتقون!؟

قال السُّدِّيُّ⁽⁴⁾: هم أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-⁽⁵⁾.

قال مجاهد⁽⁶⁾: من كانوا حيث كانوا⁽⁷⁾.

قال الحاكم في مستدركه: روي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه جمع قريشاً فقال: هل فيكم من غيركم؟ قالوا: فينا ابن اختنا، وفينا حليفنا، وفينا مولانا، فقال: حليفنا منا ابن اختنا منا ومولانا، إن أوليائي منكم المتقون⁽⁸⁾.

(1) سورة الأنفال: آية 34.

(2) الصالح: التقوى في هدي الكتاب، (1/247-251). بتصرف.

(3) الطبري: جامع البيان، مج5، (19/3837)، بتصرف.

(4) السُّدِّيُّ: اسماعيل بن عبد الرحمن (ت128هـ): تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة، صاحب التفسير والمغازي والسير. انظر: الزركلي: الأعلام، (1/317).

(5) ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم، باب ما كان أوليائه إن أوليائه إلا المتقون، برقم (9036)، (5/1694).

(6) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المقرئ، المفسر، ولد في خلافة عمر، وتوفي وهو ساجد، ورى له الجماعة. انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، (25/66).

(7) ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم. باب ما كان أوليائه إن أوليائه إلا المتقون، برقم (9037)، (5/1694).

(8) الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت405هـ): المستدرک على الصحيحين، رقم (3266)، (4/1225)، قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد. ولم يخرجاه، قال الذهبي، صحيح.

قال الحسن: إن المشركين قالوا: نحن أولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم وقال: "وَمَا كَانُوا
أَوْلِيَاءَهُمْ إِنَّ أَوْلِيَاءَهُمْ إِلَّا الْمُتَّقُونَ" (1).

قال صاحب تفسير الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: المهاجرين والأنصار (2).

جاء في الكشاف للزمخشري: "إن أولياءه إلا المتقون) من المسلمين، ليس كل مسلم أيضاً ممن
يصلح لأن يلي أمره، إنما يستأهل ولايته من كان براً تقياً فكيف بالكفرة عبدة الأصنام؟" (3).

"إن المتقين هم الذين اتقوا صفات النفس وأفعالها...، وأن البيت صورة القلب الذي هو بيت الله
بالحقيقة، فلا يستحق ولايته إلا أهل التقوى من الموحيين دون المشركين" (4).

"إن جماهير المسلمين في أكثر بلادهم صاروا في هذا العصر أجهل من مشركي قريش في ذلك
العصر بمعنى ولاية الله وأوليائه، سواء في ذلك ولاية الحكم، والسلطان، وهي الإمامة العامة،
وولاية التقوى والصلاح، وهي الإمامة الشخصية الخاصة" (5).

أخرج البخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله
عليه وسلم- قال: "إن أوليائي يوم القيامة المتقون، وإن كان نسب أقرب من نسب، فلا يأتيني
الناس بالأعمال وتأتوني بالدنيا تحملونها على رقابكم، فأقول هكذا، وهكذا إلا وأعرض في كل
عطفية" (6)(7).

(1) سورة الأنفال: آية 34.

(2) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد (ت468هـ): الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عدنان داوودي، دار القلم،
دمشق، ط1، مج1، 1995، ص439. سأشير إليه: الواحدي، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز.

(3) الزمخشري: الكشاف، (211/2). وانظر: البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (16/3). انظر: النسفي: تفسير
النسفي، (586/1).

(4) انظر: ابن عربي، محيي الدين (ت638هـ): تفسير القرآن الكريم، تحقيق د. مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت،
ط2، 1978، ص476. بتصرف يسير، سأشير إليه: ابن عربي: تفسير القرآن.

(5) انظر: رضا: تفسير المنار، (659/9).

(6) عطفية: عطف الإنسان: جانباه من لدن رأسه إلى وركه، وهو الذي يمكنه أن يلقيه من بدنه. انظر: لأصفهاني:
المفردات، مادة عطف، ص572.

(7) البخاري: شرح صحيح الأدب المفرد، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، بقلم حسين بن عودة العوايشة، دار ابن حزم
ط1، مج3، 1423-2003م، ص22. باب الحساب، رقم (688). قال الألباني، اسناد حسن. وانظر: السيوطي: الدر
المنثور، (198/3).

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. إن أولياء الله: هم الذين صارت التقوى العامة صفة راسخة فيهم⁽¹⁾.
 2. "إن بيت الله يرثه أولياؤه الذين يتقون المعاصي والمنكرات ولا يعبدون غيره سبحانه وتعالى"⁽²⁾.
 3. "إن المقصود بأولياء الله سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- ومن آمن معه"⁽³⁾.
 4. على المسلم أن يكون ولاؤه لله عز وجل حتى يكون من أولياء الله تعالى المتوكلين عليه والمخلصين له، ولا يتكل على الحسب، والنسب وغيرها.
- وإذا ما استقرأنا كتاب الله -تبارك وتعالى- نجد أن هناك آية أخرى تتحدث عن التقوى في كونها صفة من صفات أولياء الله -تعالى-.
- يقول تعالى: " وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ " ⁽⁴⁾.
- "إن الظالمين بعضهم أنصار بعض، وأعاونهم على الإيمان بالله وأهل طاعته...، والله يلي من اتقاه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه بكفايته، ودفاع من أراده بسوء، يقول الله -تعالى- لنبيه - عليه الصلاة والسلام-: فكن من المتقين، يكفك الله ما بغاك وكادك به هؤلاء المشركون، فإنه ولي من اتقاه، ولا يعظم عليك خلاف من خالف أمره، وإن كثرت عددهم، لأنهم لن يضروك ما كان الله وليك وناصرك"⁽⁵⁾.

(1) رضا: تفسير المنار، (658/9).

(2) ابن عربي، تفسير القرآن، (مج1، 476).

(3) الثعلبي، أبو اسحاق أحمد (ت427هـ): الكشف والبيان المعروف (بتفسير الثعلبي) دراسة وتحقيق محمد بن عاشور، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ-2002م / (353/4). سأشير إليه: الثعلبي: تفسير الثعلبي.

(4) سورة الجاثية: آية 19.

(5) انظر: الطبري: جامع البيان، (مج9/7377).

قال ابن عباس: "يريد أن المنافقين أولياء اليهود، (والله ولي المتقين) أي: ناصرهم، ومعينهم والمتقون هنا: الذين اتقوا الشرك، والمعاصي"⁽¹⁾.

"إن الله -تعالى- حقر شأن الظالمين مشيراً بذلك إلى كفار قريش، ووجه التحقير أنه قال: هؤلاء يتولى بعضهم بعضاً، والمتقون يتولاهم الله، فخرجوا عن ولاية الله، وتبرأت منهم، ووكّلهم الله بعضهم إلى بعض"⁽²⁾.

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. إن الله -تعالى- ناصر المؤمنين المتقين في الدنيا والآخرة⁽³⁾.
2. ماذا تغني ولاية الظالمين لبعضهم البعض لأنهم لا يزيدونهم إلا خساراً، ودماراً، وهلاكاً "والله ولي المتقين"⁽⁴⁾.
3. "إن الظالمين يتولى بعضهم بعضاً في الدنيا، ولا ولي لهم في الآخرة"⁽⁵⁾.
4. "إن الله -تعالى- (ولي المتقين) الذين همهم الأعظم الاتصاف بالحكمة، باتخاذ الوقايات المنجية لهم من سخط الله ولا ولاية بينه وبين الظالمين"⁽⁶⁾.
5. إن الظالمين لا ولي لهم ينفعهم في إيصال الثواب، وإزالة العقاب⁽⁷⁾.

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج8، (154/16).

(2) انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، (84/5).

(3) انظر: الصابوني، محمد علي: صفوة التفاسير، دار الصابوني، ط9، د.ت، (مج3/185). سأشير إليه: الصابوني، صفوة التفاسير.

(4) انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (177/7).

(5) القوجوي، حاشية محيي الدين شيخ زاده، (531/7).

(6) البقاعي: نظم الدرر، (101/7).

(7) انظر: الرازي: التفسير الكبير، مج14، (28/267).

6. ولاية الظالمين لبعضهم البعض قد تنفعهم في الدنيا لبعض الوقت، وبخاصة إذا تولى أهل الحق ولم يوال بعضهم بعضاً، كما في الولاء بين إسرائيل وأمريكا ودول الكفر، ضد أهل الإسلام المتفرقين.

فماذا تعني ولاية الظالمين لبعضهم، وقد تخلت عناية الله، ونصرته عنهم يقول تعالى:
"اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ" (1).

(1) سورة البقرة: آية 257.

المبحث السادس

التقوى ميزان التفاضل

قال تعالى: "يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"⁽¹⁾، أي الناس أفضل؟! سؤال يجول بخاطر الكثيرين، قد يعتقد بعضهم أن أفضل الناس أكثرهم مالاً وجاهاً وولداً، ولكن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقود كل مؤمن ومؤمنة إلى سماحة التقوى، فيعلن أن التفاضل فيما بينهم مرده إلى كون العبد متقياً لله -تبارك وتعالى- مراقباً له في كل شأن من شؤونه. عن عبد الله بن عمرو بن العاص⁽²⁾ -رضي الله عنهما- قال: قيل لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أي الناس أفضل؟ قال: "كل مخموم"⁽³⁾ القلب، صدوق اللسان، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: التقى النقي لا إثم فيه، ولا بغي،⁽⁴⁾ ولا غل⁽⁵⁾، لا حسد"⁽⁶⁾⁽⁷⁾.

(1) سورة الحجرات: آية 13.

(2) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي السهمي، كان فاضلاً عالماً قرأ القرآن والكتب المتقدمة توفي (63هـ) وقيل (65هـ). انظر: ابن الأثير: أسد الغابة، (49/3).

(3) مخموم: المخموم القلب: النقي من خمت البيت إذا كنته: انظر: ابن اللباد: أباً محمد عبد اللطيف بن يوسف بن علي بن محمد بن علي البغدادي (ت629هـ)، المجدد للغة الحديث، تحقيق أبو عبد الله بن جمعة هندوي، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط1 (1423-2002م، ص121).

(4) بغي: البغي، الظلم والفساد معظم الأمر. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة بغا (78/14).

(5) غل: الغل العداوة وغل يغل إذا صار ذا غل. ضعف. الأصفهاني: المفردات مادة غل، ص610. انظر: ابن منظور: لسان العرب، (499/11)..

(6) حسد: تمنى زوال نعمة من مستحق لها، وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها، انظر: الأصفهاني، المفردات، ص234. وانظر: ابن منظور: لسان العرب، (148/3).

(7) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت273هـ): سنن ابن ماجه، دار الجيل، بيروت، ط1، 1418-1998م، برقم (4216). (ص699). قال الألباني: حديث صحيح.

ليس غريباً أن يكون المؤمن التقى بهذه المنزلة عند الله - عز وجل - فإن الله تبارك وتعالى يحب العبد التقى الغني النفس عن حب الظهور والرياء، يقول الرسول - عليه الصلاة والسلام -: "إن الله يحب العبد التقى الغني الخفي"⁽¹⁾.

"فمن أراد أن يعيش مكرماً، وأن يموت مكرماً، وأن يبعث يوم القيام مكرماً، فليتق الله ربه، قال تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ" إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"⁽²⁾.

ولم يقل: أغناكم فالغنى خاص بالأثرياء، ولم يقل أفواكم، فالقوة خاصة بالأقوياء، أما التقوى فهي نعمة عامة، يشترك فيها الفقراء والأغنياء، وكذلك الأقوياء والضعفاء، فمن أراد أن يكرمه الله فليكرم نفسه بالتقوى، ومن عاش تقياً، عاش مكرماً، ومات على كلمة التوحيد مكرماً، وبعث إن شاء الله مكرماً⁽³⁾.

تساؤل: من أكرم الناس؟

أخرج البخاري بسنده عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قيل: يا رسول الله من أكرم الناس؟! قال: "أتقاهم، فقالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فيوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله ابن خليل الله، قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: فعن معادن العرب تسألون؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا"⁽⁴⁾.

بين الحديث الشريف: أن ميزان التفاضل عند الله - تعالى - هو: التقوى لا بالأحساب، فالتقوى مقدمة على كل فضيلة.

(1) مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت261هـ). صحيح مسلم، كتاب الزهد والرفائق، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د. ط، 1419 - 1998، برقم (2965)، ص1190. سأشير إليه: مسلم: صحيح مسلم.

(2) سورة الحجرات: آية 13.

(3) غنيم: التقوى جنة. ص43-46. بتصرف.

(4) البخاري، محمد بن اسماعيل بن المغيرة (ت256هـ): صحيح البخاري، درا الفيحاء، دمشق، ط2، (1419-1999)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله - تعالى - "واتخذ الله إبراهيم خليلاً" برقم (3353). (ص559). سأشير إليه البخاري: صحيح البخاري.

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له: "انظر فإنك ليس بخير من أحمر ولا أسود، إلا أن تفضلته بتقوى الله"⁽¹⁾.

وقد استدلل بعض العلماء بهذه الآية الكريمة، وهذه الأحاديث الشريفة، إلى أن الكفاءة في النكاح لا تشترط، ولا يشترط سوى الدين⁽²⁾ لقوله تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ"⁽³⁾.

يقول الإمام البيضاوي⁽⁴⁾ - رحمه الله -: "إن التقوى بها تكمل النفوس، وتتفاضل بها الأشخاص، فمن أراد شرفاً فليتمسه منها"، قال - عليه الصلاة والسلام - "يا أيها الناس إنما الناس رجالان، مؤمن تقى كريم على الله، وفاجر شقي هين"⁽⁵⁾ على الله⁽⁶⁾.

قال قتادة في هذه الآية: "إن أكرم الكرم التقوى، وألأم اللؤم الفجور"⁽⁷⁾ قال ابن عباس: "كرم الدنيا الغنى، وكرم الآخرة التقوى"⁽⁸⁾.

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. تدل الآية الكريمة على أن التقوى: هي المراعى عند الله - تعالى - وعند رسوله - صلى الله عليه وسلم - دون الحسب والنسب⁽⁹⁾.

2. إن المراد: من يكون أتقى يكون عند الله أكرم أي: التقوى تفيد الإكرام. ومن يكون أكرم عند الله يكون أتقى، أي الإكرام يورث التقوى⁽¹⁰⁾.

3. إن المراد بالأكرم: الأنفس الأشرف⁽¹¹⁾.

(1) أحمد: المسند، برقم (21407)، (321/35). قال المحقق شعيب الأرنؤوط صحيح لغيره. وأورده الألباني في صحيح

الترغيب والترهيب، كتاب الأدب، الترهيب من احتقار المسلم برقم (4963) (135/3). وقال الألباني: حسن لغيره.

(2) انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (258/7).

(3) سورة الحجرات: آية 13.

(4) البيضاوي: تفسير البيضاوي، (219/5).

(5) هين: الوهن، الضعف في العمل والأمر وكذلك في العظم ونحوه. انظر: ابن منظور، لسان العرب، (148/3).

(6) الترمذي: سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب (49) ومن سورة الحجرات، برقم (3270)، ص739. قال الألباني: حديث صحيح.

(7) البغوي، أبو محمد بن مسعود الفراء (ت516هـ): تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1414-1993، (196/4). سأسير إليه: البغوي: معالم التنزيل.

(8) المرجع السابق، (196/4).

(9) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج8، (312/16).

(10) انظر: الرازي: التفسير الكبير، مج14، (141-140/28).

(11) انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج12، (262/26).

4. إن الله -تعالى- يعلم أتقى الناس، وهو الخبير بهم، ولا تخفى عليه خافية⁽¹⁾.

5. تبين الآية عدم جواز الافتخار بغير التقوى⁽²⁾.

6. "تدل الآية الكريمة على أن دين الإسلام دين سماوي صحيح لا نظر فيه إلى الألوان، ولا إلى العناصر، ولا إلى الجهات، وإنما المعتبر فيه تقوى الله -جل وعلا- وطاعته، فأكرم الناس وأفضلهم أتقاهم لله، ولا كرم ولا فضل لغير المتقي، ولو كان رفيع النسب"⁽³⁾.

"إن الكريم حقاً هو الكريم عند الله، وهو يزن الناس عن علم، وعن خبرة بالقيم والموازن... وهكذا تسقط جميع الفوارق، وتسقط جميع القيم، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر... ويرفع لواء واحد، يتسابق الجميع؛ ليقفوا تحته. إنه لواء التقوى في ظل الله⁽⁴⁾.

إن الآية الكريمة تقرر مبدأ عظيماً هو: مبدأ المساواة الطبيعية، حين تذكر أن جميع الناس مخلوقون من ذكر وأنثى، وأن أساس التفاضل بينهم. هو: التقوى، وحسن الخلق، لا أوفرهم مالا، ولا أحسنهم حالاً، وجاهاً وسلطاناً ولا أنقبهم فهماً، ولا أوسعهم علماً، ولا أشدهم قوة".
قال ابن القيم في كتابه الفوائد: "وقد جمع النبي -عليه الصلاة والسلام- بينهما، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه، وحسن الخلق، يصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته"⁽⁵⁾.

(1) انظر: الطبري: جامع البيان، (مج9/7548). بتصرف.

(2) انظر: الحنبلي، أبي حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت880هـ): اللباب في علوم الكتاب، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419-1998، (17/554).
سأشير إليه: الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب.

(3) الشنقيطي، محمد أمين بن محمد المختار الحلبي (ت1393هـ): أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، د. ط، 1415هـ-1995م، (418/7)، سأشير إليه: الشنقيطي: أضواء البيان.

(4) قطب: الظلال، مج6، (26/3348). بتصرف.

(5) ابن القيم (ت175هـ): الفوائد، ضبطها وحققها عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، (1407هـ-1987م)، ص63. سأشير إليه: ابن القيم، الفوائد.

المبحث السابع التقوى سبب العلم

لقد حث الله -تبارك وتعالى- على العلم وبين أن أكثر الناس خشية الله عز وجل هم العلماء، يقول تعالى: "إِنَّمَا تَخَشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"⁽¹⁾ حيث إن التقوى تنمي العلم، وهي سبب في تحصيله، كما أن العلم سبب التقوى، يقول تعالى: "وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"⁽²⁾.

جاءت -هذه الآية الكريمة- بعد آية المداينة التي هي أطول آية في كتاب الله -تعالى- وبعد أن بينت الآيات السابقة العديد من الأحكام التي تتعلق بالدين والتوثيق وغيرها... جاء الأمر بتقوى الله على وجه العموم وأنه سبب في تحصيل العلم، لأنهم يتقون الله، ويفوزون بما يقذف في قلوبهم من النور، وما يؤتيهم من الفهم الدقيق السليم، لأن الله هو العليم بحقائق الأمور، وعواقبها ولا يخفى عليه شيء من الأشياء، بل علمه محيط بجميع الكائنات، فعلى المؤمن أن يتقوا الله، حتى يظفر بعلم الله، وبما وعد الله به عباده المتقين⁽³⁾.

قال الإمام الطبري -رحمه الله تعالى- في معرض تفسيره للآية الكريمة: "وخافوا الله أيها المتدائنون في الكتاب، والشهود أن تضاروهم، وفي غير ذلك من حدود الله أن تضيعوه...، وبيّن لكم الواجب لكم وعليكم، فاعملوا به... والله بكل شيء من أعمالكم وغيرها يحصيها عليكم ليجازيكم بها"⁽⁴⁾. هكذا بين الإمام الطبري أن الأمر في الآية الكريمة مفيد للعموم.

وقد بينت هذه الآية الكريمة العلاقة القوية بين العلم، وتقوى الله -تعالى- وأن من أعلى صور التقوى طاعة الله بالعمل بدينه، على علم بأحكام هذا الدين، ولذلك تكون سبباً لأن يفيض الله على العالم من المعارف التي هي من نور الكتاب، والسنة ما يزيده فهماً، وقرباً من الله عز وجل،

(1) سورة فاطر: آية 28.

(2) سورة البقرة: آية 282.

(3) الصالح: التقوى في هدي الكتاب، (4/293). بتصرف يسير.

(4) الطبري: جامع البيان، (مج2، ص1636). بتصرف يسير.

وكذلك نجد أن الإنسان المتقي يضع كلامه المنضبط بضوابط الشرع موضع القبول في الناس،
وكم للإخلاص من أثر في هذه الحقيقة⁽¹⁾.

إن تقوى الله -تبارك وتعالى- سبب كبير في الوصول إلى أكبر درجات العلم، حيث يتعلم
الإنسان ما فيه قيام مصلحته، وحفظ ماله، وتقوية الرابطة ما بينه وبين ربه، فإنه لولا هداية الله،
لا يعلم شيئاً، وهو سبحانه و-تعالى- العليم بكل شيء، فإذا شرع شيئاً فإنما يشرعه على علم
محيط بأسباب درء المفساد، وجلب المصالح لمن اتبع شرعه⁽²⁾.

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. "وعد من الله -تعالى- بأن من اتقاه علمه، أي يجعل في قلبه نوراً يفهم به ما يلقي
إليه"⁽³⁾.

2. يجعل الله -تعالى- في قلب المتقي ابتداءً فرقاناً أي: فيصلاً يفصل به بين الحق
والباطل⁽⁴⁾.

3. إن الله -تعالى- لا يخفى عليه شيء من الأشياء، بل علمه محيط بجميع الكائنات⁽⁵⁾.

4. إن إظهار لفظ الجلالة -في هذه الآية الكريمة- تعظيم للمقام وتعميم للتعليم⁽⁶⁾.

5. جملة "يعلمكم الله" تذكر بنعم الله التي أشرفها التعليم للعلوم.... (وانقوا) تقديره واتقوا الله
مضموناً لكم، التعليم والهداية...، وفيها إشعار بالمجازاة للفاسق والمتقي، وأعيد لفظ
الجلالة في هذه الجمل الثلاث على طريق تعظيم الأمر... فالأولى حث على التقوى،
والثانية تذكّر بالنعم، والثالثة تتضمن الوعد والوعيد⁽⁷⁾.

(1) الصالح: التقوى في هدي الكتاب، (4/293-322). بتصرف.

(2) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، مج3، (3/118) بتصرف.

(3) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج2، (3/368). انظر: الشوكاني: فتح القدير، (1/452).

(4) المرجع السابق، مج2، (3/368). بتصرف.

(5) انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (1/391).

(6) انظر: البقاعي: نظم الدرر، (1/549).

(7) أبو حيان: البحر المحيط، (2/370-371). بتصرف.

6. إن التقوى لا تعرف إلا بالعلم⁽¹⁾.

قال صاحب زهرة التفاسير: "ختم الله سبحانه -تعالى- هذه الآية بما يربي المهابة للأوامر العلية، والوصايا الإلهية وقد اشتمل ذلك على ثلاثة أمور:

الأول: "تقوى الله، فإنها نور القلب، وهي الشعور بمراقبة الله، وفي ذلك إشارة إلى وجوب مراقبة الله عند التعامل، ونية الأداء.

الثاني: الإشعار بأن هذا تعليم من الله اللطيف الخبير، ليحسن التعامل، ويقوم على أسس من الثقة والاطمئنان ومنع الريب⁽²⁾.

الثالث: الإشعار بإحاطة علم الله، فما يأمر به هو أمر عليم حكيم يعلم وجه المصلحة، وهو عليم بالضمائر، وهو الذي يتولى السرائر⁽³⁾.

إن الآية الكريمة تؤكد على أنه يجب على العباد اتقاء ربهم، بامتنال أوامره، واجتناب نواهيه مخلصين له الدين فإن ذلك يعود عليهم بالخير في الدنيا والآخرة.

قال صاحب تفسير المنار: "لقد ختم الآية بالموعظة العامة التي تعين النفس على الامتنال في جميع الأعمال، وذلك قوله -عز وجل-: "وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"⁽⁴⁾ أي: اتقوا الله في جميع ما أمركم به ونهاكم عنه، وهو يعلمكم ما فيه قيام مصالحكم، وحفظ أموالكم، وتقوية رابطتكم، فإنكم لولا هدايته لا تعلمون ذلك وهو سبحانه العليم بكل شيء، فإذا شرع شيئاً، فإنما يشرعه عن علم محيط بأسباب درء المفساد، وجلب المصالح لمن اتبع شرعه. وكرر لفظ الجلالة، لكمال التذكير، وقوة التأثير⁽⁵⁾.

وخلاصة الأمر أن الله -تبارك وتعالى- قد أفاض على أهل التقوى بالعلم في أمور الدنيا والدين، لأن العلم أصل للتقوى وسببها، لا يكون إلا بالتعلم، وعدم التعلم يوقع الإنسان في الجهل، وناهيك بذلك من مصيبة في الدين.

(1) المرجع السابق، (371/2). بتصريف يسير.

(2) الريب: أن تتوهم بالشيء أمراً ما فينكشف عما تتوهمه. الأصفهاني: المفردات، مادة ريب، ص368.

(3) أبو زهرة: زهرة التفاسير، (مج2/1075-1076).

(4) سورة البقرة: آية 282.

(5) رضا: تفسير المنار، (128/3).

المبحث الثامن

التقوى ثمرة التوحيد

الكلمة المباركة النيرة: شهادة أن لا إله إلا الله، ما أعظمها من كلمة، وما أسماها من نعمة، إنها كلمة التقوى، فهي عنوان التوحيد، والوقاية من الشرك، من نطق بها لسانه، وأخلص بها قلبه، كانت له نوراً يوم القيامة، يصل إلى رحمة الله، ويقيه عذاب الجحيم، ولهذا فقد أضيفت الكلمة الطيبة إلى التقوى، لأنها سببها، يقول -تعالى- " وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا "(1).

قال الإمام الطبري -رحمه الله-: "ألزمهم قول: لا إله إلا الله الذي يتقون به النار وأليم العذاب"(2).

إن تفسير كلمة التقوى في الآية الكريمة بكلمة التوحيد، هو قول علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وهو قول ابن عباس -رضي الله عنهما-، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، السدي... وغيرهم، عن ابن عباس قوله "وألزمهم كلمة التقوى" يقول: لا إله إلا الله(3)، فهي كلمة التقوى، وهي رأس كل تقوى، ومنهم من قال: أن معناها بسم الله الرحمن الرحيم(4)، ومنهم من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير(5)... وقيل غير ذلك.

عن أبي بن كعب عن أبيه -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "وألزمهم كلمة التقوى قال: لا إله إلا الله"(6).

(1) سورة الفتح: آية 26.

(2) الطبري: جامع البيان، (مج9/ 7506).

(3) ابن الجوزي: زاد المسير، (مج7/ 171).

(4) المرجع السابق: (مج7/ 171).

(5) المرجع السابق: (مج7/ 171).

(6) الترمذي: سنن الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الفتح، برقم (3265)، ص738. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن قرعة.

"وفي إضافة كلمة إلى (التقوى) إضافة حقيقية أي: إن كلمة الشهادة أصل التقوى، فإن أساس التقوى اجتناب عبادة الأصنام، ثم تتفرع عن ذلك شعب التقوى كلها"⁽¹⁾.

عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قال: "سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إنني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه إلا حُرْمَ على النار"، فقال له عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، أنا أحدثك ما هي؟ هي كلمة الإخلاص التي ألزمها الله -تبارك وتعالى- محمداً وأصحابه، وهي كلمة التقوى التي أُلصق⁽²⁾ عليها نبي الله عمه أبا طالب عند الموت: شهادة أن لا إله إلا الله"⁽³⁾.

كلمة التقوى في القرآن⁽⁴⁾:

لهذه الكلمة المشرفة "لا إله إلا الله" كلمة السعادة، والنجاة، والفوز العظيم، والتوحيد الخالص، أسماء عديدة في القرآن الكريم، منها:

1. كلمة الإخلاص: قال تعالى: "فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١٠٦﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ"⁽⁵⁾، أي

العبادة . ولا يتم الإخلاص لله -تعالى- في العبادة إلا بتوحيده، وإفراجه بالألوهية، والربوبية، ونفي الشريك، والمماثل له تعالى: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"⁽⁶⁾، وقد سميت سورة: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ"⁽⁷⁾ في القرآن سورة الإخلاص؛ لورودها كلها في التوحيد الخالص.

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج12، (196/26).

(2) أُلصق: أُلصق الإنسان: أداره عن الشيء يريد منه. انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة لوص، (89/7).

(3) أحمد بن حنبل: المسند، (2499/1)، رقم (447)، (77/1). قال المحقق شعيب الأرنؤوط إسناده قوي.

(4) طريق القرآن - ناصر بن مسفر الزهراني، كلمة التقوى، الاثنيين 25 جمادي الأولى، 1428هـ، الموافق 11 يونيو 2007م، www.guran.way.net.

(5) سورة الزمر: آية 2-3.

(6) سورة الشورى: آية 11.

(7) سورة الإخلاص: آية 1.

2. كلمة الإحسان: أحسن بها العبد إلى نفسه بتوحيد الله -تعالى- قولاً باللسان، واعتقاداً بالجنان، وعملاً بالأركان، فأحسن الله -تعالى- إليه بالجزاء الأوفى والثبوة، العظمى، قال تعالى: "هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ" (1)، ولا إحسان أعظم من جزائه -تعالى- عليه، قال -تعالى- "لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ" (2)، والحسنى جنة الخلد في النعيم المقيم، والزيادة النظر في الجنة إلى وجه الله الكريم.

3. كلمة العدل: قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَنِ" (3)، قال ابن عباس-رضي الله عنهما-: "العدل شهادة أن لا إله إلا الله" (4).

4. الطيب من القول: قال تعالى: "وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ" (5)، ولا قول أطيب وأظهر وأزكى من قول: لا إله إلا الله، هداهم الله إليه، فهداهم إلى الإسلام، وهو صراط الله الحميد، والصراط المستقيم.

5. الكلمة الطيبة: وصفت بالثبات لأن أول من شهد بها هو الله -تعالى- قال سبحانه: "إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ" (6)، وقال تعالى: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ" (7)، أي كلمة التوحيد كشجرة طيبة الثمار، كثيرة المنافع، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. وقيل: هي النخلة.

6. الكلمة الثابتة: وصفت بالثبات لأن أول من شهد بها هو الله -تعالى- قال سبحانه: "شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ" (8)، وهو القول الحق المحكم الذي يثبت الله به المؤمنين في الحياتين، كما قال تعالى: "يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ"

(1) سورة الرحمن: آية 60.

(2) سورة يونس: آية 26.

(3) سورة النحل: آية 90.

(4) ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم. برقم (12635)، (2299/7).

(5) سورة الحج: آية 24.

(6) سورة فاطر: آية 10.

(7) سورة إبراهيم: آية 24.

(8) سورة آل عمران: آية 18.

الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ⁽¹⁾، وأول منازل الآخرة القبور عند الموت.

7. كلمة التقوى: اتقى بها أهلها أن يصفوه -تعالى- بما وصفه به المشركون، فوقوا أنفسهم سوء العذاب، قال تعالى: "فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا"⁽²⁾، فهم أحق الخلق بهذه الكلمة، وهي مفتاح محبة الله، ومفتاح الجنة، وهم أهل التقوى، وأهل المغفرة.

8. الكلمة الباقية: التي لا تزول، ولا تحول قال -تعالى-: "وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ"⁽³⁾، أي في عقب إبراهيم الخليل -عليه السلام- الذي قال لأبيه وقومه: "إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ"⁽⁴⁾، ولذلك قال المفسرون: إنها كلمة التوحيد.

9. كلمة الله العليا: المستعلية على كل شيء لأحقيتها، وعظمتها، قال تعالى: "وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى^٥ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا^٦ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ"⁽⁵⁾، بها استعلى هذا الدين الحنيف على سائر الأزمان، كما قال تعالى: "لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ"⁽⁶⁾، لأنه هو الدين الحق، ولو كره المشركون.

10. المثل الأعلى: قال قتادة في قوله تعالى: "وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى"⁽⁷⁾، هو قول: لا إله إلا الله⁽⁸⁾، والمثل الصفة، قال تعالى: "مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ"⁽⁹⁾ أي صفتها.

(1) سورة إبراهيم: آية 27.

(2) سورة الفتح: آية 26.

(3) سورة الزخرف: آية 28.

(4) سورة الزخرف: آية 26.

(5) سورة التوبة: آية 40.

(6) سورة الفتح: آية 28.

(7) سورة النحل: آية 60.

(8) الماوردي: النكت والعيون، (مج3/195).

(9) سورة الرعد: آية 35.

11. كلمة السواء: قال تعالى: "قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمۡ ۖ ٱلَّا نَعْبُدُ ۖ ۭ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ فَاِن تَوَلَّوْا۟ فُقُوْا۟ ۭ أَشْهَدُوْا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" (1).

12. كلمة النجاة: حيث لا نجاة من عذاب الله إلا بها، قال تعالى: "إِن ٱللَّهُ لَا يَغْفِرُ ۖ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ" (2)، "إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌۭ عَظِيمٌ" (3)، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة" (4).

13. دعوة الحق: قال تعالى: "لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ" (5)، أي الله -تعالى- الدعوة الملايسة للحق الثابت، وهي كلمة التوحيد، ومعنى كونها له -تعالى- أنه شرعها وأمر بها، وجعل افتتاح الإسلام بها بحيث لا يقبل بدونها، وأما دعوة الكافرين فهي باطل من القول، وضلال مبين، كما قال تعالى: "وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلٰلٍ" (6).

14. العهد: قال تعالى: "لَا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَعَةَ إِلَّا مَن ٱتَّخَذَ عِنْدَ ٱلرَّحْمٰنِ عَهْدًا" (7)، قال ابن عباس: "العهد هو شهادة لا إله إلا الله" (8) بدليل قوله تعالى: "وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِيۦ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ" (9)، وعهده -تعالى- هو الإيمان الذي أمر به بقوله: "وَأَمِنُوا۟ بِمَاۤ أُنزِلْتُ" (10)، وهو أول العهود، لقوله تعالى: "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ" قالوا بلى" (11).

(1) سورة آل عمران: آية 64.

(2) سورة النساء: آية 116.

(3) سورة لقمان: آية 13.

(4) البخاري: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، برقم (129). ص28.

(5) سورة الرعد: آية 14.

(6) سورة الرعد: آية 14.

(7) سورة مريم: آية 87.

(8) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج6، (76/11).

(9) سورة البقرة: آية 40.

(10) سورة البقرة: آية 41.

(11) سورة الأعراف: آية 172.

15. كلمة الاستقامة: قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا"⁽¹⁾، قال ابن عباس: استقاموا على طاعة الله وأداء فرائضه"⁽²⁾.

16. مقاليد السماوات والأرض: قال تعالى: "لَهُدُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ"⁽³⁾، أي مفاتيحها، قال ابن عباس: هي قول لا إله إلا الله"⁽⁴⁾، إذ الوجدانية سبب لعمارة العالم، كما أن الشراكة سبب لخرابه، قال تعالى: "لَوْ كَانَ فِيهِمَا آِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا"⁽⁵⁾.

17. القول السديد: الذي يسد عن صاحبه أبواب جهنم يوم القيامة، فهو فعيل بمعنى فاعل.

18. البر: قال تعالى: "وَلَنْ يَكُنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ"⁽⁶⁾، فالبر إشارة إلى الإيمان والتوحيد.

19. الدين الخالص: قال تعالى: "أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ"⁽⁷⁾، أي: الله -تعالى- العباداة الخالصة له والخضوع، والانقياد له لا لغيره، وإنما يكون كذلك إذا كان واحداً في ألوهيته، لا شريك له.

20. الصراط المستقيم: قال تعالى: "أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ"⁽⁸⁾، "وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ"⁽⁹⁾، "وَأَنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا

(1) سورة فصلت: آية 30.

(2) ابن الجوزي: زاد المسير، (مج/61/7).

(3) سورة الزمر: آية 63.

(4) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج6، (176/11).

(5) سورة الأنبياء: آية 22.

(6) سورة البقرة: آية 177.

(7) سورة الزمر: آية 3.

(8) سورة الفاتحة: آية 6.

(9) سورة الأنعام: آية 153.

إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ⁽¹⁾، وهو قول لا إله إلا الله "صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ"⁽²⁾.

21. كلمة الحق: قال تعالى: "إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ"⁽³⁾، وهو قول لا إله إلا الله.

22. العروة الوثقى: قال تعالى: "فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمَسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا"⁽⁴⁾، وهي كلمة التوحيد.

23. كلمة الصدق: قال تعالى: "وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِمْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ"⁽⁵⁾، وهو قول: لا إله إلا الله.

هكذا يتبين لنا أن أولياء الله -تعالى- دائماً في حفظه ونصره وتأييده، لهم الأجر العظيم يوم القيامة، ولا يحزنون على ما تركوا خلفهم، بل يفرحوا بما حصلوا عليه من الفضل العظيم، ولا شك أن أهل الإسلام مدعوون اليوم -أكثر من أي وقت مضى- خاصة في هذا الزمان الذي يشهد فيه العداء للإسلام، وأهله من البعيد والقريب فإن المسلمين جميعاً مدعوون إلى أن يتقوا الله في أنفسهم، وفي الأجيال القادمة، وأن يلتزموا بكتاب الله، وسنة المصطفى -عليه الصلاة والسلام- نسأل الله -تبارك وتعالى- أن يجعلنا من أوليائه المتقين الفائزين برحمته انه سميع مجيب الدعاء.

لقد كان حديثنا في هذا الفصل حول فضائل التقوى، والأتقياء أتباع الأنبياء المخلصين لربهم، القانتين المطيعين، لقد استنارت قلوبهم بالإيمان، واليقين ونبقت عقولهم بالهداية، والعرفان واستقامت نفوسهم على طاعة الديان، وازدانت جوارحهم بالصالحات من الأعمال، تمسكوا بالعروة الوثقى، واعتصموا بحبل الله المتين، فاتخذوا كل ذلك سبباً إلى جنات الفردوس، فتبؤوا

(1) سورة الحج: آية 54.

(2) سورة الشورى: آية 53.

(3) سورة الزخرف: آية 86.

(4) سورة البقرة: آية 256.

(5) سورة الزمر: آية 33.

منها منزلاً، لا يريدون التحول عنه، إنهم عرفوا الحقائق، وقيمها الراسخة الخالدة، فتمسكوا بها، وعرفوا زيف زينة الحياة الدنيا، فأنزلوها منزلتها الصحيحة.

وأما اليوم فقد غابت عن المسلمين المفاهيم الإسلامية الصحيحة، وغربت شمس الإسلام لما فقد الرجال الذين يقومون به، ويضحون من أجله، وصارت الدنيا أكبر هم الناس، ومبلغ علمهم، فأين في المسلمون اليوم خبيب بن عدي⁽¹⁾، وخالد بن الوليد⁽²⁾ وغيرهم... كثير ممن رباهم سيد الخلق محمد -عليه الصلاة والسلام-، فالواجب على المسلم أن لا يغتر بزخارف الدنيا، وأن تكون الآخرة نيته، الشهادة في سبيل الله أمنيته، وأن يكون من المتقين، والعاملين لنصرة الحق وأهله، فإن طريق المتقين طويل، وإن السفر بعيد، وإن الزاد قليل.

يتبين مما سبق أن فضائل كلمة التقوى كثيرة جداً، ويكفي فضلاً أن من معانيها كلمة التوحيد التي تخرج قائلها من معسكر الكفر، والإلحاد، والإشراك إلى الإيمان والتوحيد، وهي التي تحدد مصير قائلها، لأن معنى هذه الكلمة الطيبة: إنه ليس في هذا الكون أحد جدير بأن يعبده الناس، ويسجدوا له بالطاعة، ويطأطئوا له رؤوسهم في العبادة، ويركعوا إليه عند الشدة، ويستعينوا به عند الحاجة... إلا الله -تعالى- إنها عنوان التوحيد، والوقاية من النار لمن يؤمن بها مخلصاً بقلبه، ويعمل بمقتضاها وهذا ما قام به صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حيث علا شأنهم بهذه الكلمة، فكانوا من أهلها، وأحق بها من كفار مكة، لأن الله -تعالى- اختارهم لنصرة دينه، وهم أحق الناس بها.

(1) خبيب بن علي بن مالك بن عامر الأوسي الأنصاري الأوسي، هو أول من سن لكل مسلم قتل صبراً الصلاة، واستشهد في عهد النبي -عليه الصلاة والسلام- سنة (3هـ) وكان يردد:
ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على شلو ممزوع
(انظر) الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل بيروت، ط1، 1414-1992، مج2/65. سأنشير إليه: العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة.

(2) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله القرشي المخزومي، لقبه رسول الله سيف الإسلام، شارك في مؤتة وفتح مكة، من أقواله المشهورة: شهدت مائة زحف أو زهاؤها وما في بدني موضع شبر إلى وفيه ضربة أو طعنة رمح أو رمية وها أنى أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء، توفي في المدينة سنة (21هـ)، ابن الأثير، أسد الغابة 98/100، (وانظر) الزركلي: الأعلام، مج3/300.

الفصل الثالث

صفات المتقين في القرآن الكريم

المبحث الأول: ما يقترن بالتقوى من صفات

المطلب الأول: الصبر

المطلب الثاني: الشكر

المطلب الثالث: التعاون على البر

المطلب الرابع: الطاعة

المطلب الخامس: الإحسان

المبحث الثاني: صفات المتقين

المطلب الأول: الإيمان بالغيب

المطلب الثاني: إقامة الصلاة

المطلب الثالث: الإنفاق في سبيل الله

المطلب الرابع: الاستغفار شعار المتقين

المطلب الخامس: كظم الغيظ والعفو

المطلب السادس: الخشية والإشفاق

المطلب السابع: قيام الليل

المطلب الثامن: الصدق

المطلب التاسع: التوبة وعدم الإصرار على المعصية

المطلب العاشر: القنوت

المبحث الأول

ما يقترن بالتقوى من صفات

المطلب الأول: الصبر

الصبر لغة: الإمساك في ضيق⁽¹⁾.

والصبر اصطلاحاً: حبس النفس على ما يقتضيه العقل، والشرع⁽²⁾.

من سمات أهل القرب -أحباء الله- المتقين أنهم يتصفون بالصبر على طاعة الله، والصبر في الابتعاد عما يغضب الله، فالمتقون يصبر جوارحهم على العبادة، وليس لهم من جزاء إلا الجنة، إنهم يصبرون على الفقر، وعلى المرض، والبلاء، وفي مواطن القتال، وعلى فقد الأهل والولد.

يقول تعالى: "لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ"⁽³⁾.

قال الإمام الطبري -رحمه الله تعالى-: "إن تصبروا لأمر الله الذي أمركم به فيهم وفي غيرهم من طاعته...، وتتقوا الله فيما أمركم ونهاكم، فتعملوا في ذلك بطاعته...، فإن ذلك الصبر والتقوى مما عزم⁽⁴⁾ الله عليه، وأمركم به"⁽⁵⁾.

(1) الاصفهاني: المفردات، مادة صبر (474).

(2) المرجع السابق: مادة صبر، (474).

(3) سورة آل عمران: آية 186.

(4) عزم: العزم والعزيمة، عقد القلب على امضاء الأمر. الأصفهاني: المفردات، مادة عزم، ص 565.

(5) الطبري: جامع البيان، (مج3/2087)، بتصرف.

عن أسامة بن زيد⁽¹⁾، قال: "كان النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى⁽²⁾."

إن الصبر والتقوى من أشد الأمور وأحسنها، فلا بد لكم أن تصبروا، وتتقوا فلا تتحقق التقوى إلا مع الصبر، حتى يفوز المسلم برضا الله -تعالى- وفي هذه الآية الكريمة مواساة وتسليية لرسول الله -عليه الصلاة والسلام- أن يصبر كما صبر من قبله من الأنبياء رضوان الله عليهم.

"إن الصبر مركب من أمرين دفع الجزع، ومحاولة طرده، ثم مقاومة أثره حتى لا يغلب على النفس، وإنما يكون ذلك مع الإحساس بألم المكروه، فمن لا يحس به لا يسمى صابراً، وإنما هو فاقد الإحساس يسمى بليداً...، وما أحسن قرن التقوى بالصبر في هذه الموعظة وهي: أن يتمثل ما هدى الله إليه فعلاً وتركاً عن باعث القلب، وذلك من عزم الأمور التي يجب أن تعقد عليها العزيمة، وتصح فيها النية وجوباً محتماً، لا ضعف فيه"⁽³⁾.

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. إن النبي -عليه الصلاة والسلام- مع الأمر بالقتال كان يوادع اليهود، ويداريهم، ويصفح عن المنافقين⁽⁴⁾.

2. على المسلم أن يجعل بينه وبين ما يسخط الله -عز وجل- وقاية ولا يقابل، الإساءة بالإساءة⁽⁵⁾.

(1) أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحبيل بن كعب بن عبد العزى، أمه أم ايمن حاضنة النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يقال له الحب بن الحب، توفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان، سنة (54هـ). انظر: ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (مج1/77).

(2) ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم، برقم (4618)، (مج3/834).

(3) رضا: تفسير المنار، (277/4).

(4) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج2(4/285).

(5) انظر: البقاعي: نظم الدرر، (194/2).

3. إن الآية الكريمة فيها أمر بالمصابرة على الابتلاء في النفس والمال، والمصابرة على تحمل الأذى من الأعداء⁽¹⁾.

4. إن الصبر والتقوى من عزائم الله، ومما ألزمكم الأخذ به⁽²⁾.

5. إن في إبراز الأمر بالصبر والتقوى في صورة الشرطية (وإن تصبروا) مما يدل على كمال الله تعالى ولطفه بالعباد ما لا يخفى على أحد⁽³⁾.

6. إذا صبر المسلم واتقى ربه ينال ثواب أهل العزم وإن الله تعالى أمر بالصبر على الأذى حتى يحصل النصر، وأمر بالتقوى أي الدوام على أمور الإيمان والاقبال على بثه وتأييده... ويشمل ذلك الجهاد في سبيل الله، والصبر على الأذى ففي وقتي السلم، والحرب⁽⁴⁾.

يقول الأستاذ رضا في معرض تفسيره للآية الكريمة: "إن تصبروا على البلاء الكبير الذي سيحل بكم في أموالكم وأنفسكم وعلى ما تسمعون من أهل الكتاب، والمشركين من الأذى، وتتقوا ما يجب اتقاؤه في الاستعداد لذلك قبل نزوله، ومكافحته عند وقوعه، فإن ذلك الصبر والتقوى من معزومات الأمور، أي الأمور التي يجب العزم عليها، أو مما عزم الله أن يكون، أي من عزمات قضائه التي لا بد من وقوعها"⁽⁵⁾.

وإذا ما استقرأنا نصوص الكتاب الكريم، نجد أن هناك آية أخرى توضح العلاقة الحميمة ما بين التقوى والصبر، وهي شهادة من الله -تبارك وتعالى- بأن سيدنا يوسف -عليه السلام- من

(1) انظر: الرازي: التفسير الكبير، مج5، (133/9).

(2) انظر: القمي: غرائب القرآن و رغائب الفرقان، (323/2).

(3) أبو السعود: إرشاد العقل السليم. (76/2).

(4) انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج3، (190/4). بتصرف يسير.

(5) رضا: تفسير المنار، (276/4).

المحسنين المتقين الصابرين، يقول تعالى: "مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ" (1).

عن مجاهد قوله: "إنه من يتق ويصبر" فيقول: من يتق معصية الله، ويصبر على السجن (2)، فمن يتق الله فيراقبه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه ويصبر... ويكف نفسه، فيحبسها عما حرم الله عليه من قول أو عمل عند مصيبة نزلت به من الله...، فإن الله لا يبطل ثواب إحسانه وجزاء طاعته إياه فيما أمره ونهاه (3).

فائدة:

قال المراغي -رحمه الله- "إن الحق الذي نطقت به الشرائع، وأرشدت إليه التجارب هو: من يتق الله فيما به أمر وعنه نهى، ويصبر على ما أصابه من المحن، وفتن الشهوات، والأهواء، فلا يستعجل الأقدار بشيء قبل أوانه، فإن الله لا يضيع أجره في الدنيا، ثم يؤتيه أجره في الآخرة: وفي الآية شهادة من الله -تبارك وتعالى- بأن سيدنا يوسف -عليه السلام- من المحسنين المتقين الله، وبأن من كان مطيعاً لنفسه الأمانة بالسوء، ومتبعاً لنزغات الشيطان فإن عاقبته الخزي في الدنيا، والنكال في الآخرة، إلا من تاب وآمن، وعمل صالحاً ثم اهتدى" (4).

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. إن سيدنا يوسف -عليه السلام- كان يتصف بالتقوى والصبر، ولهذا فضله الله عز وجل على إخوته.

2. "جملة" إنه من يتق ويصبر "تعليلاً لجملة" من الله علينا" فيوسف -عليه السلام- اتقى الله وصبر "وبنيامين" (5) صبر ولم يعص الله فكان تقياً. أراد يوسف -عليه السلام- تعليمهم

(1) سورة يوسف: آية 90.

(2) ابن الجوزي: زاد المسير، (4/211).

(3) الطبري: جامع البيان، (مج6/4627). بتصرف.

(4) المراغي: تفسير المراغي، (5/29).

(5) بنيامين: وهو أخو سيدنا يوسف لابيه وأمه، ابن أبي حاتم. تفسير القرآن العظيم برقم (11734) (7/2163).

وسائل التعرض إلى نعم الله -تعالى-، وحثهم على التقوى، والتخلق بالصبر تعريضاً بأنهم لم يتقوا الله فيه وفي أخيه، ولم يصبروا على إيثار أبيهم إياهما عليهم: وهذا من أفانين الخطابة، أن يغتنم الواعظ الفرصة لإلقاء الموعدة، وهي فرصة تآثر السامع، وانفعاله، وظهور شواهد صدق الواعظ في مواعظته⁽¹⁾.

3. تدل الآية الكريمة على أن الموصوفين بالتقوى موصوفون بصفة الإحسان⁽²⁾، فعلى الإنسان أن يفعل ما يقيه عن الذنوب، ويصبر على المصائب.

4. من يخف الله وعقابه، و(يصبر) عن المعاصي، وعلى الطاعات فإن الله لا يضيع أجره⁽³⁾.

المطلب الثاني: الشكر

قال الإمام الأصفهاني في تعريفه للشكر: تصور النعمة، وإظهارها، وبيضاده الكفر⁽⁴⁾.

إن من سمات أعباء الله المتقين شكر الله -تعالى- في السراء والضراء، فالشكر: هو العنوان الحقيقي لهم، لأنهم يعلمون أن هذه النعم الكثيرة، والتي لا تعد ولا تحصى هي من عند الله، فهو المعطي والمانع، وهو الذي تفضل علينا بها من قبل ومن بعد، فعلى المسلم أن يشكر ربه على نعمه معترفاً بالإحسان مثنياً عليه في جميع الأحوال، لأن الله -تعالى- أمرنا بالشكر فقال جلّت قدرته، " وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ "⁽⁵⁾، إن هذه الآية الكريمة تقر سنة إلهية لا يعتريها تبديل ولا تحويل، وهي أن الاستتصار الصادق بالله عز وجل بعد الأخذ بالأسباب المأمور بها من قبل الشارع، لا بد مثمر، ثمرته المباركة، وأن التقوى سبب لدوام النعمة؛ لأن اتقاء الله في أمره ونهيه على نهج التوحيد الخالص، يمثل حقيقة الشكر،

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج7، (49/13).

(2) انظر: الشوكاني: فتح القدير، (73/3).

(3) انظر: الزمخشري: الكشاف، (482/2).

(4) الأصفهاني: المفردات، مادة شكر (476).

(5) سورة آل عمران: آية 123.

وحقيقة الشكر هنا: أن يظل المسلمون على العهد في نصرته دين الله، والجهاد لتكون كلمة الله هي العليا⁽¹⁾.

قال الإمام الطبري -رحمه الله-: "اتقوا ربكم بطاعته، واجتنبوا محارمه... لتشكروه على ما منّ به عليكم من النصر على أعدائكم، وإظهار دينكم، ولما هداكم له من الحق الذي ضل عنه مخالفوكم"⁽²⁾.

اللطائف:

1. إن الله تعالى وضع الشكر موضع الإنعام؛ لأنه سبب له⁽³⁾.

2. "إن التقوى هي التي تعدكم للقيام في مقام الشكر على النعم التي يسديكم إياها فمن لم يرض نفسه بالتقوى غلب عليه اتباع الهوى، فلا يرجى له أن يكون شاكراً يصرف النعمة إلى ما وهبت لأجله من الحكم والمنافع"⁽⁴⁾.

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. تحت الآية الكريمة على الثبات في قتال العدو وامتثال أمر النبي صلى الله عليه وسلم - وأن لا تفلّ حدثهم هزيمة يوم أحد⁽⁵⁾.

2. "إن التقوى هي في الحقيقة شكر الله -تعالى- لأنه سبحانه هو المنعم، وهو المتفضل في كل ما يتعلق بالإنسان من نعم هذا الوجود، وشكره أن تعرف حق ما أسدى، وما تدل عليه النعم من جلال الله وعظمته"⁽⁶⁾.

(1) الصالح: التقوى في هدي الكتاب، (4/455-463). بتصرف.

(2) الطبري: جامع البيان، (مج3/1949). بتصرف يسير.

(3) الرازي: التفسير الكبير، مج4 (8/229).

(4) رضا: تفسير المنار، (مج4/109-110).

(5) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج3، (4/72).

(6) أبو زهرة: زهرة التفاسير، (3/1393).

على المسلم أن يكون يقظاً دائماً في مواجهة حبائل الشيطان عند التمتع بالنعمة، وكذلك أن يحزم أمره، وهو يعيش في هذه النعمة، ويتقلب فيها، فيكون على اتصال دائم مع الله مستعيناً به، متوكلاً عليه مخلصاً له، لأنه سبحانه هو المنعم، والمتفضل علينا بها مع الحذر البالغ من صرف أي جزء منها في غير طاعة الله.

فإن الشكر هو سبب زيادة النعمة في أمور الدين والدنيا وهو وعد من الله -تبارك وتعالى- وشكر العبد لله يكون باعترافه وإقراره بنعمه وثنائه عليها، ومواظبته على الطاعة⁽¹⁾.

لطائف الآية:

مما سبق يتبين لنا العلاقة الوثيقة ما بين التقوى والشكر، فالتقوى: شكر يليق بنعم الله -تعالى- وفضله، لأن الله -تعالى- أمرنا بتجدد شكره، حتى تدوم أو تتجدد نعمه يقول تعالى: "إِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ"⁽²⁾. وهذه دعوة ونداء للمسلمين أن يتقوا الله بشكره على نعمه، حتى يتحقق لهم وعد الله -تعالى- بالنصر، والغلبة التمكين، يقول تعالى: "وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ"⁽³⁾.

المطلب الثالث: التعاون على البر

للتعاون ارتباط وثيق بالتقوى، فقد حث الله -تبارك وتعالى- المؤمنين، وأرشدهم إلى وجوب التعاون فيما بينهم على البر والتقوى، وهذا حث لهم أن يعينوا من يسعى إليها بصدق وإخلاص، ونحن -في هذه الأيام- بأمس الحاجة إلى الالتزام بهذا الخلق العظيم، خاصة قد ضعف التعاون بين الناس وتقطعت الصلات الاجتماعية بسبب طغيان المادة، واستيلائها على أفكار الناس، وعقولهم، بل هناك أكثر من ذلك من يشجع على التعاون على الإثم، والعدوان والرذيلة، فأين نحن من صدق الانتماء لرسالة الإسلام، وأين نحن من صحابة رسول الله -صلى الله عليه

(1) انظر: الصالح: التقوى في هدي الكتاب والسنة، (4/477).

(2) سورة إبراهيم: آية 7.

(3) سورة آل عمران: آية 144.

وسلم- الذين ضربوا لنا أروع الأمثلة في التعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان، يقول تعالى: " وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ " (1).

"إن هذه الآية الكريمة تحث على التعاون على البر، والتقوى بشتى صنوفه، وشعبه، وعلى كل ما يتحقق معه اتقاء الله -تعالى- نصره للحق من حيث هو حق، ونصرة لأهله أياً كان أهله، ومن اجتناب للتعاون على شيء من المآثم والظلم والعدوان، دون تفريق بين قريب وبعيد، وأن يكون ذلك كله طاعة لله، وحرصاً على إتقائه سبحانه وتعالى -" (2).

وقد اختلف العلماء في تفسير قوله كلمة "البر والتقوى والإثم والعدوان"، يقول الإمام الطبري - رحمه الله -: "البر هو العمل بما أمر الله بالعمل به، والتقوى: هو اتقاء ما أمر الله باتقائه، واجتنابه من معاصيه..." والإثم: ترك ما أمركم الله بفعله، والعدوان: تجاوز حدود الله" (3).

بينما يرى الإمام القرطبي "أن البر والتقوى لفظان بمعنى واحد، وكرر باختلاف اللفظ تأكيداً ومبالغةً، إذ كل بر تقوى، وكل تقوى بر" (4).

لقد كان للسنة النبوية دور كبير في توجيه المسلمين، وحثهم على التعاون فيما بينهم على البر والتقوى، ونهاهم عن التعاون على الإثم والعدوان، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله" (5). فهذا الحديث الشريف يدعو إلى التخلق بهذه الخليفة المباركة.

(1) سورة المائدة: آية 2.

(2) الصالح: التقوى في هدي الكتاب والسنة، (4/519) بتصرف يسير.

(3) الطبري: جامع البيان، (مج4/2683)، بتصرف.

(4) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج3، (6/18).

(5) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل وإعانة الغازي في سبيل الله، برقم (1893)، ص787.

وعرف ابن كثير البر والتقوى بقوله: "إن البر هو فعل الخيرات، والتقوى ترك المنكرات"⁽¹⁾، وقد فسر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كلمة البر وكلمة الإثم، عن النواس بن سمعان⁽²⁾ قال: سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن البر والإثم، فقال: البر حسن الخلق، والإثم ما حاك⁽³⁾ في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس"⁽⁴⁾.

يقول الإمام ابن تيمية -رحمه الله-: "إن التعاون نوعان:

الأول: تعاون على البر والتقوى، من الجهاد وإقامة الحدود، واستيفاء الحقوق، واعطاء المستحقين، فهذا مما أمر الله به ورسوله، ومن أمسك عنه، خشية أن يكون من أعوان الظلمة، فقد ترك فرضاً على الأعيان، أو على الكفاية متوهماً أنه متورع، وما أكثر ما يشتبه الجبن والبخل بالورع إذ كل منهما كف وإمسك.

الثاني: تعاون على الإثم والعدوان، كالإعانة على دم معصوم، أو أخذ مال معصوم، أو ضرب من لا يستحق الضرب، ونحو ذلك، فهذا الذي حرمه الله ورسوله"⁽⁵⁾.

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. نهى الله -تعالى- في الآية الكريمة عن الاعتداء، وأمر بالمساعدة، والتضافر على

الخير⁽⁶⁾.

(1) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (8/3).

(2) النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن قرط، من مشاهير الصحافة، معدود في الشاميين، يقال أن أباه سمعان، وفد على النبي -صلى الله عليه وسلم- وأعطاه نعليه فقبلهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- توفي (50هـ)، روى له مسلم والأربعة (الصفدي) الوافي بالوفيات، (108/27).

(3) حاك: رسخ. ابن منظور: لسان العرب، مادة حوك (418/10).

(4) مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والأداب، باب تفسير البر والإثم، برقم (2553)، ص1032.

(5) ابن تيمية: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق عصام فارس الحرستاني، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ-1993م، ص65-66.

(6) أبو حيان: البحر المحيط، (437/3).

2. في الآية تنبيه على الملازمة، والمعاونة على الخير، والنهي عن أن يغضب الإنسان لغضب أحد من صديق أو قريب، إلا إذا كان الغضب له داعياً إلى بر وتقوى⁽¹⁾.
ووجوب التعاون بين المؤمنين على إقامة الدين، وحرمة تعاونهم على المساس به⁽²⁾.

3. إن من فائدة التعاون بين المسلمين تيسير العمل وتوفير المصالح، وإظهار التناصر والاتحاد⁽³⁾.

4. إن الباطل والإثم لا يصلح لأن يقتدى به، ويعان عليه، وإنما اللائق بالافتداء به، والتعاون عليه هو الخير والبر من تقوى الله سبحانه وتعالى⁽⁴⁾.

إن السنة المطهرة زخّارة بالنصوص التي تؤكد وجوب المعاونة على صنوف البر من الإصلاح، وفعل الخيرات وترك المنكرات، واجتناب التناصر على الظلم والباطل، واجتناب التعاون على فعل المآثم وارتكاب المحارم والمظالم، وفي الأحاديث الصحيحة ما يؤيد ذلك، ومنه ما أخرجه أحمد وغيره عن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قيل يا رسول الله هذا أنصره مظلوماً فكيف أنصره إذا كان ظالماً؟ قال: تحجزه تمنعه، فإن ذلك نصره"⁽⁵⁾.

قال صاحب تفسير المنار: "أما الأمر بالتعاون على البر والتقوى فهو من أركان الهداية الاجتماعية في القرآن، لأنه يوجب على الناس إيجاباً دينياً أن يعين بعضهم بعضاً على كل عمل من أعمال البر التي تنفع الناس أفراداً وأقواماً في دينهم ودنياهم، وكل عمل من أعمال التقوى التي يدفعون بها المفساد والمضار عن أنفسهم... وقدم البر وأكد عليه بالنهي عن ضده وهو التعاون على الإثم بالمعاصي، وكل ما يعوق عن البر والخير، وعلى العدوان الذي يغري الناس بعضهم ببعض ويجعلهم أعداء متباغضين يتربص بعضهم الدوائر ببعض... وقلما ترى أحداً في

(1) انظر: البقاعي: نظم الدرر، (389/2).

(2) انظر: الجزائري: أيسر التفاسير. (588/1).

(3) انظر: ابن عاشور: التحرير والتوير، مج4، (88/6). بتصرف.

(4) انظر: القمي: غرائب القرآن وרגائب الفرقان، (مج2/544).

(5) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند، كتاب المظالم. باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً. برقم (11949)، (14/19).

قال المحقق شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح.

هذا العصر يعينك على عمل البر... قال العلماء: لا بد من تأليف الجمعيات الدينية والخيرية والعلمية، إذا كنا نريد أن نحيا حياة عزيزة، فعلى أهل الغيرة والنجدة من المسلمين أن يعنوا بهذا كل العناية⁽¹⁾.

المطلب الرابع: الطاعة

لقد كانت الدعوة إلى التقوى من أعظم مهمات الرسل الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام، حيث دعوا أقوامهم إلى توحيد الله عز وجل، وأن يقيموا بينهم، وبين غضب الله، ونقمته منهم وقاية، قوامها الطاعة لله ورسوله، والبعد عن كل ما يخالف ذلك، وقد أكد الله -تعالى- الدعوة للأمر بالتقوى على لسان سيدنا نوح -عليه السلام-، بقوله تعالى: "إِذْ قَالَ لَهُمُّ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا عِزِّي ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا عِزِّي" ⁽²⁾.

يقول الإمام القرطبي -رحمه الله-: "فاستتروا بطاعة الله من عقابه... و(أطيعون) فيما أمركم به من الإيمان... وكرر "فاتقوا الله وأطيعون"⁽³⁾ للتأكيد على وجوب الطاعة"⁽⁴⁾.

وقد ابتدأ الله -تعالى- قصة سيدنا هود -عليه السلام- مع قومه بما ابتدأ به قصة نوح -عليه السلام- فقال تعالى: "إِذْ قَالَ لَهُمُّ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا عِزِّي" ⁽⁵⁾. ومن الملاحظ أن الأمر بطاعة الرسول الكريم في كثير من آيات القرآن الكريم مسبوق بالأمر بالتقوى، وذلك لبيان أهمية التقوى ووجوب الالتزام بها.

وكذلك ابتدأ الله -تعالى- قصة صالح مع ثمود بما ابتدأ به قصة نوح، وهود عليهما السلام مع بيان أنهم يكذبون المرسلين، وكأنهم لا يؤمنون برسالة الله -تعالى- إلى أهل الأرض قال تعالى:

(1) رضا: تفسير المنار، (6/131). بتصرف يسير.

(2) سورة الشعراء: آية 106-110.

(3) سورة الشعراء: آية 110.

(4) انظر القرطبي: مج7، (13/111-113).

(5) سورة الشعراء: آية 124-126.

"إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾". لقد كان أول مطلب من مطالب الرسل لأقومهم أن يقربوهم إلى الله زلفى، وأن يملئوا نفوسهم بالتقوى حتى يعمر قلوبهم بالإيمان به، ويبتعدوا عن التمرد، وينتقلوا من طريق الشر إلى طريق الخير، فيأمرهم بتقوى الله، وطاعته لأن طاعته طاعة الله -تعالى-.

وفي قصة سيدنا لوط -عليه السلام- ما يدل على ذلك يقول تعالى: "إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٦٣﴾".⁽²⁾

إن هذه الآيات الكريمة تبين العلاقة الحميمة ما بين التقوى، والطاعة حيث دعا سيدنا لوط -عليه السلام- قومه إلى عبادة الله -تعالى- وإلى اتقاء غضب ربهم، والبعد عن طريق الغافلين، وأن يطيعوا رسوله وتكررت هذه الدعوة تأكيداً لضرورتها، وبيانا لما لها من الموقع المتميز على طريق الحق والهدى، وختمت الآيات الكريمة بقصة سيدنا شعيب -عليه السلام- مع قومه بقوله تعالى: "إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٧٩﴾". ومعنى الآية: "فاتقوا الله وأطيعوا" اتقوا عقاب الله على كفركم به، وخافوا أن يحل بكم سخط ربكم على تكذيبكم رسوله وأطيعوني في نصيحتي إياكم باستبدال الإيمان بالشرك وعبادة الأصنام وإخلاص العبادة لله خالفكم⁽⁴⁾.

ولعل سر اقتران التقوى بالطاعة أن اتقاء النار إنما يكون بطاعة الله ورسوله الكرام في كل أمر أو نهي، وذلك حتى يفوزوا برحمة الله ومغفرته، وفي هذه الآيات الكريمة نداء لكل ذي لب أن يسارع إلى هذا النداء نداء التقوى والطاعة حتى يكون ممن يشملهم الله -تبارك وتعالى- برحمته ومغفرته.

(1) سورة الشعراء: آية 142-144.

(2) سورة الشعراء: آية 161-163.

(3) سورة الشعراء: آية 177-179.

(4) الطبري: جامع البيان، (مج8/6235). بتصرف.

"وقد وردت كلمة الطاعة في القرآن الكريم بعدة معان، أما المعنى الذي يتعلق بالآيات الكريمة فهو الانقياد والخضوع لله -تعالى- والانقياد لأمره أو أمر رسوله -صلى الله عليه وسلم- مطلقاً وقد جاء هذا المعنى على لسان الرسل عليهم السلام"⁽¹⁾.

ومن الآيات الكريمة التي تدل على أن الطاعة صفة لأهل التقوى ما جاء على لسان سيدنا عيسى -عليه السلام-، حيث دعى قومه إلى توحيد الله، وإزالة العبودية له، وإزالة الفرقة، والاختلاف فيما بينهم، قال تعالى: "وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا"⁽²⁾.

قال الإمام الطبري -رحمه الله-: "اتقوا ربكم أيها الناس بطاعته، وخافوه باجتناب معاصيه، وأطيعون فيما أمرتكم به من اتقاء الله، واتباع أمره وقبول نصيحتي لكم"⁽³⁾. فإذا كان هذا هو قول عيسى -عليه السلام- فكيف يجوز أن يكون إلهاً أو ابن إله، فاتقوا الشرك ولا تعبدوا إلا الله وحده"⁽⁴⁾.

إن أمر عيسى -عليه السلام- لقومه بتوحيد الله هو الطريق القويم، وهو وظيفة الرسل الكرام التي كلفهم الله -تعالى- بها لهداية الناس إلى طريق الخير والرشاد، ولذلك كانت التقوى مطلب جميع الأنبياء ومما يدل على ذلك أن الله -تعالى- أمرنا بطاعة الرسول -عليه الصلاة والسلام- وبين أنها من طاعة الله، قال تعالى: "مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ"⁽⁵⁾.

ما ترشد إليه الآيات الكريمة:

1. إن تقوى الله تعد سبباً لطاعة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، فلو لم تكن هذه ما كانت تلك أي أن تقوى الله تكون بتوحيده وعبادته، هي المرتكز الذي يقوم عليه الإيمان، وأن

(1) محمود، علي عبد الحليم: ركن الطاعة في فقه الاصطلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، د.ط، 1418هـ-1997م، ص12-14. سأشير إليه: محمود: ركن الطاعة.
(2) سورة الزخرف: آية 63.
(3) الطبري: جامع البيان، (مج9/7314).
(4) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج8، (16/99-100). بتصرف.
(5) سورة النساء: آية 80.

هذا الإيمان هو الذي يؤدي إلى طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم - وطاعة الرسول - عليه الصلاة والسلام - هي اتباع المنهج الذي جاء به من عند ربه، وكل رسول من الرسل، أمر قومه بأن يطيعوه بعد تقوى الله⁽¹⁾.

2. إن الطاعة لأوامر الله بما يرضيه هي ثمرة التقوى، وكلما زاد المتقي في أعمال الطاعة زادت تقواه⁽²⁾.

3. إن تقوى الله - تعالى - تكون في الالتزام بالتكاليف الشرعية، واتقاء الكفر بالله، والإعراض عن دينه⁽³⁾.

4. إن التقوى مطلب لجميع الأنبياء، حيث دعوا أقوامهم للالتزام بها.

5. على المسلم أن يجعل بينه وبين غضب الله وقاية، وأن يجعل التقوى شعاراً له⁽⁴⁾.

6. كان جواب هؤلاء الرسل واحداً على صيغة واحدة، لأنهم متفقون على الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على تبليغ الرسالة⁽⁵⁾.

المطلب الخامس: الإحسان

إن المتقين هم الذين أحسنوا مع الله في عبادته، ومع خلق الله في المعاملة، ولا يصل الإنسان إلى مقام الإحسان إلا بالمدائمة على ذكر الله، والإحسان لخلق الله في كل شيء، مع المسلم وغير المسلم، ويتعدى ذلك إلى الإحسان إلى الحيوان والنبات، فالإحسان هو قمة الإيمان.

(1) محمود، علي عبد الحليم: ركن الطاعة، ص12-14، بتصرف يسير.

(2) انظر: البقاعي: نظم الدرر، (44/7).

(3) انظر: الرازي: التفسير الكبير، مج14 (224/27). بتصرف

(4) أنظر: أبو زهرة: زهرة التقاسير، (5383/10).

(5) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج7، (125/13).

الإحسان في اللغة: ضد القبح⁽¹⁾.

قال الأصفهاني: الحسن: عبارة عن كل منهج مرغوب فيه⁽²⁾.

وقد بين الحبيب المصطفى -عليه الصلاة والسلام- المقصود بالإحسان حين سأله الأمين جبريل -عليه السلام- فقال: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"⁽³⁾.

ويبين القرآن الكريم أن الإحسان مرحلة تالية للإيمان، والعمل الصالح يقول تعالى: "لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْحَسَنِينَ"⁽⁴⁾.

قال الطبري -رحمه الله-: "إن الاتقاء في الأولى هي مخافة الله، ومراقبته، وتصديق الله ورسوله فيما أمرهم ونهاهم، فأطاعوهما في ذلك كله، واكتسبوا من الأعمال ما يرضاه الله في ذلك مما كلفهم بذلك ربهم، وأن التقوى والإيمان في الثانية هي مخافة الله ومراقبته باجتتاب محارمه بعد ذلك التكليف، فثبتوا على اتقاء الله في ذلك، والإيمان به، ولم يغيروا ولم يبدلوا، أما التقوى الثالثة التي أضيف إليها الإحسان: هي الخوف من الله، فدعاهم خوفهم الله إلى الإحسان، وذلك الإحسان هو: العمل بما يفرضه عليهم من الأعمال، ولكنه نوافل تقربوا بها إلى ربهم طلب رضاه، وهرباً من عقابه... والله يحب المتقربين إليه بنوافل الأعمال التي يرضاها، فالاتقاء الأول: هو الاتقاء بتلقي أمر الله بالقبول، والتصديق... والثاني: الاتقاء بالثبات على التصديق، وترك التبديل والتغيير، والاتقاء الثالث: هو الاتقاء بالإحسان والتقرب إليه بنوافل الأعمال"⁽⁵⁾.

بينما ذهب الإمام ابن الجوزي إلى القول بأن الآية الكريمة فيها أربعة أقوال:

(1) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت666هـ): مختار الصحاح، دار الجيل، بيروت، لبنان، د.ط، 1407هـ-1987م، مادة حسن، ص136. سأنشير إليه: الرازي: مختار الصحاح.

(2) الأصفهاني: المفردات، مادة حسن، ص235.

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي -عليه الصلاة والسلام- عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، برقم (37)، ص12.

(4) سورة المائدة: آية 93.

(5) الطبري: جامع البيان، (مج4/3009). بتصريف يسير.

الأول: قال ابن عباس اجتنبوا العود إلى الخمر بعد تحريمها.

الثاني: اتقوا ظلم العباد.

الثالث: توقوا الشبهات.

الرابع: اتقوا جميع المحرمات⁽¹⁾.

وفي الإحسان قولان:

أحدهما قول ابن عباس وهو: العمل بترك شربها بعد التحريم⁽²⁾.

الثاني: قول مقاتل: أحسنوا العمل بعد تحريمها⁽³⁾.

سبب نزول الآية الكريمة:

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ما قال: "لما نزل تحريم الخمر، قالوا: يا رسول الله، فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ فنزلت "لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا" (4)(5)، يقول الإمام أبو السعود -رحمه الله- في معرض تفسيره للآية الكريمة: "والمعنى أنهم إذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الإيمان، والأعمال الصالحة، وكانوا في طاعة الله، ومراعاة

(1) ابن الجوزي: زاد المسير، (318/2).

(2) ابن عباس: صحيفة عن بن أبي طلحة عن ابن عباس، تفسير ابن عباس، تحقيق راشد عبد المنعم الرحال، مؤسسة الكتب الثقافية، ط2، 1414هـ-1993م، تفسير سورة المائدة، برقم (343)، ص189. سأسير إليه: ابن عباس: تفسير ابن عباس.

(3) مقاتل، أبو الحسن بن سليمان بن بشير (ت150هـ): تفسير مقاتل، تحقيق أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ-2003م، (321/1). سأسير إليه: مقاتل: تفسير مقاتل.

(4) سورة المائدة: آية 93.

(5) أحمد: المسند، برقم (2088)، (507/3-508). قال المحقق شعيب الأرنؤوط صحيح لغيره، وأخرجه الترمذي، في السنن، كتاب التفسير، باب من سورة المائدة، برقم (305) من حديث البراء بن عازب، قال الترمذي حديث حسن صحيح.

وأمره، ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شيئاً من المباحات اتقوه... ثم ... فلا جناح عليهم فيما طعموه في كل مرة من المطاعم والمشارب، إذ ليس فيها شيء محرّم عند طُعمه⁽¹⁾.

دلالة الآية الكريمة:

1. تدل الآية الكريمة على أن المتقي المحسن، أفضل من المتقي المؤمن الذي عمل الصالحات. فضله بأجر الإحسان⁽²⁾.

2. تدل الآية الكريمة على أن الإحسان صفة للمتقين ثناء عليهم، وحمد لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان...، لأنهم ثبتوا على اتقاء المعاصي، وأحسنوا أعمالهم، وأحسنوا إلى الناس وأسوهم بما رزقهم الله من الطيبات⁽³⁾.

3. إن المتقين لازموا التقوى التي أوصلتهم إلى مقام المراقبة⁽⁴⁾.

ومن الآيات الكريمة التي تدل على أن الإحسان صفة للمتقين قوله تعالى: "الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ"⁽⁵⁾.

قال أبو الحسن الندوي: "لقد جاءت هذه الآيات الكريمة بعد غزوة أحد وما أصاب المسلمين فيها من الجراحات، وما وقع فيها من محنة عظيمة، تمحيصاً لهم وتربية لهم، فلا ثقة بجماعة عاشت على سرور انتصار، ونشوة الفتح، وحلاوة الظفر، ولم تذق مرارة المصائب والخسائر"⁽⁶⁾.

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: "لما انصرف أبو سفيان والمشركون عن أحد وبلغوا الروحاء"⁽⁷⁾، قال أبو سفيان: "لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب أردفتن شرّاً ما صنعتن، فبلغ ذلك

(1) أبو السعود: إرشاد العقل السليم، (318/2). بتصرف يسير.

(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج3، (224/6).

(3) انظر الزمخشري: الكشاف، (662/1). بتصرف يسير.

(4) البقاعي: نظم الدرر، (539/2). بتصرف يسير.

(5) سورة آل عمران: آية 172.

(6) انظر: الندوي، أبو الحسن علي الحسني (ت1420هـ-): السيرة النبوية، تقديم يوسف القرضاوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1422هـ-2001م، ص241. سأتشير إليه: الندوي، السيرة النبوية.

(7) الروحاء: بلدة بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة، انظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، د.ت، ص233. سأتشير إليه: الفيروزآبادي: القاموس المحيط.

رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فندب الناس فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد⁽¹⁾ أو بئر بني عيينه، فأنزل الله عز وجل "فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ"⁽²⁾، وذلك أن أبا سفيان قال للنبي -عليه الصلاة والسلام- موعذك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا فأما الجبان فرجع، وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والتجارة، فأتوه فلم يجدوا به أحداً وتسوقوا فأنزل الله تعالى: "فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ"⁽³⁾⁽⁴⁾.

إن الآية الكريمة فيها وعد من الله -تبارك وتعالى- لعباده المتقين إن هم اتقوه وخافوه وأدوا فرائضه فإن لهم الأجر العظيم والثواب الجزيل لأنهم عملوا الأعمال الصالحة، إنهم خيار المؤمنين من المحسنين والمتقين.

قال الإمام الرازي -رحمه الله-: "إن المسألة فيها عدة وجوه:

الأول: "أحسنوا" دخل تحته الإلتزام بجميع الأمور، وقوله "واتقوا" دخل تحته الإلتزام عن جميع المنهيات، والمكلف عند هذين الأمرين يستحق الثواب العظيم.

الثاني: أحسنوا في طاعة الرسول -عليه الصلاة والسلام- في ذلك الوقت، واتقوا الله في التخلف عن الرسول الله -عليه الصلاة والسلام-، وذلك يدل على أنه يلزمهم الاستجابة للرسول -عليه الصلاة والسلام- وإن بلغ الأمر بهم في الجراحات ما بلغ من بعد أن يتمكنوا معه من النهوض.

الثالث: أحسنوا فيما أتوا به من طاعة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، واتقوا ارتكاب شيء من المنهيات بعد ذلك⁽⁵⁾.

(1) حمر الأسد: على موضع على بعد ثمانية أميال من المدينة، وإله انتهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم أحد في طلب المشركين. انظر الحموي، معجم البلدان، (مج2/301).

(2) سورة آل عمران: آية 174.

(3) سورة آل عمران: آية 174.

(4) انظر: العلي، إبراهيم محمد: صحيح أسباب النزول، تقديم: صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط1، 1424هـ - 2003م، برقم (89)، ص68. سأشير إليه: العلي: صحيح أسباب النزول.

(5) الرازي: التفسير الكبير، مج5(101/9-102).

"إن (من) للتبعيض، وهي في محلها، لأن من المؤمنين الصادقين من لم يخرج معه -عليه الصلاة والسلام- إلى حمراء الأسد أي: وهم من الذين لا يضيع الله أجرهم، ولكنهم لا يستحقون الأجر العظيم الذي استحقه الذين خرجوا معه وهم متقلون بالجراح، ومرهقون من الإعياء إلى استئناف قتال أضعافهم من الأقوياء"⁽¹⁾.

فائدة:

"على المسلمين أن يعتبروا بهذه الآيات التي وردت في أولئك الأبرار الأخيار الذين بذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وكيف جاء وعدهم بالأجر مقروناً بوصف الإحسان والتقوى، وأنى يعتبر المغرورون المسيئون... الذين يتولون المبطلين وينصرون، ويشاقون أهل الحق ويخذلون، ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون"⁽²⁾.

ومن الإحسان أن يعاشر الزوج زوجته بالمعروف، واعتبر ذلك من الأخلاق الكريمة، ومراعاة لحق الصحبة بين الزوجين، فمن الإحسان والتقوى أن يصبر الزوج على هفوات زوجته، إذا ما حملته الكراهية على إيقاع الأذى بها، فإن الله -تعالى- يجزي الذين أحسنوا بالحنى، والذين اتقوا بالعاقبة الفضلى يقول تعالى: "وَإِنْ تَحْسَبُوا أَنَّكُمْ مُؤْمِنُونَ وَاللَّهُ يَبْصُرُ مَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا"⁽³⁾.

قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: "هذه الآية الكريمة خطاب للأزواج من حيث أن للزوج أن يشح ولا يحسن؛ أي: إن تحسنا وتتقوا في عشرة النساء بإقامتكم عليهن مع كراهيتكم لصحبتهن، وانقاء ظلمهن فهو أفضل لكم"⁽⁴⁾.

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. يحث الله -تبارك وتعالى- الأزواج على الإحسان إلى نساءهم ويعد ذلك من التقوى.

2. إن الجزاء من جنس العمل، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته⁽⁵⁾.

(1) رضا: تفسير المنار، (237/4).

(2) المرجع السابق، (238/4). بتصرف يسير.

(3) سورة النساء: آية 128.

(4) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج3، (347/5).

(5) الطبري: جامع البيان، (2580/4). بتصرف. انظر: رضا: تفسير المنار، (448/5).

3. إن الله -تعالى- عالم بكل شيء، وخاصة بمن يتجشم مشقة الصبر على ما يكره من زوجته⁽¹⁾.

4. أن يحسن الزوج في العشرة، ويتقي النشوز والإعراض، ونقص الحق⁽²⁾.

5. الخطاب في الآية الكريمة للزوجين بأن يحتزرا عن الظلم⁽³⁾.

"لقد جاء هذا النص الكريم علاجاً لشح النفس إذا حضر، ولوقوف في الجانب الذي يحفظ به حقوقه، ولا يتحرك، فإن العلاج لهذه الحال هو الإحسان، فليكن محسناً بدل أن يكون ملحقاً، فإذا كان الإحسان ذهب التشاح، والعلاقات في الأسرة لا تبنى على الظاهر، بل تبنى على القلوب، والقلوب لا يطهرها إلا تقوى الله في المعاملة، إذ إن المعاملة الطيبة، والإحسان، وزيادة العطف وتقوى الله هي: البلمس الشافي من الشح النفسي بين الزوجين، وقد وعد الله -تعالى- بالثواب العظيم لمن يحسن ويلاحظ تقوى الله في المعاملة بين الزوجين، لأن الله -تعالى- يعلم علماً دقيقاً لا يغادر شيئاً، وهو علم دائم يليق بجلاله سبحانه و-تعالى-"⁽⁴⁾.

يُحكى أن عمران بن حطان الخارجي⁽⁵⁾ كان من آدم⁽⁶⁾ بني آدم وامرأته من أجملهم، فأجالت في وجهه نظرها يوماً ثم قالت: الحمد لله، فقال: مالك؟ فقالت: حمدت الله على أنني وإياك من أهل الجنة، قال كيف؟ قالت: لأنك رزقت مثلي فشكرت، ورزقت مثلك فصبرت، والشاكر والصابر من أهل الجنة⁽⁷⁾.

(1) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (261/2). بتصريف يسير. انظر: الزمخشري: الكشاف، (560/1).

(2) انظر: القاسمي: محاسن التأويل، (507/5).

(3) القمي: غرائب القرآن ورجائب الفرقان، (510/2).

(4) أبو زهرة: زهرة التفاسير، (1883/4-1884).

(5) عمران بن حطان: هو عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي الشيباني (ت84هـ)، من رجال العلم والحديث من أهل البصرة، أدرك جماعة من الصحابة فروى عنهم، توفي (84هـ). انظر: الزركلي: الأعلام. مج5، (70/5).

(6) آدم: آدم الرجل: أقيح فعله وأساء. انظر: الزبيدي، محي الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي (ت1183هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر، دط، 1414هـ-1994م، (251/16).

(7) انظر: الزمخشري: الكشاف، (560/1). قال الزمخشري في الكشاف، لم أجده، وانظر: القمي: غرائب القرآن ورجائب الفرقان، (510/2).

إن المتقين كانوا محسنين في الدنيا، وكثيراً ما يصف الله سبحانه أهل الجنة بالإحسان، يقول تعالى: "هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ"⁽¹⁾، فالإحسان في كل شيء حتى مع الحيوان، يقول الحبيب المصطفى -عليه الصلاة والسلام- "إن الله -تعالى- كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحكم شفرته وليرح ذبيحته"⁽²⁾.

أرأيت كيف يكون الإحسان حتى في القتل، آخر ما يخطر ببالك أن تحسن في القتل، تحسن قتل الإنسان الذي استحق القتل، إما بحد أو قصاص، حتى البهيمة أن تحسن ذبحها، وهي تقتل فكيف يكون الإحسان معها قبل القتل، والإحسان مجالاته متعددة وشعابه متنوعة، ولذلك فقد نبه الله تعالى على أن كلاً من الصبر والتقوى من قبيل الإحسان، قال تعالى: "وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ"⁽³⁾.

(1) سورة الرحمن: آية 60.

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الصيد والذباح، باب الأمر بإحسان، الذبح والقتل وتحديد الشفرة، برقم (1955)، ص 809.

(3) سورة هود: آية 115.

المبحث الثاني

صفات المتقين

المطلب الأول: الإيمان بالغيب

من صفات المتقين أنهم يؤمنون بالغيب أي: يصدقون بالغيب، ويعتقدون فيه اعتقاداً جازماً لا شك فيه ولا يخالطه ارتياب، ويدخل في الإيمان بالغيب الإيمان بالله، وملائكته وكتبه ورسله والقدر، والبعث والجزاء، والصراط والميزان والحساب، وغير ذلك مما أخبر عنه القرآن، أو النبي -صلى الله عليه وسلم-.

والإيمان بالغيب أعظم صفات المتقين، لذلك بدأ الله -تعالى- بها وركز النبي -عليه الصلاة والسلام- عليها، وجعلها فيصل التفرقة بين المؤمن والكافر، والصادق والمنافق، والتقي والفاسق، وفيصل التفرقة بين الإنسان، والحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه.

والإنسان يدرك أن الوجود أكبر، وأشمل من هذا الحيز المادي، قال تعالى: "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ" (1)، وما أياس الإنسان حيث لا يؤمن بالغيب، وما أتعسه حين يبقى في عالم البهيمة! وما أجهله! وما أكفره حين يسعى لصد الناس عن سبيل الله، وحين يعيق المؤمنين الذين يضعون أرجلهم على عتبة تقوى الله عز وجل (2).

يقول تعالى: "ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢١٥﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ" (3)، وقد اختلف المفسرون في تأويل الغيب: "الغيب: ما غاب عنهم مما أخبرهم به النبي -عليه الصلاة والسلام- من أمر الغيب والنشور والقيامة، وكل ما غاب عنهم مما أنبأهم به فهو غيب" (4).

(1) سورة الأعراف: آية 179.

(2) <http://www.daawa.info/docs/sifat.mouttakin.doc>

(3) سورة البقرة: آية 2-3.

(4) الزجاج، أبو اسحاق إبراهيم السري (ت311هـ): معاني القرآن وإعرابه، تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1418-1997، (72/1). سأسشير إليه، الزجاج: معاني القرآن.

وقيل إن الغيب: "ما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار"⁽¹⁾.

وأصل الغيب: "كل ما غاب عنك من شيء وهو من قولك: غاب فلان يغيب غيباً"⁽²⁾.

قال ابن عطية: "يصدقون إذا غابوا وخلوا، لا كالمناقين الذين يؤمنون إذا حضروا ويكفرون إذا غابوا"⁽³⁾.

"ولقد جاءت عبارة "يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ" بالمضارع لتدل على التجديد إيذاناً بتجدد إيمانهم بالغيب... وخص بالذكر (الإيمان بالغيب) دون غيره من متعلقات الإيمان، لأن الإيمان بالغيب أي: ما غاب عن الحس هو الأصل في اعتقاد إمكان ما تخبر به الرسل عن وجود الله والعالم العلوي"⁽⁴⁾.

لقد عرف الرسول -عليه الصلاة والسلام- الإيمان بعدة تعريفات منها: قوله في حديث جبريل عندما سأله عن الإيمان فقال -عليه الصلاة والسلام-: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره"⁽⁵⁾.

ومن الغيبيات التي يجب أن تؤمن بها كذلك قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ"⁽⁶⁾.

المطلب الثاني: إقامة الصلاة

الصلاة ركن من أركان الإسلام، وهي أول عمل يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وهي عمود الدين، وقد فرضت في السموات العلى، وهذا يدل على أهميتها عن باقي العبادات، ولهذا فقد دعا إليها جميع الرسل عليهم السلام، وهي قوة لأنها أول صفات المؤمنين، ولهذا فقد كانت أول

(1) ابن الجوزي: زاد المسير، (19/1).

(2) الطبري: جامع البيان. (مج1/185).

(3) ابن عطية: المحرر الوجيز، (84/1).

(4) انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج1، (229-230).

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي -عليه الصلاة والسلام- عن الإيمان والإحسان وعلم الساعة، برقم (37)، ص12.

(6) سورة لقمان: آية 34.

علامات المتقين، وقد شرعت في أول الإسلام بمكة لتكون زاد المؤمنين، وقوة الموقنين، ودواء المعذبين والمضطهدين، وسلوى الضعفاء والمغلوبين، ورحمة لكل من آمن برب العالمين، وقد شرعت لتطهير القلوب من وسخ الجاهلية وقذرها، وتطهير النفوس من أمراضها ودوائها، وتخليص الأرواح من ظلماتها وحجبها⁽¹⁾.

يقول تعالى: "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ"⁽²⁾.

قال الإمام الطبري -رحمه الله-: "إقامتها: أدائها بحدودها وفروضها والواجب فيها على من فرضت عليهم"⁽³⁾.

عن ابن عباس قال: "إقامة الصلاة": إتمام الركوع والسجود، والتلاوة والخشوع والإقبال عليها فيها"⁽⁴⁾.

"واختلف لم سمي فعل الصلاة على هذا الوجه إقامة لها على قولين:

الأول: من تقويم الشيء، من قولهم قام بالأمر إذا أحكمه وحافظ عليه.

الثاني: إنه فعل الصلاة سمي إقامة لها، لما فيها من القيام، فلذلك قيل قد قامت الصلاة"⁽⁵⁾.

بينما ذهب الإمام القرطبي -رحمه الله- إلى القول أن معنى: يقيمون: يديمون، وأقامه أي: أدامه⁽⁶⁾.

وأصل (يقيمون) يقومون، نقلت حركة الواو إلى القاف، فانقلبت ياء لكون الكسرة قبلها⁽⁷⁾.

(1) أيوب، حسن: فقه العبادات بأدلتها في الإسلام، دار السلام، القاهرة، ط1، 1422هـ-2002م، ص95.

(2) سورة البقرة: آية3.

(3) الطبري: جامع البيان. (مج1/187).

(4) المرجع السابق: (مج1/187).

(5) الماوردي: النكت والعيون، (69/1).

(6) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج1، (160/1).

(7) انظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، (85/1).

"والصلاة أصلها في اللغة: الدعاء من صلى يصلي إذا دعا، وقد ذكر هذا الجوهري⁽¹⁾ وغيره: وقال قوم: هي مأخوذة من الصلا، وهو عرق وسط الظهر، ويفترق عند العَجَب"⁽²⁾.

"وقيل إن معنى إقامة الصلاة: تعديل أركانها، وحفظها من أن يقع فيها زيغ في فرائضها وسننها وآدابها...، أو الدوام عليها، والمحافظة عليها"⁽³⁾، يقول تعالى: "الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ"⁽⁴⁾.

قال الإمام النسفي -رحمه الله- "وقد عبر عن الأداء بالإقامة، لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت، وهو القيام بالركوع والسجود والتسبيح لوجودها فيها، أو أريد بإقامة الصلاة تعديل أركانها من أقام العود إذا قومه، أو الدوام عليها، والمحافظة من قامت السوق إذا نفقت لأنه إذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه إليه الرغبات، وإذا أضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي يرغب فيه"⁽⁵⁾.

تساؤل:

قد يسأل سائل فيقول ما الفرق بين يقيمون الصلاة ويصلون؟ يجيب صاحب تفسير المنار عن ذلك بقوله: "الفرق بينهما أن الصلاة متى حددت بكيفية مخصوصة يقال لمن يؤديها بتلك الكيفية: إنه صلى، وإن كان عمله هذا خلواً من معنى الصلاة، وقوامها المقصود من الهيئة الظاهرة، فاحتيج إلى لفظ يدل على هذا المعنى الذي به قوام الصلاة، وهو ما عبر عنه القرآن بلفظ الإقامة، وقد قالوا: إن إقامة الصلاة عبارة عن الإتيان بجميع حقوقها من كمال الطهارة، واستيفاء الأركان والسنن، وهذا لا يعدو وصف الصورة الظاهرة، وإنما قوام الصلاة الذي

(1) الجوهري، اسماعيل بن حماد: أول ما حاول الطيران ومات في سبيله من أشهر كتبه الصحاح وغيرها. انظر: الزركلي: الأعلام، (1/313).

(2) الشوكاني: فتح القدير، (1/48).

(3) الزمخشري: الكشاف، (1/49). بتصرف يسير.

(4) سورة المعارج: آية 23.

(5) انظر: النسفي: تفسير النسفي، (مج1/28).

يحصل بالإقامة: هو التوجه إلى الله -تعالى- والخشوع الحقيقي له، والإحساس بالحاجة إليه -
تعالى- (1).

قال الإمام المراغي: "إن الصلاة على النحو الذي شرعه الإسلام من أفضل ما يعبر عن الشعور
بعظمة المعبود وشديد الحاجة إليه لو أقيمت على وجهها، أما إذا خلت من الخشوع والخضوع
فإنها تكون صلاة لا روح فيها، وإن كانت وجدت صورتها وهي الكيفيات المخصوصة... فلا بد
فيها من حضور القلب في جميع أجزائها واستشعار الخشية ومراقبة الخالق كأنك تنظر إليه" (2).

المطلب الثالث: الإنفاق في سبيل الله

من صفات المتقين والتي تلازمهم أنهم ينفقون أموالهم في سبيل الله أداء للزكاة والنفقات، وفعلاً
للقربات، فهم ليسوا دراويش لا يعرفون الأمور، ولا يوردونها ولا يصدرونها بل هم إن كانوا
من أهل الآخرة إلا أنهم لم ينسوا نصيبهم من الدنيا، فلهم تجارات و لهم أعمال، و لهم خيرات في
هذه الدنيا، لكنهم لن يجعلوا هذه الأشياء همهم، بل جاءتهم بغير عناء ومشقة، ولم تكن حلت من
قلوبهم محلاً فلذلك ينفقونها في وجوه الخير، يقول تعالى: "وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ" (3)،
وهم لا يرون أن ما ينفقونه فضلاً بحثاً منهم، بل يرونه حقاً عليهم، فيخرجه الواحد وهو يتخلص
من شيء لو بقي لظن أنه يفسد ماله، لأنه حق للآخرين، وحق الآخرين إذا دخل المال أفسده،
فيخرج المال، ويقول: "هذا حق للسائل الذي يتعرض للسؤال، ويطلب من الناس المساعدة، أما
المحروم فقيل هو المتعفف الذي لا يسأل" (4).

وقيل: هو الإنسان الذي لا يوفق في تجارته، فكلما ذهب في مشروع فشل فيه، فلا يكون موفقاً
في تجارته بل تركبه الديون ويكون محتاجاً إلى مساعدة الناس، وكل هذا داخل في المحروم.

(1) رضا: تفسير المنار، (129/1).

(2) المراغي: تفسير المراغي، (43/1). بتصرف.

(3) سورة الذاريات: آية 19.

(4) الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام، (ت211هـ): تفسير القرآن العزيز، المسمى تفسير عبد الرزاق، تحقيق
عبد المعطي أمين قلنجي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ-1991م، برقم (2981)، (196/2). سائير إليه:
الصنعاني: تفسير القرآن العزيز.

وقد وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- بأن الصدقة برهان، فقال -عليه الصلاة والسلام-
"والصدقة برهان"⁽¹⁾، أي: دليل على صدق الإيمان، لأن الإنسان جبل على حب المال كما قال
تعالى: "وَتُحِبُّونَ أَمْوَالَ حُبًّا جَمًّا"⁽²⁾، وقال أيضاً: "أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا"⁽³⁾.

فقد ركب في الطبيعة حب هذه الأشياء، والمؤمن الذي يخرج المال ليس معناه أن المال عنده
مثل التراب لا يبالي به، بل قد جبل وطبع على شيء من محبته، ولكن حب الإيمان، وصدق
اليقين، تغلب على هذه المحبة الفطرية فأخرج المال، ولهذا كانت الصدقة برهاناً على صحة
إيمان صاحبها، وصدق يقينه، حيث تغلب على هذه الشهوة الفطرية شهوة حب المال وأخرج هذا
المال، وهذه سمة للمؤمن في كل شيء، ليس في موضوع الصدقة فحسب، بل في كل شيء،
المؤمن يقدم ما يدعو إليه إيمانه، لا ما تدعوه إليه غريزته، أو شهوته، فالمؤمن يلجم نفسه بلجام
التقوى، ويتغلب على شح النفس الذي يورث توفيق الله -تعالى- للعبد ويورث البركة في
المال"⁽⁴⁾.

إن من صفات الله -تعالى- الكرم والجود، والسعيد من يحاول التحلي ببعض هذه الصفات التي
يحبها المولى سبحانه، ومن كان جواداً كريماً كان هماماً واضح الإحساس زكي النفس ذكي
الفؤاد، يحب الخير للعباد، ويساعد ذا الحاجة الملهوف، ويقصده الناس لقضاء حوائجهم، وتفريج
كروبهم، يقول -عليه الصلاة والسلام-: "من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه
كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر
مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة"⁽⁵⁾. والكرم والجود من أخلاق المؤمن، قال المفسرون: في

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، برقم (223)، ص226.

(2) سورة الفجر: آية 20.

(3) سورة الكهف: آية 46.

(4) <http://audio.islamweb.net/audio/index.php?page=full.content&audioid=122031>

(5) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فصل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر برقم (26699).

(ص1082).

حالة السراء والضراء، والعسر واليسر، والرخاء والشدة، والرضاء والغضب، في حال الصحة والمرض، فالإنفاق على هذا متأصل في نفوسهم، وسجية في طبائعهم⁽¹⁾.

"الرزق في اللغة: النصيب والعطاء، ويطلق على الحسي والمعنوي، كالمال والولد والعلم والتقوى"⁽²⁾. يقول -تعالى- "وَمَا زَرَقْتَهُمْ يَنْفِقُونَ"⁽³⁾، عن ابن عباس قال: يؤتون الزكاة احتساباً بها⁽⁴⁾، وقال أيضاً هي نفقة الرجل على أهله وهذا قبل أن تنزل الزكاة⁽⁵⁾. ويرجح الإمام الطبري -رحمه الله-: "أن يؤدوا جميع زكاة أموالهم، ونفقة من تلزمه نفقتهم من أهل وعيال وغيرهم... ويعلل ذلك؛ بأن الله -تعالى- قد عمّ وصفهم، إذ وصفهم بالإنفاق مما رزقهم، فمدحهم بذلك من صفتهم"⁽⁶⁾.

دلالة الآية:

قال الأستاذ رضا: "تدل الآية الكريمة على أن النفقة المشروعة تكون بعض ما يملك الإنسان لا كل ما يملك...، وهذا الوصف من أقوى أمارات الإيمان بالغيب، لأن كثيراً من الناس يأتون بضروب العبادات البدنية كالصلاة والصوم، ومتى عرض لهم ما يقتضي بذل شيء من المال لله -تعالى- يمسكون ولا تسمح أنفسهم بالبذل، وليس المراد بالإنفاق هنا ما يكون على الأهل والولد... وإنما هو الانفاق الناشيء عن شعور بأن الله -تعالى- هو الذي رزقه وأنعم عليه به، وأن الفقير المحروم عبد الله مثله"⁽⁷⁾.

(1) <http://audio.net/show.php?sid>

(2) انظر: رضا: تفسير المنار، (129/1).

(3) سورة البقرة: آية 3.

(4) ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم، برقم (77)، (37/1).

(5) المرجع السابق، برقم (78)، (38/1).

(6) الطبري: جامع البيان، (188/1)، بتصرف.

(7) رضا: تفسير المنار، (129/1-130). بتصرف يسير.

إنها صفة ثالثة من صفات المتقين التي وردت في سورة البقرة مما يحقق معنى التقوى، وصدق الإيمان من بذل عزيز على النفس في مرضاة الله -تعالى- (1).

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. ذكر الله عز وجل هذه الصفات لأنها أول ما شرع من الإسلام، وهي دليل على إخلاص الإيمان، فقد ذكرها الله -تعالى- للتذكير بنعمة الإسلام (2).

2. أدخل (من) التبعية صيانة لهم عن التبذير المنهي عنه، وقدم المفعول دلالة على كونه أهم، والمراد به الزكاة لاقتترانه بالصلاة، أو غيرها من النفقات في سبيل الخير (3).

المطلب الرابع: الاستغفار شعار المتقين

قال تعالى: "وَأَلْمَسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ" (4)، إن المتقين يدركهم السحر، وهم يستغفرون الله -تعالى- فضلاً عن استغفارهم في صلاتهم وسائر أوقاتهم، والاستغفار من أعظم أسباب توفيق الله للعبد، وإعانتة على ما يقاسيه من أمور دينه ودنياه، فإنه لا قوام، ولا قوة ولا حول للإنسان، إلا بالله -تعالى- فإذا عبد الله أمده الله -تعالى- بروح من عنده، فوجدته صلباً قوياً ذا همة عالية، ولهذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يجلس بعد صلاة الفجر يذكر الله -تعالى- ويسبح، ويهلل، ويقرأ القرآن حتى ي-تعالى- النهار ويرتفع، ويقول: هذه غدوتي، لو لم أنغدها لما تحملني قواي! يقول هذا الشيء مثل الطعام للجسد، هو لروحي مثل الطعام لجسدي، لو تركته ما استطعت أن أعمل شيئاً في ذلك اليوم، فلا بد من الزاد وخاصة لأهل الدعوة إلى الله عز وجل، ولهذا خاطب الله رسوله -صلى الله عليه وسلم- بخطاب فقال تعالى: "يَتَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ

(1) انظر: ابن عاشور: التحرر والتتوير. مج1 (234/1)، بتصرف.

(2) انظر: المرجع السابق، مج1، (237/1). بتصرف.

(3) المرجع السابق، مج1، (237/1). بتصرف.

(4) سورة آل عمران: آية 17.

﴿قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٢ ﴿تَصَفَّهُ أَوْ أَنْقَصَ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ ٣ ﴿أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ ٤ ﴿إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾⁽¹⁾، أي أنك تحتاج إلى هذا القيام لأنك تستعد لقول ثقيل يلقي عليك⁽²⁾.

قال الإمام الطبري في تفسيره للآية، "إنهم السائلون ربهم أن يستر عليهم فضيحتهم بها بالأسحار، وهي جمع سحر، وأظهر معاني ذلك أن تكون مسألتهم إياه بالدعاء، وقد يحتمل أن يكون معناه: تعرضهم لمغفرته بالعمل والصلاة"⁽³⁾، والأصح والأصوب هو ما ذكره الإمام الطبري -رحمه الله-، وهو الدعاء، ويؤيد هذا الكلام ما ذهب إليه الإمام القرطبي -رحمه الله- حيث جمع بين الصلاة والاستغفار، قال: "لا تتناقض فإنهم يصلون ويستغفرون، وخص السحر بالذكر؛ لأنه مظان القبول، ووقت إجابة الدعاء"⁽⁴⁾.

والاستغفار مندوب إليه فقد حث عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول في الحديث الذي يرويه أبو هريرة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة"⁽⁵⁾.

قال المراغي: "الاستغفار بالأسحار، أي: التهجد في آخر الليل، وهو الوقت الذي يطيب فيه النوم، ويشق القيام، وتكون النفس فيه أصفى، والقلب أفرغ من الشواغل، والاستغفار المطلوب ما يقرب بالتوبة النصوح، والعمل وفق حدود الدين، ولا يكفي الاستغفار باللسان مع الإدمان على فعل المنكر، فإن المستغفر من الذنب وهو مصر عليه، كالمستهزئ بربه، ولا يغتر بمثل هذا الاستغفار إلا جاهل بدينه"⁽⁶⁾.

"وزاد الاستغفار بالأسحار وهو الدعاء والصلاة المشتملة عليه في أواخر الليل، والسحر سدس الليل الأخير، لأن العبادة فيه أشد إخلاصاً، لما في ذلك الوقت من هدوء النفوس، ولدلالاته على اهتمام صاحبه بأمر آخرته، فاختر له هؤلاء الصادقون آخر الليل، لأنه وقت صفاء السرائر،

(1) سورة المزمل: آية 1-5.

(2) <http://audio.islam.web.net/audio/index.php?page=full.content&audioid=122031>.

(3) الطبري: جامع البيان، (مج3/1719).

(4) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج2، (36/4).

(5) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب استغفار النبي -عليه الصلاة والسلام- في اليوم واللييلة، برقم (6307)، ص1097.

(6) المراغي: تفسير المراغي، (470/1).

والتجرد عن الشواغل⁽¹⁾. "والواو المتوسطة بين الصفات، للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها، وللاشعار بأن كل صفة مستقلة بالمدح"⁽²⁾.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "ينزل الله -تبارك وتعالى- كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: هل من يدعوني فأستجيب له؟ هل من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له"⁽³⁾.

ولعل السر في أن الاستغفار صفة للمتقين، لأنه سبب للخير والبركة، ومناجاة للرب -تبارك وتعالى- دون أن يراه، أو يشعر به أحد إنه قمة الشعور برقابة الله تعالى والخوف منه.

المطلب الخامس: كظم الغيظ والعفو

لقد جعل الله -عز وجل- الحلم والعفو من صفات المتقين الذين يسارعون إلى مغفرة الله -تعالى- وإلى الجنة⁽⁴⁾، يقول تعالى: "الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيمِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ"⁽⁵⁾.

قال الأصفهاني -رحمه الله-: "الحلم: ضبط النفس، والطبع عن هيجان الغضب"، وجمعه أحلام⁽⁶⁾.

الكاظمين الغيظ: الجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه، يقال منه: كظم فلان غيظه، إذا تجرعه، فحفظ نفسه من أن تمضي ما هي قادرة على امضائه باستمكانها ممن غاضبها

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج3، (185/3).

(2) النسفي: تفسير النسفي، (207/1).

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، برقم (1145)، ص183.

(4) محمد، ربيع إبراهيم: أخلاق الإسلام وأخلاق دعائه، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1421هـ-2001م، ص272.

(5) سورة آل عمران: آية 134.

(6) الأصفهاني: المفردات، مادة حلم، ص253.

وانتصارها ممن ظلمها، وفلان كظيم: إذا كان ممثلاً غماً وحرناً⁽¹⁾، ومنه قوله تعالى: "وَأَبْيَضَتْ
عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ"⁽²⁾.

وقال الطبري: "والعافين عن الناس: الصافحين عن الناس عقوبة ذنوبهم إليهم، وهم على الانتقام
منهم قادرين، فتاركوها لهم"⁽³⁾.

والحلم من صفات النبيين والمرسلين والأولياء الصالحين، يرفع المتحلين به إلى مستوى من
حسن الخلق كريم، ومن الترفع عن الدنيا عظيم، فجدير بأصحاب الفكر السامي، أن يرافوا
بأصحاب العقل المحدود، لعل الصفح يذهب ما بهم من غيظ، فالإنسان عبد الإحسان كما
يقولون⁽⁴⁾.

تساؤل: ما الفرق بين الغيظ والغضب؟ من أوجه ما قيل في الفرق بينهما ما ذكره الإمام
القرطبي -رحمه الله- بقوله: "والغيظ أصل الغضب، وكثيراً ما يتلازمان، ولكن فرقان ما
بينهما، أن الغيظ لا يظهر على الجوارح بخلاف الغضب، فإنه يظهر في الجوارح مع فعل ما
لا بد... وقد فسر بعض الناس الغيظ بالغضب وليس بجيد والله أعلم"⁽⁵⁾.

وبما أن رسالة الإسلام رسالة سامية مصحوبة بالحرص على الإصلاح، فإنها قررت في
منهجها، الترفع عن الجاهلين، والإعراض عن الأذنياء، ولم يعبأ المسلمون في صدر الإسلام في
العهد المكي قبل الهجرة بما تعرضوا له مع نبيهم -عليه الصلاة والسلام- من ألوان الكيد
والأذى، والتحدي، والمقاومة، فصبروا وأحسنوا ولم يثأروا، ولم يقابلوا الشر بمثله، فنجحوا
وتحقق لهم النصر المبين⁽⁶⁾.

(1) الأصفهاني: المفردات. مادة كظم. (ص: 712). وانظر الحلبي، عمدة الحفاظ، (3/469).

(2) سورة يوسف: آية 84.

(3) الطبري: جامع البيان، (3/1970).

(4) مبيض، محمد سعيد: أخلاق المسلم وكيف نربي أبناءنا عليها، مكتبة الغزالي، سوريا، ط1، 1411هـ-1991م،
ص44-45، بتصرف يسير.

(5) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج2. (4/196)، بتصرف.

(6) انظر الزحيلي: أخلاق المسلم وعلاقته بالمجتمع. دار الفكر المعاصر. بيروت: د.ط. د.ت. ص44-45. سأشير إليه:
الزحيلي: أخلاق المسلم.

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "إن المتقين إذا ثار بهم الغيظ كتموه فلم يعلموه، وعفوا مع ذلك عن أساء إليهم... يكفون شرهم، ويعفون عن ظلمهم من أنفسهم فلا يبقى في أنفسهم موجدة على أحد، وهذا أكمل الأحوال"⁽¹⁾.

إن التجاوز في العقوبة، وحبس الغيظ عن أن ينفذ، والعفو عن ظلم الناس ولو وصل إلى درجة القتل أو الجرح هو من سمات المتقين⁽²⁾، قال تعالى: "خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ"⁽³⁾.

"إن من أعظم العبادة من يمسك غيظه بالصبر، ولا يظهر له أثر... ويعفو عن الجناة والمسيئين"⁽⁴⁾. "وهذا يدل على عزيمة راسخة في النفس، وقهر الإرادة للشهوة، وهذا من أكبر قوى الأخلاق الفاضلة... ويدل ذلك أيضا على أن كظم الغيظ وصف متأصل فيهم مستمر معهم"⁽⁵⁾.

وانظر كم سيكون مجتمعاً بغيظاً، ذلك المجتمع الذي يتبارى الناس فيه بما يديرونه من الكيد رداً على إساءة؟ وكم ستكون نفساً خبيثة تلك النفس التي لا تطمئن حتى تكيل الصاع صاعين لمن أخطأ في حقها⁽⁶⁾.

إن المتقين المؤهلين للظفر بغفران الله وجناته هم المؤمنون المتصفون بالإنفاق وكظم الغيظ والعفو عن الناس، وكظم الغيظ هو طريق اكتساب الحلم⁽⁷⁾، عن عائشة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "ما كان الرفق في شيء قط إلا زانه، ولا عزل عنه إلا شأنه"⁽⁸⁾.

(1) انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (70/2-73). بتصرف.

(2) انظر: البقاعي: نظم الدرر، (157/2). بتصرف يسير.

(3) سورة الأعراف: آية 199.

(4) أبو حيان: البحر المحيط. (63/3)، بتصرف.

(5) انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. مج3. (91/4).

(6) انظر: الخزندار، محمود محمد: هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً. دار طيبة- السعودية، 4، (1420-1999). ص103. سأشير إليه: الخزندار، هذه أخلاقنا.

(7) انظر: قرعوش، كايد وآخرين: الأخلاق في الإسلام. دار المناهج. عمان: الأردن. 4. 1424هـ-2004. ص159. سأشير إليه: قرعوش وآخرون: الأخلاق في الإسلام.

(8) أحمد: المسند، برقم (25709). (467/42). قال المحقق شعيب الأرنؤوط اسناد صحيح على شرط مسلم.

المطلب السادس: الخشية والإشفاق

الخشية في اللغة: "خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، ولذلك خص العلماء بها⁽¹⁾، في قوله تعالى: "إِنَّمَا خَشِيَ اللَّهُ مِنَّ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"⁽²⁾. والخشية أشد الخوف⁽³⁾.

الإشفاق: عناية مختلطة بخوف، لأن المشفق يحب المشفق عليه، ويخاف ما يلحقه⁽⁴⁾، والإشفاق: الخوف، فإذا عدي بمن فمعنى الخوف فيه أظهر، وإذا عدي بعلى فمعنى العناية فيه أظهر⁽⁵⁾.

قال ابن القيم -رحمه الله-: "الإشفاق: دوام الحذر مقروناً بالترحم"⁽⁶⁾.

يقول تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٥٤﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ"⁽⁷⁾، قال الإمام الطبري في معرض تفسيره للآية الكريمة: "آتينا موسى وهارون -عليهما السلام- الذكر الذي آتيناها للمتقين الذين يخافون ربهم بالغيب، يعني في الدنيا أن يعاقبهم في الآخرة إذا قدموا عليه بتضييعهم ما ألزمهم من فرائضه: فهم من خشيته يحافظون على حدوده وفرائضه، وهم من الساعة التي تقوم فيها القيامة (مشفقون) أي: حذرون أن تقوم عليهم فيردوا على ربهم، وقد فرطوا في الواجب عليهم الله فيعاقبهم من العقوبة بما لا قبل لهم به"⁽⁸⁾.

(1) الأصفهاني، المفردات. مادة خشي. ص283. وانظر: الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز. (544/2).

(2) سورة فاطر: آية 28.

(3) الأصفهاني، المفردات. مادة شفق. ص458.

(4) السمين الحلبي: عمدة الحفاظ. (322-321/2).

(5) انظر: السمين الحلبي: عمدة الحفاظ. (583/1).

(6) ابن القيم: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين. تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي. دار الكتاب

العربي. ط4. 1417هـ-1997م. (515/1). سأنشير إليه: ابن القيم: مدارج السالكين.

(7) سورة الأنبياء: آية 48-49.

(8) الطبري: جامع البيان. (مج7/5704).

وفي سنة الرسول -عليه الصلاة والسلام- ما يؤيد هذا الكلام بأن الله -تبارك وتعالى- قد حرم النار على كل من خاف وعيده وأتمر بأمره يقول -عليه الصلاة والسلام-: "لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم"⁽¹⁾.

قال البقاعي -رحمه الله-: "إن هؤلاء المتقين يخشون ربهم بالغيب كقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ"⁽²⁾. وهم من الساعة التي نضع فيها الموازين، وقد أعرض عنها الجاهلون مع كونها أعظم حامل على كل خير، مبعد من كل ضير، (مشفقون) لأنهم لقيامها متحققون، وبنصب الموازين فيها عالمون"⁽³⁾.

قال القرطبي: "لقد عرفوا بالنظر والاستدلال أن لهم رباً قادراً، يجازي على الأعمال فهم يخشونه في سرائرهم، وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس، (وهم من الساعة) أي: من قيامها قبل التوبة. (مشفقون) أي: خائفون وجلون"⁽⁴⁾، و"الغيب ما غاب عن عيون الناس، أي: يخشون ربهم في خاصتهم لا يريدون بذلك رياء، ولا لأجل خوف الزواجر الدنيوية والمذمة من الناس"⁽⁵⁾.

وقد فسر الزحيلي الخشية بأمرين:

الأول: "خشية الله في السر: يخافون عذاب ربهم فيأتمرون بأمره، وينتهون بنهيه، في حال الخفاء والسر والخلوات، حيث لا يطلع عليهم أحد من الناس.

الثاني: الخوف من يوم القيامة: يخافون عذاب ربهم يوم القيامة، أي من أهوالها وسائر ما يحدث فيها من الحساب والسؤال"⁽⁶⁾.

(1) الترمذي: سنن الترمذي. كتاب فضائل الجهار، باب ما جاء من فضل الغيار في سبيل الله. برقم (1633). ص 384. قال الترمذي: حديث صحيح.

(2) سورة الملك: آية 12.

(3) انظر: البقاعي: نظم الدرر. (89/5).

(4) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج 6. (203/11). بتصرف يسير.

(5) ابن عاشور: التحرير والتنوير. مج 8. (90/17).

(6) الزحيلي: التفسير المنير. (69/17). بتصرف يسير.

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. إن الواجب على المسلم أن يعد للساعة عدتها بالتقوى بقدر الاستطاعة، وهذا فيه تعريض بالذين لم يهتدوا بكتاب الله بدلالة مفهوم المخالفة⁽¹⁾، لقوله تعالى: "وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٧٤﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ" ⁽²⁾، فمن لم يهتد بكتاب الله، فليس هو من الذين يخشون ربهم بالغيب وهوؤلاء هم فرعون وقومه⁽³⁾.

2. إن الآية الكريمة فيها تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون بالإنذار ما لم يشاهدوا ما أنذروه⁽⁴⁾.

3. عبارة "وهم مشفقون" فيها تنبيه على قيام الساعة، فيردوا على ربهم قد فرطوا في الواجب عليهم الله، فيعاقبهم بما لا قبل لهم به⁽⁵⁾.

وخلاصة القول: "إن الخشية والإشفاق صفتان ملازمتان لقلوب المتقين الذين يخشون ربهم بالغداة والعشي، وقد جعلها الله -تعالى- من صفاتهم؛ لأنهم من الذين يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله.... ومنهم رجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه، إنها خشية الله ومخافته والطمع برحمته وثوابه.

المطلب السابع: قيام الليل

إن قيام الليل أمر يتعلق بعبادة أهل التقوى، وصلاتهم إنهم يقومون الليل كله إلا قليلاً، يقول تعالى: "كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ" ⁽⁶⁾. وما هنا مصدرية يعني: هجوعهم في الليل كان قليلاً،

(1) مفهوم المخالفة: دلالة اللفظ على ثبوت حكم للمسكوت عنه مخالف لما دل عليه من المتطوع لانتهاء قيد من القيود المقيدة في الحكم. انظر: الصالح: تفسير النصوص. الكتب الإسلامي. د. ط. د. ت، (609/1).

(2) سورة الأنبياء: آية 48-49.

(3) انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير. مج8. (90/17).

(4) أبو السعود: إرشاد العقل السليم. (342/4). انظر: الأوسى: روح المعاني. مج10. (86/17).

(5) انظر: القاسمي: محاسن التأويل. (262/11).

(6) سورة الذاريات: آية 17.

ف نومهم قليل، والغالب أنهم قائمون في صلاة، أو ذكر، أو عبادة، أو طلب علم... أو غير ذلك، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- "من صلى العشاء في جماعة، فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة، فكأنما قام الليل كله"⁽¹⁾.

إنها العبادة التي تفتح القلب، وتوثق الصلة، وتيسر الأمر، وتشرق بالنور، وتفيض بالراحة والاطمئنان⁽²⁾. يقول الإمام الحسن البصري -رحمه الله-: "يا ابن آدم، عمك عمك فإنما هو لحمك ودمك. فانظر على أي حال تلقى عمك، إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها صدق الحديث، والوفاء بالعهد، وصلة الرحم، ورحمة الضعفاء، وقلة الفخر والخيلاء، وبذل المعروف، وقلة المباهاة للناس، وحسن الخلق، وسعة الخلق مما يقرب إلى الله عز وجل"⁽³⁾. وقد فسر الماوردي -رحمه الله- الآية الكريمة على أربعة وجوه:

الأول: يستيقظون فيه فيصلون، ولا ينامون إلا قليلاً.

الثاني: أنهم كانوا في قليل من الليل ما يهجعون، حتى يصلوا صلاة المغرب وعشاء الآخرة، وهو ما ذهب إليه الإمام الطبري، وقال بأنه الأصح والأولى والأصوب.

الثالث: أن منهم قليلاً ما يهجعون للصلاة في الليل، وإن كان أكثرهم هجوعاً.

الرابع: أنهم كانوا قليلاً يهجعون وما: صلة زائدة، وهذا لما كان قيام الليل فرضاً، حتى نزلت الرخصة⁽⁴⁾. "يَتَأَيُّهَا الْمَزْمَلُ ﴿٥﴾ قُمْ أَيْلًا إِلَّا قَلِيلًا"⁽⁵⁾.

(1) مسلم، صحيح مسلم: كتاب المساجد. باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة. برقم (656). ص258.

(2) انظر: العفاني، سيد بن حسين: رهبان الليل. تقديم أبو بكر الجزائري وآخرون. مكتبة معاذ بن جبل بنسب سوييف. ط11. 1423هـ-2002م. (37/1).

(3) الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت430هـ) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. دار الفكر. بيروت-لبنان: د.ط. 1416هـ-1996م. (143/2). سائشير إليه: الأصفهاني، حيلة الأولياء.

(4) انظر: الماوردي: النكت والعين. (مج5/365-366).

(5) سورة المزمل: الآية 1.

وأما الإمام القرطبي فقد تفرد في القول إلى أنهم "مدوا الصلاة من أول الليل إلى السحر، ثم استغفروا في السحر"⁽¹⁾. قال ابن عباس: ما تأتي عليهم ليلة ينامون حتى يصبحوا إلا يصلون فيها شيئاً إما من أولها، أو من وسطها⁽²⁾. وقال الإمام حسن البصري -رحمه الله-: كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا قلة، وربما نشطوا فوجدوا حتى السحر⁽³⁾.

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. الفائدة في قوله تعالى: "من الليل" وذلك لأن النوم القليل بالنهار قد يوجد من كل أحد، وأما الليل فهو زمان النوم لا يسهره في الطاعة إلا متعبد مقبل، فإن قيل الهجوع لا يكون إلا بالليل، والنوم نهاراً لا يقال له الهجوع قلنا ذكر الأمر العام، وإرادة التخصيص حسن⁽⁴⁾.

2. تدل الآية الكريمة على شدة طاعتهم لله ابتغاء مرضاته ببذل أشد ما يبذل على النفس... وهو راحة النفس في وقت اشتداد حاجتها إلى الراحة وهو الليل كله وخاصة آخره، إذ يكون فيه قائم الليل قد تعب، واشتد طلبه للراحة...، ففي قيام الليل إشارة إلى تركية النفس باستجلاب رضى الله -تعالى- وفي الاستغفار تركية الظاهر بالأقوال الطيبة الجالبة لمرضاة الله عز وجل⁽⁵⁾.

3. تدل الآية على أنهم كانوا يهجعون قليلاً من الليل، وذلك اقتداءً بأمر الله -تعالى- لنبيه -عليه الصلاة والسلام-... وقد كان النبي -عليه الصلاة والسلام- يأمرهم بذلك⁽⁶⁾.

إن هذا الوصف مدح لهم، وثناء عليهم، فوصفهم بكثرة العمل، وسهر الليل، ومكابדתه فيما يقربهم منه ويرضيه عنهم أولى وأشبه ممن وصفهم بقلة العمل، وكثرة النوم، وأعلم أن مغالبة

(1) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج9. (36/17).

(2) انظر: البغوي: معالم التنزيل. (208/4).

(3) البصري، الحسن (ت110هـ): تفسير الحسن البصري. جمع وتوثيق ودراسة د. محمود عبد الرحيم. دار الحديث. القاهرة: د.ط. (302/2). سائير إليه البصري. تفسير البصري.

(4) الرازي: التفسير الكبير. مج14. (204/28).

(5) ابن عاشور: التحرير والتنوير. مج12. (348/26). بتصرف يسير.

(6) المرجع السابق. مج12. (349/26). بتصرف يسير.

هواتف النوم، وجاذبية الفراش بعد كل النهار، أشد وطناً وأجهد للبدن، ولكنه إعلان السيطرة للروح واستجابة لدعوة الله لتكون من الفالحين في الدارين⁽¹⁾.

قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "لولا أن أسير في سبيل الله، أو أضع جنبي لله في التراب، أو أجالس قوماً يلتقون طيب القول كما يلتقط طيب الثمر، لأحببت أن أكون قد لحقت بالله"⁽²⁾، يريد -رضي الله عنه-: الجهاد، والصلاة، والعلم النافع، وهذه درجات الفضائل، وأهلها هم أهل الزلفى، والدرجات العليا⁽³⁾.

ومن المعلوم أن المحافظة على صلاة الليل سبب لحضور القلب بين يدي الله -تبارك وتعالى- وبكائه، وتأثره بأي الذكر الحكيم، والقرآن العظيم، على ما فيه من مشقة، وعناء، واعلم أن هناك جنة الدنيا، كما أن هناك جنة في الآخرة، وجنة الدنيا هي قيام الليل، والخلوه بالرحمن سبحانه وتعالى - واعلم أن قيام الليل دليل على حب الله للإنسان... فمن وفقه الله وأعانه على قيام الليل فإن هذا يعني أن الله -تعالى- يحبه⁽⁴⁾.

المطلب الثامن: الصدق

الصدق في اللغة: نقيض الكذب⁽⁵⁾.

قال الراغب الأصفهاني: "الصدق والكذب أصلهما في القول، ماضياً كان أو مستقبلاً وعداً كان أو غيره. ولا يكونان بالقصد الأول إلا في القول، ولا يكونان في القول إلا في الخبر دون غيره من أصناف الكلام..."⁽⁶⁾.

(1) انظر: ابن أبي الدنيا، أبي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد (ت281هـ): التهجد وقيام الليل. تحقيق مسعد عيد الحميد محمد السعدني. مكتبة القرآن. د.ط. د.ت. ص6.

(2) ابن سعد: الطبقات الكبرى، (220/3).

(3) ابن القيم: مدارج السالكين. (281/2).

(4) انظر: خالد، عمرو: عبادات المؤمن. دار المعرفة. بيروت-لبنان: ط1. 1422هـ-2002م. ص70-71. بتصرف. سأشير إليه: خالد: عبادات المؤمن.

(5) ابن منظور: لسان العرب. مادة صدق. (193/10).

(6) الأصفهاني: المفردات. مادة صدق. ص478.

"إن الصدق هو الطريق الأقوم الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه، الذي ما وضع على شيء إلا قطعه، ولا واجه باطلاً إلا أرداه وصرعه، من صال به لم ترد صولته، ومن نطق به علت على الخصوم كلمته... وقد أمر الله سبحانه وتعالى - أهل الإيمان أن يكونوا مع الصادقين فقال تعالى: "يَتَأَيُّبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" (1). وأخبر - تعالى - عن أهل البر وأتى عليهم بإحسان أعمالهم من الإيمان والإسلام والصدق والصبر بأنهم أهل الصدق فقال: "لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَآمَنُوفِينَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" (2). وهذا صريح في أن الصدق بالأعمال الظاهرة والباطنة. وأن الصدق هو مقام الإسلام والإيمان" (3).

نداء كريم من الرب الرحيم لعباده المؤمنين الذين لديهم الاستعداد لتلقي الأوامر والنواهي، ولديهم الاستعداد للالتزام والانقياد، جاء الأمر بتقوى الله -تعالى- ثم أرفد الله -تعالى- أمره بالتقوى بأمر آخر، وهو الأمر بالتزام الصدق، أن يكون المؤمنون مع أهل الصدق دائماً حتى يحققوا تقوى الله ويستحقوا ثوابه. يقول -تعالى- "الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ" (4).

ولقد اختلفت أقوال المفسرين في تعريف الصادقين، فالصادقون عند الإمام الطبري هم: "قوم صدقت أفواههم، واستقامت قلوبهم، وأسننتهم، وصدقوا في السر، والعلانية" (5). وعند الإمام القرطبي: "الصادقين في الأفعال والأقوال" (6). وعند الإمام ابن كثير: "الصادقين فيما أخبروا به

(1) سورة التوبة: آية 119.

(2) سورة البقرة: آية 177.

(3) ابن القيم: مدارج السالكين. (258/2).

(4) سورة آل عمران: آية 17.

(5) الطبري: جامع البيان. (مج3/1718).

(6) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج2. (36/4).

من إيمانهم بما يلتزمونه من الأعمال الشاقة"⁽¹⁾. "والصادقين في أقوالهم ونياتهم وعزائمهم"⁽²⁾.
 "والصدق ملاك الإستقامة وبث الثقة بين أفراد الأمة"⁽³⁾. "ومطابقة أقواله وأفعاله لباطن حاله في
 نفسه وعرافان قلبه"⁽⁴⁾. قال أبو حيان: "وبالصدق تتحقق التقوى، لأنه صدق ينبني على الإخلاص
 ومراقبة الله في السر والعلن"⁽⁵⁾.

وقد أوصى الحبيب المصطفى بالصدق، وحث عليه، عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال
 رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي
 إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى بالصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب
 فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى
 الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً"⁽⁶⁾.

لقد لخص هذا الحديث الشريف منزلة الصدق في الإسلام، كما بين شناعة الكذب وقبحه، فقد أمر
 بالصدق وبين أنه يوصل إلى البر، فقد جعل رسول الله -عليه الصلاة والسلام- الصدق أصلاً
 إلى الخيرات والأعمال الصالحة، وأنه طريق إلى جنات النعيم، كما جعل الكذب أصل كل
 الانحراف عن جادة الحق، وأنه طريق إلى العذاب الأليم.

ومن الآيات الكريمة التي تدل على أن الصدق من صفات المتقين، قوله تعالى: "لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ
 تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
 وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ
 وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ
 أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ"⁽⁷⁾. "وصفهم بالصدق والتقوى في أمورهم والوفاء بها،

(1) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (13/2).

(2) أبو السعود: إرشاد العقل السليم. (346/1).

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير. مج 3. (185/3).

(4) البقاعي: نظم الدرر. (40/2).

(5) أبو حيان: البحر المحيظ. (418/2).

(6) مسلم: صحيح مسلم. كتاب البر والصلة. باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله. برقم (2607). ص 1048.

(7) سورة البقرة: آية 177.

وأنهم كانوا جادّين في الدين، وهذا غاية الثناء، والصدق خلاف الكذب، ويقال صدقوهم القتال، والصدّيق: الملازم للصدق⁽¹⁾.

قال الإمام الطبري -رحمه الله- في قوله تعالى: "أولئك الذين صدقوا" "من آمن بالله، واليوم الآخر... فمن فعل هذه الأشياء فهم الذين صدقوا الله في إيمانهم، وحققوا قولهم بأفعالهم، لا من ولى وجهه قبلَ المشرق والمغرب، وهو يخالف الله في أمره، وينقض عهده وميثاقه، ويكتم الناس بيان ما أمره الله ببيانه ويكذب رسله"⁽²⁾.

"إن أهل هذه الأوصاف هم الذين صدقوا في إيمانهم، ثم جاء على ذكر ما قال الواحدي -رحمه الله- "... هذه الواوات في الأوصاف في هذه الآية للجمع، فمن شرائط البر وتام شرط البار أن تجتمع فيه هذه الأوصاف، ومن قام به واحد منها لم يستحق الوصف بالبر"⁽³⁾.

ولقد أجاد الطاهر ابن عاشور وأفاد، فيما وقفنا عليه من الإحاطة البالغة بالدقة بتلك المجموعة من الفضائل، ومن التعبير ومن الهدي المقصود من الآية الكريمة، وقال: "فلهذا الاستقراء البديع الذي يعجز عنه كل خطيب وحكيم غير العلام الحكيم، وقد جمعت هذه الخصال جماع الفضائل الفردية والاجتماعية الناشئ عنها صلاح أفراد المجتمع من أصول العقيدة، وصالحات الأعمال"⁽⁴⁾.

"إن أمثال هؤلاء هم الذين صدقوا الله في دعوى الإيمان دون الذين قالوا آمنّا بأفواههم، ولم تؤمن قلوبهم، (وأولئك هم المتقون) الذين تشهد لهم بالتقوى أعمالهم وأحوالهم"⁽⁵⁾. وهكذا نجد أن الأوامر الإلهية صريحة في التجلي بالصدق، وأنه صدق للمتقين وملازم لتقوى الله -تعالى- لأن الذي لا يستشعر بمراقبة الله عز وجل ولا يشعر أنه سوف يحاسبه في كل كلمة يقولها، فأنى له أن يصدق، وأي رادع يردعه عن الكذب والفجور والبهتان.

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج1. (228/2).

(2) الطبري: جامع البيان. (مج2/860).

(3) الرازي: التفسير الكبير. مج3. (50/5). بتصرف يسير.

(4) ابن عاشور: التحرير والتنوير. مج2. (132/2).

(5) انظر: رضا: تفسير المنار. (122/2).

المطلب التاسع: التوبة وعدم الإصرار على المعصية

التوبة في اللغة: الرجوع من الذنب⁽¹⁾.

وأضاف الحلبي، والتوبة والتوب: الرجوع من قبيح إلى جميل من الجميل إلى القبيح⁽²⁾.

"والتوبة من الله على عباده: الرجوع بهم من المعصية إلى الطاعة، ومنه قوله تعالى: "فَتَابَ عَلَيْكُمْ"⁽³⁾. وقد يكون الرجوع بهم من الحظر إلى الإباحة... وقد يكون من الأثقل إلى الأخف"⁽⁴⁾.

قال الأصفهاني: "التوبة في الشرع: ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعادة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالأعمال بالإعادة"⁽⁵⁾. يقول الإمام بن قيم الجوزية: "التوبة وهي: رجوع العبد إلى الله، ومفارقته لصراط المغضوب عليهم والضالين"، وهي بداية العبد ونهايته وحاجته إليها في النهاية ضرورية"⁽⁶⁾.

"ما من أحد لم يقترب ذنباً أو يجترم إثماً، فالإنسان خطأ كما ذكر النبي -عليه الصلاة والسلام-، وخطأ تعني: "كثير الأخطاء"، لكن التائب بصدق يتقرب الله إليه، وهذا الصنف دون صنف المستغفرين، فالحقهم الله بهم منة منه وكرماً وهؤلاء هم التوابون، الذين يقعون في الفاحشة ثم يستدركون، ويتوبون إلى الله -تعالى- فيتوب عليهم، ويغفر لهم، وإن ظلم النفس هنا فالخطأ دون الكبائر، هؤلاء يذكرون الله، ويعلمون أنهم أغضبوه، فيسارعون للاستغفار والتوبة، والأوبة إليه فهو وحده الذي يقبل توبتهم، ويقبل عثرتهم، فإذا كان الله وحده من يغفر الذنوب فاللجوء إليه وحده الطريق الصحيح للتخلص من الذنوب والآثام، والتوبة لها شروط ثلاثة كما ذكر العلماء اعتماداً على هذه الآية الكريمة، الأول: أن يقلع الإنسان عن المعصية، والثاني: أن

(1) ابن منظور: لسان العرب. مادة توب. (233/1).

(2) الحلبي: عمدة الحفاظ. (311/1).

(3) سورة البقرة: آية 54.

(4) الحلبي: عمدة الحفاظ. (311/1).

(5) الأصفهاني: المفردات. مادة توب. ص 169.

(6) ابن القيم: مدارج السالكين. (196/1-197).

يندم على فعلها، الثالثة: أن يعزم أن لا يعود إليها، فإذا كانت المعصية بحق غير الله زيد شرط رابع، أن يعيد الحق لصاحبه، وأن يستسمح منه⁽¹⁾. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ما من عبد يذنب ذنباً ثم يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر له"⁽²⁾ ثم تلا الآية الكريمة "وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ وَإِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ"⁽³⁾. وفي هذه الآية الكريمة صفتان من صفات المتقين، إذا صدر منهم ذنب كائن ما كان شأنه، تذكروا رقابة الله الذي لا تخفى عليه خافية، وذكروا عظمتة وجلاله ووعيده على ما يأتي العبد من الإثم، فسألوا ربهم أن يستر عليهم ذنوبهم بصفحة لهم عن العقوبة عليها وهل يغفر الذنوب إلا الله!؟

ومما يدل على صدقهم في الاستغفار والتوبة: الإقلاع الجازم عن الذنب، وذلك بعدم الإصرار على ما فعلوا، هؤلاء الأبرار تذكروا فأبصروا، ولم يقيموا على ذنوبهم التي أتوها، وهم يعلمون، وهذا سر من أسرار التقوى في سرعة التذكر للوعد والوعيد، وليس الغافلين الذين يتلبد إحساسهم فترى الغفلة تصنع غفلة بعدها وهكذا.

فالمتي إذا مسه طائف من الشيطان سرعان ما يتذكر، فإذا هو مبصر قد زالت الغشاوة عن عينه وارتد الشيطان عن طريقه خاسئاً محسوراً⁽⁴⁾، يقول تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ"⁽⁵⁾. ويدعم هذا الكلام ما ورد من هدي الرسول -عليه الصلاة والسلام- عن عبد الرحمن بن أبي عمرة⁽⁶⁾، قال سمعت أبا هريرة قال: "سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: إن عبداً أصاب ذنباً وربما قال: أذنب ذنباً، فقال: رب أذنبت ذنباً وربما قال: أصبت - فاعفر لي، فقال ربه: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به؟

(1) <http://www.odabasham.net/show.php?sid=>

(2) الترمذي: سنن الترمذي، كتاب التفسير. باب ومن سورة "آل عمران"، برقم (3006). ص672. قال الترمذي حديث حسن.

(3) سورة آل عمران: آية 135.

(4) الصالح: التقوى في هدي الكتاب. (569/2). بتصرف يسير.

(5) سورة الأعراف: آية 201.

(6) هو عبد الرحمن بن أبي عمرة الصحابي (ت60هـ) وقيل عبد الرحمن بن أبي عميرة المزني عداده في الشاميين. الصفي: الوافي بالوفيات. (124/18). وانظر: ابن الأثير: أسد الغابة. (140/3).

غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنباً، أو أذنب ذنباً فقال: رب اذنبت أو أصبت، أو قال أذنبت آخر فاغفر لي، فقال: أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء⁽¹⁾، وفيه دليل على صحة التوبة بعد نقضها بمعاودة الذنب⁽²⁾.

وحقيقة التوبة: هي الندم على ما سلف منه في الماضي، والاقلاع عنه في الحال، والعزم على ألا يعاوده في المستقبل⁽³⁾.

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. عدم الإصرار على المعصية والاقلاع عنها والتوبة إلى الله -تعالى-⁽⁴⁾.
2. إن الإصرار يعني: الإقامة على الذنب عامداً، أو ترك التوبة منه⁽⁵⁾.
3. تبين الآية الكريمة أن الله -تعالى- واسع الرحمة قريب المغفرة وأن التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له، وأنه لا مفزع للمذنبين إلا فضله وكرمه، وأن عدله يوجب المغفرة للتائب⁽⁶⁾.
4. تجاوز الله عن عباده فيه تطيب لنفوسهم وتنشيط للتوبة، وبعث عليها، وردع عن اليأس والقنوط، وأن الذنوب وإن جلت، فإن عفوه أجل وكرمه أعظم⁽⁷⁾.
5. "تبين الآية الكريمة أن الذين آمنوا على ثلاث طبقات، متقون وتائبون ومصرفون، وأن الجنة للمتقين والتائبين منهم، دون المصرين، ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه"⁽⁸⁾.
6. يتميز المتقون عن الفاسقين حين يقعوا في معصية بثلاث أمور:

(1) البخاري: صحيح البخاري. كتاب التوحيد. برقم (7507). (1292-1293).

(2) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج2 (4/200).

(3) ابن القيم: جامع الآداب. (1/15).

(4) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج2. (4/200-201). بتصرف.

(5) الطبري: جامع البيان. (مج3/1975).

(6) الزمخشري: الكشاف. (1/407).

(7) المرجع السابق. (1/408).

(8) المرجع السابق. (1/408).

أ. سرعة التذكر لله.

ب. سرعة الاستغفار والتوبة.

ت. عدم الإصرار على المعصية.

إن حيازة هذه الخصال الثلاث، توفيق من الله -تعالى- لأهل التقوى، ولكن قد نرى بعض الناس يتلونون في معاملتهم ويحرصون على إظهار أحسن صورة، ليحسب الناس أنه من المتقين الأتقياء مع إبطائه أسوأ النوايا، وهذه مجانية للصدق، ويكون قد أحرم نفسه من التوفيق والهداية. وقد تجد كثيراً من العصاة يخجلون من العودة إلى الله، والتوبة الصادقة، بسبب إسرافهم على أنفسهم في المعاصي فهم يعيشون حالة من اليأس والقنوط من رحمة الله كأنهم لم يقرأوا قول الله تبارك وتعالى: "قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"⁽¹⁾. وقد تجد أيضاً أن كثيراً ممن تابوا إلى الله توبة صادقة ظل شبح المعاصي في السابق يطاردهم فهم في حيرة وقلق من ماضيهم الأسود كأنهم كذلك لم يتلوا قول الله تبارك وتعالى: "إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا"⁽²⁾.

ومن هنا فقد تفضل الله على هذا المخلوق البشري أنه إن عصى الله، ثم استغفر ربه، وتاب إليه توبة نصوحاً، فالله يقبل توبته ويحب التوابين⁽³⁾.

المطلب العاشر: القنوت

القنوت في اللغة: لزوم الطاعة مع الخضوع⁽⁴⁾ بقوله تعالى: "كُلُّ لَّهُ قَنُوتٌ"⁽⁵⁾. قيل خاضعون وقيل طائعون. فهم مداومون على الطاعة مواظبون عليها بلذة وحضور قلب، يقول تعالى:

(1) سورة الزمر: آية 53.

(2) سورة الفرقان: آية 70.

(3) انظر المحاسبي: التوبة، دار الفضيلة، دط، دت، (ص 83).

(4) الأصفهاني: المفردات. مادة قنت. ص 684-685.

(5) سورة الروم: آية 26.

"الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ"⁽¹⁾. وقد اختلفت أقوال علماء التفسير في القنوت.

يرى الإمام الطبري -رحمه الله- أن القانتين: "هم المطيعون لله"⁽²⁾، وهو ما ذهب إليه الإمام القرطبي⁽³⁾، وقيل: إن القانتين: "المخلصين لله في جميع أمورهم الدائمين عليه"⁽⁴⁾، والقانتين: "المدومين على الطاعات المواظبين على العبادات"⁽⁵⁾. وقيل: إن القنوت الطاعة والخضوع⁽⁶⁾، وقيل ملازمة العبادات في أوقاتها، وإتقانها وهو عبادة نفسية جسدية⁽⁷⁾.

قال سيد قطب -رحمه الله- "وفي القنوت لله أداء لحق الألوهية، وواجب العبودية، وتحقيق لكرامة النفس بالقنوت لله الواحد الذي لا قنوت لسواه"⁽⁸⁾.

"إن المسلم يتقي الله عز وجل بإقامة الصلاة، والتي هي أعظم ركن من أركان الإسلام بعد الشهادتين، مضموماً إلى ذلك طاعته سبحانه بأداء ما افترض عليه من زكاة المال، وبتكامل البناء الذي تزكوا معه النفس، ويتطهر القلب، وتضيء الاستقامة بنورها عمل الجوارح، وبأن يصحب ذلك كله السلوك الأخلاقي المرضي في الإسلام...، حيث التخلق بما به تتحقق ماهية البر، وذلك من صفات البررة المتقين، فتراهم وقد اتخذوا من التقوى مصباح هداية ونور، لا يريمون عن طريق الوفاء بعهدهم إذا عاهدوا سواء كان ذلك العهد مع الله -تباركت أسماؤه- أو مع عباده، ولا يجزعون عند مصيبة ولا يضيقون بالابتلاء نزعاً، بل يصبرون ويحتسبون، فهم صابرون في الباساء والضراء ويومحى الوطيس في ميادين الجهاد في سبيل الله"⁽⁹⁾.

(1) سورة آل عمران: آية 17.

(2) الطبري: جامع البيان. (مج3/1718).

(3) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج2 (36/4).

(4) انظر: البقاعي: نظم الدرر. (40/2).

(5) انظر: أبو السعود: إرشاد العقل السليم. (346/1).

(6) انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (13/2).

(7) انظر: ابن عاشور: التحرر والتتوير. مج3. (185/3).

(8) قطب: الظلال. (مج1/376).

(9) الصالح: التقوى في هدي الكتاب. (489/2).

الفصل الرابع

طرق الوصول إلى التقوى

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تدبر القرآن

المبحث الثاني: مجاهدة النفس

المبحث الثالث: العبادة

المطلب الأول: تعريف العبادة وبيان أهميتها

المطلب الثاني: التقوى في الصلاة

المطلب الثالث: التقوى في الصيام

المطلب الرابع: التقوى في الزكاة

المطلب الخامس: التقوى في الحج

المبحث الرابع: معرفة الله -تعالى-

المبحث الخامس: مراقبة الله -تعالى-

الفصل الرابع

طرق الوصول إلى التقوى

مقدمة:

إن الناظر في كتاب الله عز وجل يجد أن العديد من آياته الكريمة ترشد المؤمنين إلى سبل الوصول إلى التقوى، وعلى المسلم أن يلتزم هذه الطرق حتى يكون من المتقين، وفيما يلي عرض لهذه الطرق، ولأهميتها، فقد أفردت كل واحدة من هذه الطرق بمبحث مستقل على النحو التالي:

المبحث الأول

تدبر القرآن

لقد أنزل الله -عز وجل- القرآن الكريم لتدبر آياته، لا لنهجره، أو نقرأه في المناسبات، أو نتخذ منه تمانم نتعلقها.

وقد وردت آيات كثيرة تدل على وجوب تدبر القرآن ومنها قوله تعالى: "كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ" (1)، فهذا الكتاب المبارك يزخر بالمعاني القيمة التي لا ينقطع ثمرها، ولا يدركها إلا الذين يتدبرون آياته، ولكن ليس المقصود بالتدبر الحصول على المعرفة العلمية، وإنما أخذ العبرة والعظة، والدروس العظيمة والعمل بها، وتطبيقها في أرض واقع الحياة. وهذا المعنى لا يصل إليه إلا أصحاب العقول النيرة، والأأيادي المتوضئة، والقلوب الطاهرة، فهم يعرفون قلوبهم وينظرون في عواقب الأمور، ولكن هناك فئة معرضة عن الحق، وتدبر القرآن، وهم موجودون في كل زمان ومكان من عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى يومنا هذا، وهم المنافقون الذين يتظاهرون بالإسلام، ويعلمون الطاعة لكن قلوبهم غير مؤمنة وأفكارهم منصرفة معرضة عن تدبر كتاب الله، وقد أرشدنا الله -تبارك وتعالى- إلى

(1) سورة ص: آية 29.

السعادة الحقيقية، وبين لنا طريق النجاة في الدنيا والآخرة بقوله: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (1)، فهذه دعوة لنا جميعاً للتفكير في هذا القرآن العظيم بقوله تعالى: "لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" (2)، وقد أمر الله -تبارك وتعالى- الإنسان بالتفكير بقوله تعالى: "أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ" (3). ودعوة من الباري للتفكير في هذا الكون وما فيه من مخلوقات مختلفة متنوعة، فالقرآن لو نزل على جبل لتصدع، قال تعالى: "لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ" (4).

"وفيما حث على تأمل مواضع القرآن، وبين أنه لا عذر في ترك التدبر، فإنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل فيها لانقادت لمواعظه، ولرايتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة، أي متشقة من خشية الله... فلو أنزل هذا القرآن على جبل لخشع لوعده، وتصدع لوعده" (5).

إننا لا بد لنا أن نسأل أنفسنا: ما الذي استفدناه من القرآن؟ لقد قرأنا القرآن، وختمناه مرات عديدة، وقمنا بذلك في رمضان عشرات المرات، فما الذي تغير في حياتنا؟ وما هو انعكاس ذلك على نفوسنا؟ قال تعالى: "لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (6). قال القرطبي: "وقيل: 'فيه ذكركم' أي ذكر أمر دينكم، وأحكام شرعكم، وما تصيرون إليه من ثواب وعقاب" (7). وقال مجاهد: "فيه ذكركم" أي: حديثكم (8). وقيل: مكارم أخلاقكم، ومحاسن أعمالكم (9).

(1) سورة النساء: آية 82.

(2) سورة الحشر: آية 21.

(3) سورة الروم: آية 8.

(4) سورة الحشر: آية 21.

(5) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج9، (40/18). بتصرف يسير.

(6) سورة الأنبياء: آية 10.

(7) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج 6. (183/11).

(8) ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم. برقم (13606) (مج8/2446).

(9) انظر: الماوردي: النكت والعيون. مج3. (439/3).

وقال عز من قائل: "وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ"⁽¹⁾، قال القرطبي: "يعني القرآن شرف لك ولقومك من قريش، إذ نزل بلغتهم وعلى رجل منهم... ، فالقرآن نزل بلسان قريش، وإياهم خاطب، فاحتاج أهل اللغات كلها إلى لسانهم، كل من آمن بذلك فصاروا عيالاً عليهم، لأن أهل كل لغة احتاجوا إلى أن يأخذوه من لغتهم، حتى يقفوا على المعنى الذي عنى به من الأمر، والنهي وجميع ما فيه من الأنباء، فشفروا بذلك على سائر أهل اللغات ولذلك سمي عربياً"⁽²⁾.

قال الماوردي: "ولقومك" فيه قولان: أحدهما: من اتبعك من أمتك⁽³⁾. والثاني: لقومك من قريش⁽⁴⁾. قال القرطبي: "قلت والصحيح إنه شرف لمن عمل به كان من قريش، أو من غيرهم"⁽⁵⁾.

إن القرآن حجة لمن قرأه، فتدبر معانيه، وعمل بأحكامه، وحجة على من أعرض ولم يعمل به، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، في الحديث الذي رواه عنه أبو مالك الأشعري -رضي الله عنه-: "والقرآن حجة لك أو عليك"⁽⁶⁾، قال النووي⁽⁷⁾: "فمعناه ظاهر، أي: تنتفع به إن تلوته وعملت به، وإلا فهو حجة عليك"⁽⁸⁾.

لقد أنزل الله القرآن ليكون كتاباً لتغيير النفوس، بما يؤدي لتغيير الواقع، فما الذي حدث؟ لماذا أصبح القرآن بلا تأثير في حياتنا؟ إن الأسباب التي تقف وراء ذلك كثيرة ومتعددة، لعل من أهمها: عدم فهم معانيه، ذلك أن ما لا تفهمه لا تتفاعل معه، والسبب وراء عدم فهمه هو انتشار اللغة العامية على حساب الفصحى، ومن أسباب ذلك أيضاً عدم الالتزام بتنفيذ أوامره ونواهيه.

(1) سورة الزخرف: آية 44.

(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج8 (86/16). بتصرف يسير.

(3) انظر: الماوردي: النكت والعيون. مج5. (227/5).

(4) انظر المرجع السابق: مج5 (227/5).

(5) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج8. (86/16).

(6) مسلم: صحيح مسلم. كتاب الطهارة. باب فضل الوضوء. برقم (223). ص119.

(7) النووي، يحيى بن شرف بن مري بن حسن الخرامي الحوراني أبو زكريا محي الدين (ت676هـ)، علامة بالفقه والحديث وله مؤلفات كثيرة منها، المنهاج في شرح صحيح مسلم. انظر: الزركلي: الاعلام، (مج8/149).

(8) النووي: صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم الحجاج، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء برقم 533، (95/3).

لقد حاول الأعداء أن يلقوا في روعنا أن القرآن مجرد كتاب للتاريخ، وما دام الأمر كذلك، فلا طائل من ورائه، ولكن هل القرآن مجرد كتاب للتاريخ فعلاً؟ إن القرآن يتكلم بالفعل عن التاريخ، ولكن لأخذ العبرة.

"ومن الأمور التي تستدعي تأثير القرآن في النفوس تدبر معاني القرآن الكريم، ومعنى التدبر، النظر في أدبار الأمور، أي: عواقبها وحالاتها، وهو قريب من التفكير إلا أن التفكير تصرف القلب، أو العقل بالنظر في الدليل، أما التدبر: نعرفه بالنظر في العواقب، وقد بين لنا منزل القرآن -سبحانه- أنه لم ينزله إلا لتدبر آياته، ونتفهم معانيه"⁽¹⁾.

عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: "قام النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى أصبح بآية وهي: "إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"⁽²⁾⁽³⁾.

"فأوصيكم وأوصي كل مسلم وأوصي نفسي أولاً بتدبر كتاب الله عز وجل هذا الكتاب الخالد الذي أنزله الله شفاءً وهداية، ونوراً أن نتدبره وأن نجعل لنا ورداً يومياً نقرؤه، وحبذا لا يمكن أن نغادره، وقد أوصى الله عز وجل بتدبره؛ حتى نفهم حقائقه، لنعرف الحق من الباطل، والرشد من الغي، والضلال من الهداية"⁽⁴⁾.

من فضل الله علينا أن القرآن نزل بلسان عربي مبين سهل واضح، ومن لا يتدبر القرآن لا شك أن على قلبه قفلاً، قال تعالى: "اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْآيَاتِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقَشَعُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضَلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ"⁽⁵⁾، ومن الوسائل المعينة على تدبر القرآن باعتباره إحدى طرق الوصول

(1) القرضاوي، يوسف: كيف نتعامل مع القرآن العظيم. مؤسسة الرسالة. ط1. 1422هـ-2001م. ص (193-195).
بتصرف يسير. ساشير إليه: القرضاوي: كيف نتعامل مع القرآن.

(2) سورة المائدة: آية 118.

(3) ابن ماجه: سنن ابن ماجه. باب ما جاء في القراءة في صلاة الليل برقم (1350). (239). قال الألباني حديث حسن.

(4) القرني: سيات القلوب. ص192.

(5) سور الزمر: آية 23.

للتقوى، قراءة بعض تفاسير القرآن الكريم لمعرفة ما قد يغمض منه من كلمات، أو يدق من معان.

ولذلك كان الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وأصحابه الكرام يكثر من تدبر آيات القرآن الكريم ليزدادوا إيماناً، وخشية من الله -سبحانه-، وينوروا قلوبهم بذكره وشكره.

"لا يتعظ الإنسان بالقرآن فتطمئن نفسه بوعده، وتخضع لوعيده إلا إذا عرف معانيه، وذاق حلاوة أساليبه، ولا يأتي هذا إلا بمزاولة الكلام العربي البليغ مع النظر في بعض النحو...، وبعد ذلك يكون له ذوق من فهم اللغة يؤهله لفهم القرآن... فهل يصلح لمسلم بلغ ورشد وطلب العلم أن لا يجعل القرآن إمامه ويتخذة نوراً يمشي به في الناس، ويهتدي به في ظلمات البدع"⁽¹⁾.

عند عبد الله بن حبيب⁽²⁾ قال: حدثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: أنهم كانوا يقترون من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل⁽³⁾.

ولقد كان عمر بن الخطاب يحرص كثيراً على إتقان تعلم القرآن والمبادرة إلى العلم والعمل معاً والتفكير والتدبر في كل آية.

ولقد بين لنا الحق جلت قدرته أنه لم ينزل القرآن إلا لتدبر آياته، ونفهم معانيه يقول تعالى: "كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ"⁽⁴⁾. "إن تعلم القرآن لا بد أن يشتمل على التفكير في معانيه ولو على سبيل الإجمال ليكون دافعاً إلى العمل بما فيه، وامتنال أو امره، واجتناب نواهيه"⁽⁵⁾.

(1) رضا: تفسير المنار. (182/1-183)، بتصريف يسير.

(2) عبد الله بن حبيب: حديثه عند عبيد بن عمير، ذكره بعض المتأخرين، ولا صحبة له. انظر: الأصفهاني: معرفة الصحابة، برقم (1611). (مج3/127).

(3) أحمد: المسند برقم (23482)، (466/38)، قال المحقق شعيب الأرناؤوط أسناده حسن.

(4) سورة ص: آية 29.

(5) كرزون، انس أحمد: صحابه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وجهودهم في تعليم القرآن الكريم والعناية به، دار ابن حزم. بيروت: لبنان. ط1. (1424هـ-2003م). ص93.

ويقول الله -تعالى- في معرض الحض والتحريض "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"⁽¹⁾. "عاب الله -تعالى- المنافقين بالإعراض عن التدبر في القرآن، والتفكر فيه وفي معانيه.... ومن دلالات الآية الكريمة:

1. تدل على وجوب التدبر في القرآن ليعرف معناه، فكان في هذا رد على فساد قول من قال: لا يؤخذ من تفسيره إلا ما ثبت عن النبي -عليه الصلاة والسلام-، ومنع أن يتأول على ما يسوغه لسان العرب.

2. وفيه دليل أيضاً على الأمر بالنظر والاستدلال، وإبطال التقليد.

3. وفيه دليل على إثبات القياس،... والمقصود بالاختلاف: اختلاف التناقض والتفاوت، قيل: والمعنى لو كان ما تخبرون به من عند غير الله لاختلف"⁽²⁾.

4. ورد في الآية الكريمة أسلوب الإستفهام الإنكاري لتلويح المنافقين المعرضين عن تدبر القرآن...، إن هذا التدبر الذي يقصد منه البحث عن الحقيقة، والمقرون بالإخلاص في الوصول إليها سوف يكشف لذوي الاستعداد منهم أن هذا القرآن حق كله، وأنه منزل من عند الله عز وجل، ما في ذلك ريب، لأنه لو كان من عند غير الله، لاشتمل على اختلاف كثير مع الواقع والحقيقة"⁽³⁾.

ومن الآيات التي حث الله -تعالى- فيها على تدبر القرآن قوله تعالى: "أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كِرْهُونَ"⁽⁴⁾. "ففيه تأنيب شديد للذين أعرضوا عن القرآن

(1) سورة النساء: آية 82.

(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج3. (250/5). بتصرف يسير.

(3) الميداني: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل. دار القلم. دمشق. ط2. 1409هـ-1989م. ص9-11. بتصرف يسير. سأشير إليه: الميداني: قواعد التدبر.

(4) سورة المؤمنون: آية 68-70.

وهجروه، ولم يعبئوا به، ولا بما جاء فيه، أفلم يتدبروا القول الذي أنزله الله؛ ليفهموا دلالة، حتى يهتدوا بهديها ويعملوا بما جاء فيها⁽¹⁾.

ويقول -تعالى- في معرض الحث على التدبر "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَبَـمَّ عَلَيَّ قُلُوبٍ أَقْفَالِهَا"⁽²⁾، "لقد ندد الله -تعالى- بصورة الاستفهام بمن لا يفتح عقله، وقلبه لتفهم القرآن من أجل إدراك ما فيه من حكم وأسرار ومواعظ وتشريعات، فالذي يقرأ القرآن بلا فهم، كالمذياح يرتل قرآناً دون أن يفهم مما رتل شيئاً، وهو مخالف لهدف القرآن العظيم، فأيات كثيرة تشير إلى أن القرآن يتلى لعلنا نتفكر، لعلنا نتدبر، لعلنا نعقل، لعلنا نبصر، وأما الذي تسمع أذنه ولا يسمع عقله ولا يبصر قلبه، أو يلفظ لسانه ولا يعي فكره، فهو أصم أبكم أعمى، يقول تعالى: " وَمِمَّنْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ"⁽³⁾، "فليست العبرة أن نقرأ القرآن دون أن يصاحب ذلك إدراك لما نقرأ، فالترتيل والتدبر مع قلة مقدار القراءة أفضل من سرعة القراءة مع عدم التدبر؛ لأن المقصود من القراءة الفهم والتدبر والعمل والقراءة بتمهل خطوة نحو التدبر"⁽⁴⁾.

"لقد أشار قوله تعالى: "أَمَّ عَلَيَّ قُلُوبٍ أَقْفَالِهَا"⁽⁵⁾ إلى العوائق التي تحول بين الإنسان وبين تدبر القرآن، وهي الأقفال على القلوب إنها أقفال عديدة، وهي خاصة بتلك القلوب - لأنها أضيفت إليها- وكأنها جاءت على قدرها ومقاسها!، وهذه الأقفال ليست حديدية محسوسة، بل هي أقفال معنوية مكتسبة. إنها المعاصي، والمنكرات، والفواحش والشهوات، التي يقترفها الإنسان، فتتكت في قلبه نكت سوداء، وكأن كل واحدة قفل على القلب وتُزاد الأقفال -النكت السوداء- بازدياد المعاصي والمنكرات. حتى تغطي على ذلك القلب البائس المسكين، فتعلقه، وتطمس له نوره، وتظلم عليه حياته. وبذلك يحرم من الخير العميم، ويحال بينه وبين تدبر القرآن"⁽¹⁾.

(1) الميداني: قواعد التدبر. ص9.

(2) سورة محمد: آية 24.

(3) سورة يونس: آية 43..

(4) الدوسري، محمود بن أحمد بن صالح: عظمة القرآن. دار ابن الجوزي. د.ط. د.ت ص594.

(5) سورة محمد: آية 24.

(1) الخالدي، صلاح عبد الفتاح: لطائف قرآنية. دار القلم. دمشق. ط1. 1412هـ-1992م. ص13-14. سأسشير إليه الخالدي: لطائف قرآنية.

"وهذه سمة المتقين، تفيض دموعهم لمعرفة بأن الذي يتلى عليهم من كتاب الله الذي أنزله إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حق"⁽¹⁾، حيث تخشع قلوبهم، وتصدق جوارحهم، وتفيض أعينهم خوفاً، وخشية لله، لأنهم عرفوا معانيه، واستخلصوا فوائده قال تعالى: "وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ"⁽²⁾.

إن الله -تعالى- قد أنزل علينا هذا الكتاب العظيم لتدبره لا لنتخذه مجرد ترانيم، أو تمائم نتعلقها، ونرجوا منها الخير، والتوفيق بل هو أعظم، وأكبر من ذلك لأن فيه العبر والدروس، والعظات العظيمة، ولذلك فهو إحدى الطرق التي تحقق الوصول للتقوى، حيث إن تدبره وفهم معانيه توصل إلى معرفة خفاياه وأحكامه، وإعجازه، وأسراره وعظاته، وقدرة الخالق سبحانه وبالتالي الوصول إلى الطريق التي تحقق التقوى.

(1) الطبري: جامع البيان، مج4(2974/4)، بتصرف.

(2) سورة المائدة: آية 83.

المبحث الثاني

مجاهدة النفس

الحياة لا تستقيم لشخص إلا إذ جاهد نفسه، وعودها تحمل المشاق، والصعوبات، فالدنيا في تغير دائم، لا تثبت على حالة واحدة، والإنسان فيها: مريض تارة، وصحيح تارة أخرى، وغني زماً، وفقير في زمن آخر، لهذا كان لا بد من أن تتعود النفس تحمل أحوال الدنيا المختلفة.

الجهاد: استقراغ الوسع، والطاقة في مدافعة العدو، والجهاد ثلاثة أنواع: جهاد العدو باطنياً، وجهاد النفس، وجهاد الشيطان، وهو أصعب الجهاد، وفي الحديث الشريف يقول النبي -عليه الصلاة والسلام-: "المجاهد من جاهد نفسه لله، أو قال في الله"⁽¹⁾، "والنبي -عليه الصلاة والسلام- وإن كان آمناً من ذلك لأنه معصوم، لكن علمنا ذلك وصدق -عليه الصلاة والسلام-، فإن مجاهدة النفس، ومقابلتها أصعب من قتال أفتك الرجال، وهذا أمر محسوس نجده من أنفسنا، فإن الأعمال البدنية أهون من الأعمال القلبية، ولذلك نجد الناس يعالجون الصنائع الشاقة، ولا يعالج العلم منهم إلا القليل لأنه أمر قلبي"⁽²⁾.

"إن مجاهدة النفس تكون عندما يعلم العبد قدر ما يطلب من نعيم الله عز وجل، ولذا كان المتقون عاملين بالكتاب الكريم، و متمسكين بسنة النبي -عليه الصلاة والسلام-، وكانوا إذا عملوا الحسنة فرحوا بها، ودأبوا في شكرها، وسألوا الله أن يتقبلها، وإذا عملوا السيئة أجزنتهم حزناً شديداً، وسألوا الله أن يغفر لهم"⁽³⁾.

(1) أحمد: المسند. برقم (23951)، (375/39). قال المحقق شعيب الأرنؤوط إسناده صحيح.

(2) السمين الحلبي: عمدة الحفاظ. (405/1).

(3) السيد، مجدي بن فتحي: زاد المؤمنين التقوى دار البشير، القاهرة، د.ط، د.ت، ص54. سأشير إليه السيد: زاد المؤمنين.

وقد وضح القرآن الوسيلة إلى ذلك، قال تعالى: "وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ"⁽¹⁾، "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ"⁽²⁾، "وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ"⁽³⁾.

وكلما أعاد المؤمن النظر في كتاب الله، ازداد يقيناً باتساع المدى الذي أعطته التقوى في حياة الفرد والجماعة، فهناك بعض الآيات الكريمة من سورة التوبة تدل على أن من التقوى عدم الوقوع في ظلم النفس في الأشهر الحرام⁽⁴⁾، لما لها من المنزلة عند الله، وكما أنه من التقوى أن يقاتل المسلمون المشركين كافة، كما يقاتلونهم كافة، وأن المسلمين إن فعلوا ذلك كان الله معهم بنصره وتأييده، يثبت أقدامهم وينزل السكينة عليهم وينصرهم على عدوهم ويحفظ همهم إلى الجهاد في سبيل الله -تعالى- قال تعالى: "وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ"⁽⁵⁾.

ويرى الإمام ابن كثير -رحمه الله- في هذه الآية الكريمة احتمالين: يوافق في الاحتمال الأول ما ذهب إليه الإمام الطبري، وأما الاحتمال الثاني: فهو أن الله -تعالى- أذن للمؤمنين بقتال المشركين في الشهر الحرام إذا هم بدؤوا المسلمين بالقتال أولاً⁽⁶⁾، كما قال تعالى: "وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ"⁽⁷⁾.

(1) سورة العنكبوت: آية 6.

(2) سورة العنكبوت: آية 69.

(3) سورة الحج: آية 78.

(4) الأشهر الحرم: ذو القعدة، ذو الحجة، محرم، رجب. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج4، (66/8).

(5) التوبة: آية 36.

(6) انظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (87/4).

(7) البقرة: آية 191.

ويمثل على ذلك بحصار النبي -عليه الصلاة والسلام- لأهل الطائف⁽¹⁾، إنما كان تنمة قتال هوازن⁽²⁾ وتقيف⁽³⁾، وهم الذين ابتدأوا المسلمين بالقتال فحاصرهم الرسول -عليه الصلاة والسلام- قريباً من أربعين يوماً، وهكذا ابتدأه بشهر حلال، ودخل الشهر الحرام واستمر فيه أياماً⁽⁴⁾.

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. حث المؤمنين على التقوى وأن الله تكفل بالنصر لأهلها⁽⁵⁾.
2. إن كلمة "كافة" تدل على العموم والشمول...، أي قاتلوا كل فرق المشركين الذي يبدؤوكم بالقتال⁽⁶⁾.
3. إن المشركين يقاتلون المسلمين لدينهم لا انتقاماً، ولا عصبية، ولا للكسب، كدأبهم في قتال قريهم لضعيفهم، فأنتم أولى بأن تقاتلوهم لشركهم⁽⁷⁾.
4. هذا لا يقتضي فرضية القتال على كل فرد من الأفراد إلا في حال إعلان الإمام للنفي العام فقط...، لأن الله مع المتقين للظلم، والعدوان، والفساد⁽⁸⁾.

(1) الطائف: قرية بالشام كانت ملجأ للخائف إذا جاءها وقد سميت طائفاً بسبب بناء حائط حولها، والطائف ما ألم بالإنسان، ومن قوله -تعالى- "فطاف عليهم طائف". انظر: الحموي، شهاب الدين ابن عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت626هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، مج4، 1995، ص8. سأشير إليه: الحموي: معجم البلدان.

(2) هوازن: بطن من قيس عيلان من العدنانية، وهم بنو هوازن بن منصور بن عكرمة، كانوا يقيمون في نجد ومن أشهر بطون هوازن بنو سعد بن بكر بن هوازن قبيلة مرضعة الرسول -عليه الصلاة والسلام-. حليلة السعدية، انظر: الوائلي، عبد الحكيم: موسوعة قبائل العرب، (6/2550).

(3) تقيف: قبيلة منازلها في جبل الحجاز بين مكة والطائف. انظر: الوائلي: موسوعة قبائل العرب، (1/185).

(4) انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (4/87). بتصرف.

(5) انظر: المرجع السابق: (4/87).

(6) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج6، (10/187). بتصرف يسير.

(7) انظر: رضا: تفسير المنار، (10/414).

(8) المرجع السابق، (10/415)، بتصرف يسير.

5. تحض الآية الكريمة على قتال الأعداء، والتحزب عليهم، وجمع الكلمة. (1).

6. إن المتقين لا يقعدون عن الجهاد في سبيل الله -تعالى-؛ لأنهم يرون أن الجهاد قربة يتقربون بها إلى الله -تعالى- يقول تعالى: "لَا يَسْتَعِذُّنَاكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ" (2)، بل إن من علامات المنافقين القعود عن الجهاد في سبيل الله، عن ابن عباس (3) -رضي الله عنهما- عن قوله - تعالى- "لَا يَسْتَعِذُّنَاكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ" قال: هذا تعبير للمنافقين حين استأذنوا عن القعود عن الجهاد من غير عذر وعذر الله المؤمنين فقال -تعالى- عنهم "يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ" (4).

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. إن المؤمنين الصادقين ليس من عاداتهم أن يستأذنوا الرسول -صلى الله عليه وسلم- في الجهاد، لأن الإيمان يقتضي ذلك (5).
2. جملة "والله عليم بالمتقين" معترضة لفائدة التنبيه على أن الله مطلع على أسرار المؤمنين إذ هم المراد بالمتقين (6).

(1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج4(68/8). بتصرف.

(2) سورة التوبة: آية 44.

(3) ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم، الآية قوله تعالى: "لَا يَسْتَعِذُّنَاكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ..." (6/1806).

(4) سورة التوبة: آية 62.

(5) انظر: رضا: تفسير المنار، (10/468).

(6) انظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج6، (10/212).

3. لا ينبغي الاستئذان في أداء شيء من الواجبات، ولا في الفضائل، والفواضل من العادات كإغاثة الملهوف، وقرى الضيف... (1).

4. إن المؤمنين مستعدون للجهاد في سبيل الله في كل وقت حتى وقت السلم بإعداد القوة، ورباط الخيل، فهل يمكن أن يتخلى المؤمنون عن الجهاد بعد إعلان النفير العام؟ كلا لا يمكن (2).

5. المؤمن الصادق لا يكره الجهاد؛ لأنه يرجو الله، والدار الآخرة، ويعلم أن عاقبة الجهاد الفوز بإحدى الحسينين: الغنيمة والنصر، أو الشهادة والأجر (3).

وإذا ما استقرنا آيات القرآن الكريم نجد أن هناك آيات أخرى تبين العلاقة بين التقوى، والجهاد في سبيل الله حيث إن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقاً لأخيه المؤمن، غليظاً على عدوه الكافر يقول تعالى: "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَتَلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً (4) وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ" (5).

اعلموا أن الله مع المتقين الذين يطيعون أوامر الله، ويجتنبون نواهيه، وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الأولى الذين هم خير هذه الأمة في غاية الاستقامة، والقيام بطاعة الله -تعالى- لم يزالوا ظاهرين على عدوهم... (6).

(1) انظر: رضا: تفسير المنار، (469/10).

(2) انظر: المرجع السابق، (468/10).

(3) المرجع السابق، (468/10).

(4) غلظة: ضد الرقة في الخلق والطبع، والغلظة: العداوة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة غلظ، (449/7).

(5) سورة التوبة: آية 123.

(6) انظر ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (141/4). بنصرف.

وفي الآية الكريمة أمر للمؤمنين بأن يجاهدوا الكفار بكل ما أوتوا من قوة، ويبشرهم الله -تبارك وتعالى- أنه معهم، وهو ناصرهم عليهم بشرط أن يتقوا الله، ويخافوه بأداء فرائضه، واجتتاب معاصيه⁽¹⁾.

إن من تقوى الله أيضاً الإخلاص في ابتغاء مرضاته بحيث يكون القتال مصحوباً بالشدة والحزم، فلا تهاون ولا مساومة، والله -تعالى- يعد المؤمنين إن هم اتقوه في ذلك صابرين محتسبين، أن يكون معهم، يثبت أقدامهم، ويقوي عزائمهم.

جاء في التفسير الكبير للإمام الرازي: "واعلم أن الغلظة ضد الرقة، وهي الشدة في إحلال النعمة والفائدة فيها (أي الغلظة) أنه أقوى تأثيراً في الزجر، والمنع عن القبيح، ثم إن الأمر في هذا الباب لا يكون مطرداً بل قد يحتاج تارة إلى الرفق واللطف، وأخرى إلى العنف"⁽²⁾.

ما ترشد إليه الآية الكريمة:

1. إن الغلظة تجمع الجرأة، والصبر على القتال، وشدة العداوة⁽³⁾.
2. جملة "وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ" تأييد وتشجيع، ووعد بالنصر إن اتقوا بامتثال الأمر بالجهاد⁽⁴⁾.
3. إن من تقوى الله -تبارك وتعالى- وصدق التقرب إليه بالصالحات أن تستخدم الشدة والقوة والخشونة في قتال الكفار دون تراخ أو تهاون.

(1) الطبري: جامع البيان، (مج5/4162). بتصرف.

(2) انظر: الرازي: تفسير الكبير، مج8، (16/235-236).

(3) أبو حيان: البحر المحيط، (5/118)، بتصرف.

(4) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج6، (11/64).

4. "تنبه الآية على أن يكون الحامل على القتال، ووجود الغلظة إنما هو تقوى الله -تعالى- فمن اتقى الله -تعالى- كان الله معه بالنصر والتأييد، ولا يقصد بقتاله الغنيمة، ولا الفخر، ولا إظهار البسالة"⁽¹⁾.

5. تنبه الآية الكريمة على أنه لا يجوز الاقتصار على الغلظة البتة، فإنه ينفّر، ويوجب تفرق القوم... وهذا يدل على تقليل الغلظة⁽²⁾.

6. إن السبب في الإقدام على الجهاد هو تقوى الله، وليس طلب المال أو الجاه⁽³⁾.

لقد بين الله عز وجل جزاء من يجاهد نفسه، ويكبح جماحها، ويلزمها الطاعات، ويبعدها عن المنهيات، ويحاسبها إن أخطأت، ويهديها إن ضلت، ويقف عليها موقف الرقيب، ويتحمل تبعات إهماله لها، فقد وعده الله -تبارك وتعالى- بالحسنى، بقوله تعالى: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ"⁽⁴⁾.

قال الإمام الرازي في معرض تفسيره للآية الكريمة "لما فرغ من التقرير والتفريع، ولم يؤمن الكفار، سلّى قلوب المؤمنين بقوله: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا" أي: من جاهد بالطاعة هداه سبل الجنة..."⁽⁵⁾، ويكون المعنى: "والذين جاهدوا بالثبات على الإيمان، لنهدينهم سبلنا إلى الجنة"⁽⁶⁾.

"إن الذين جاهدوا في الله -تعالى- يهديهم إلى سبل الخير والرشاد، وأقسم على ذلك بدليل السلام لنهدينهم"⁽⁷⁾ كقوله تعالى: "وَالَّذِينَ آهَتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى"⁽¹⁾.

(1) أبو حيان: البحر المحيط، (118/5).

(2) الرازي: التفسير الكبير، مج8 (236/16).

(3) المرجع السابق، مج8، (236/16)، بتصرف.

(4) سورة العنكبوت: آية 69.

(5) الرازي: التفسير الكبير. مج13. (95/25). بتصرف.

(6) الماوردي: النكت والعيون. مج4. (295/4).

(7) الشنقيطي: أضواء البيان. (163/6).

(1) سورة محمد: آية 17.

"والذين جاهدوا في الله هم المؤمنون الأولون... وهذا الجهاد هو الصبر على الفتن والأذى، ومدافعة كيد العدو...، لأن جهاد القتال لم يكن موجوداً يومئذ... فالذين جاهدوا في مرضاتنا والدين الذي اخترناه لهم... هم الفائزون عند الله، والمقصود بالهداية: الإرشاد والتوفيق بالتيسير القلبي، والإرشاد الشرعي، أي: لنزидنهم هدى، وسبل الله الأعمال الموصلة إلى رضاه وثوابه"⁽¹⁾.

وذكر الماوردي في الآية الكريمة وجوهاً:

الأول: "قاتلوا المشركين طائعين لنا.

الثاني: جاهدوا أنفسهم في هواها خوفاً منا.

الثالث: اجتهدوا في العمل بالطاعة، والكف عن المعصية رغبة في ثوابنا، وحذراً من عقابنا.

الرابع: جاهدوا أنفسهم في التوبة من ذنوبهم.

وأما قوله "لنهدينهم سبلنا" ففيها أيضاً أربعة تأويلات:

الأول: الطريق إلى الجنة⁽²⁾.

الثاني: نوقفهم لدين الحق⁽³⁾.

الثالث: الذين يعملون بما يعلمون يهديهم لما لا يعلمون⁽⁴⁾.

الرابع: لنخلص نياتهم، وصدقاتهم، وصلواتهم، وصيامهم⁽¹⁾.

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير. مج4. 10. (36/21). بتصرف.

(2) الماوردي: النكت والعيون. مج4. (295/4).

(3) المرجع السابق: مج4. (295/4).

(4) المرجع السابق: مج4. (295/4) بتصرف.

(1) يوسف ابن أسباط الشيباني، الزاهد الواعظ، قال يحي بن معين ثقة، توفي في مدة المائتين. انظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت748هـ-): ميزان الإعتدال في نقد الرجال. تحقيق علي محمد معوض وآخرين. دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان. ط1. 1416هـ-1995م. (292/7). سأشير إليه: الذهبي: ميزان الإعتدال.

"فالذين جاهدوا في الله ليصلوا إليه، ويتصلوا به، الذين احتملوا في الطريق إليه، ما احتملوا فلم ينكصوا ولم ييأسوا، الذين صبروا على فتنة النفس، وعلى فتنة الناس، والذين حملوا أعباءهم، وساروا في ذلك الطريق الطويل الشاق الغريب... أولئك لن يتركهم الله وحدهم، ولن يضيع إيمانهم، ولن ينسى جهادهم، إنه سينظر إليهم من عليائه فيرضيهم، وسينظر إلى جهادهم إليه فيهديهم، وسينظر إلى محاولاتهم الوصول فيأخذ بأيديهم، وسينظر إلى صبرهم، وإحسانهم فيجازيهم خير الجزاء"⁽¹⁾.

عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه- قال: بينما أنا رديف النبي -صلى الله عليه وسلم-، ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل⁽²⁾، فقال: يا معاذ، قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، فقال: "يا معاذ"، قلت لبيك رسول الله وسعديك، ثم سار ساعة، فقال: "يا معاذ بن جبل"، قلت لبيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق الله على عباده؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً". ثم سار ساعة ثم قال: "يا معاذ بن جبل"، قلت لبيك رسول الله وسعديك. قال: هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: حق العباد على الله أن لا يعذبهم"⁽³⁾.

قال الإمام العسقلاني -رحمه الله-: "والمراد بالمجاهدة: كف النفس عن إرادتها من الشغل بغير العبادة... قال ابن بطال⁽⁴⁾: جهاد المرء نفسه هو جهاد الأكمل، قال تعالى: "وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ"⁽¹⁾، وقد يمنع النفس عن المعاصي، ويمنعها عن الشبهات، ويمنعها من الإكثار من الشهوات المباحة لتتوفر لها في الآخرة.... وقال

(1) قطب: الظلال. (مج5/2752).

(2) الرحل: العود الذي يجعل خلق الراكب يستند إليه. انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ): التوشيح شرح الجامع الصحيح. تحقيق رضوان جامع رضوان. مكتبة الرشد. الرياض. ط1. 1419هـ-1998م. (3863/8). سأسير إليه: السيوطي: التوشيح.

(3) البخاري: صحيح البخاري. كتاب الرقائق. باب من جاهد نفسه على طاعة الله. برقم (6500). ص1127.

(4) ابن بطال: علي بن خلف بن عبد الملك البكري القرطبي. عالم بالحديث، من أهل قرطبة، له شرح البخاري توفي (449هـ). انظر الزركلي: الأعلام. (285/4).

(1) سورة النازعات: آية 40-41.

القشيري⁽¹⁾: "وأصل مجاهدة النفس فطمها عن المألوفات، وحملها على غير هواها، وللنفس صنفان: إنهماك في الشهوات، وامتناع عن الطاعات، فالمجاهدة تقع بحسب ذلك، وقال بعض الأئمة: جهاد النفس داخل في جهاد العدو، فإن الأعداء ثلاثة: رأسهم الشيطان، ثم النفس لأنها تدعو إلى اللذات المفضية بصاحبها إلى الوقوع في الحرام الذي يسخط الرب، والشيطان هو المعين لها على ذلك ويزينه لها، فمن خالف هوى نفسه قمع شيطانه، فمجاهدته نفسه حملها على إتباع أوامر الله، واجتتاب نواهيه، وإذا قوى العبد على ذلك سهل عليه جهاد أعداء الدين"⁽²⁾.

"وأقوى المعين على جهاد النفس، جهاد الشيطان، بدفع ما يلقي إليه من الشبهة والشك، ثم تحسين ما نهى عنه من المحرمات... وتمام ذلك من المجاهدة، أن يكون متيقظاً لنفسه في جميع أحواله، فإنه متى غفل عن ذلك استهواه شيطانه، ونفسه إلى الوقوع في المنهيات"⁽³⁾.

"ويبين الميداني بأن جهاد النفس هو المقصود من قوله تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَتَّعُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"⁽⁴⁾، ويضيف لدى التدبر في هذا النص نلاحظ أن الجهاد المراد فيه هو جهاد النفس، بفعل الصالحات، وترك السيئات، والاستزادة من الخيرات الباطنة، والظاهرة، التي ترضي الله -تعالى- والخطوات اللازمة للتزود بالزاد العظيم للأخرة تبدأ بالتقوى، وتكون بالخوف من عقاب الله، ونقمته وسخطه، والتقوى تدفع المتقي لاتخاذ الوسيلة التي تقيه، والوسيلة الواقية هي العمل الصالح، ويكون باجتتاب ما نهى الله عنه، وفعل ما أمر الله به، وتلك هي الخطوة الثانية، لكن ابتغاء الوسيلة محفوف بالمكاره، وهذه

(1) القشيري: عبد الكريم هو هوزان بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري (ت465هـ): من بني قشير ابن كعب. شيخ خراسان في عصره. زاهداً عالماً بالدين، له عدة مؤلفات منها التيسر في علم التفسير، والرسالة القشيرية. انظر: الزركلي: الأعلام. (57/4). وانظر: محمود صفوت عبد الفتاح: الخوف والرجاء، دار ابن حزم، ط2، 1424هـ - 2003م. ص222-223.

(2) انظر: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت852هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري. تحقيق عبد العزيز بن باز. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1410هـ-1989م. (410/11-411). بتصرف يسير. سائير إليه: العسقلاني: فتح الباري.

(3) العسقلاني: فتح الباري، (410/11-411).

(4) سورة المائدة: آية 35.

المكاره تظهر بكبح النفس عن أهوائها، وشهواتها، ونزاعاتها، وبالتزامها أن تتحمل المشقات، وتجتاز العقبات اقتحاماً، وذلك لا يتم إلا بالمجاهدة، فالمجاهدة للنفس هي الخطوة لتحقيق الوسيلة المبتغاة الكفيلة بتحقيق الوقاية المنشودة، وهكذا يظهر التسلسل المنطقي بين العناصر، فالإيمان بالله واليوم الآخر من شأنه تحريك محور الخوف من الله، والخوف يولد الرغبة الصادقة باتقاء المخوف منه، والرغبة باتقاء المخوف منه تولد إرادة اتخاذ الوسيلة الواقية، وتحقيق المراد هذا لا يتم إلا بمجاهدة النفس في سبيل الله فمن فعل ذلك أصاب فلاحاً بتوفيق الله ورحمته⁽¹⁾.

"فالإنسان إذا حاسب نفسه فرآها قد قارفت معصية فينبغي أن يعاقبها بالعقوبات التي مضت، وإن رآها تتوانى بحكم الكسل في شيء من الفضائل"⁽²⁾، فعلى الإنسان أن يلتزم بالطاعة، ويجاهد نفسه بالقول والفعل في الشدة، والرخاء مستحضراً لعظمة الله حتى يفوز برضوان الله.

(1) الميداني: بصائر للمسلم المعاصر. دار القلم. ط2. دمشق. 1418هـ-1988م. ص394. سأشير إليه: الميداني: بصائر للمسلم المعاصر.

(2) الغزالي: أبي حامد محمد بن محمد (ت505هـ): إحياء علوم الدين. د.ط. دار الصابوني. د.ت. (مج4/373). سأشير إليه الغزالي: إحياء علوم الدين.

المبحث الثالث

العبادة

إن العبادة تقوي صلة العبد بربه، وتهذب النفس، وتسمو بها، وتجعل النفس في خشية الله ومراقبته، والشعور بعظمته، فيبتعد عن المعاصي، ويحب الطاعات والفضائل، لأنه يعلم بأن الله يراقبه ولا تخفى عليه خافية، وبذلك تكون العبادة إحدى الطرق التي تحقق التقوى، حيث إن التقوى نتيجة للعبادة.

المطلب الأول: تعريف العبادة وبيان أهميتها

العبادة في اللغة: "العبادة والعبدية والعبودية: الطاعة"⁽¹⁾.

"وهي أبلغ من العبودية، لأنها غاية التذلل، لا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله - تعالى"⁽²⁾.

ويرى أبو الأعلى المودودي في معنى العبادة استناداً إلى الاستعمال اللغوي لمادة (ع-ب-د) أن أصل معنى العبادة: هو الإذعان الكلي، والخضوع الكامل، والطاعة المطلقة⁽³⁾.

العبادة في الشرع: "خضوع وحب"⁽⁴⁾.

"والعبادة المأمور بها العبد تتضمن معنى الذل، والخضوع لله، ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له"⁽⁵⁾.

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة عبد، (272/3).

(2) الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز. (9/4).

(3) المودودي، أبو الأعلى المودودي (ت1979م): المصطلحات الأربعة في القرآن: دار التراث العربي. القاهرة. د.ط. د.ت. ص103. سأشير إليه: المودودي: المصطلحات الأربعة.

(4) القرضاوي: العبادة في الإسلام. مكتبة وهبة. القاهرة، ط15: 1405هـ-1985م. ص31. سأشير إليه القرضاوي: العبادة في الإسلام.

(5) ابن تيمية: مجموع الفتاوى. (207/1).

والعبادة ضربان: "عبادة بالتسخير، وتكون في السجود، وهو عام للإنسان، والحيوان، والنبات، وعبادة بالاختيار وهي لذوي النطق من المأمور بها"⁽¹⁾، في نحو قوله -تعالى- "أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ"⁽²⁾.

وقد اختلف علماء التفسير في توضيح معنى العبادة إلى عدة أقوال:

والعبادة عند الإمام القرطبي: "توحيده والتزام شرائع دينه"... "والعبادة: أي الطاعة، والتعبد والتتسك"⁽³⁾.

والعبادة عند الرازي: "فعل يحصل به التقوى، لأن الاتقاء هو الاحتراز عن المضار، والعبادة فعل المأمور به، ونفس هذا الفعل ليس هو نفس الأضرار عن المضار، بل يوجب الاحتراز فكأنه -تعالى- قال: اعبدوا ربكم لتحترزوا به عن عقابه"⁽⁴⁾.

وفي تعريف الرازي نلاحظ مدى ارتباط العبادة بالتقوى.

والعبادة: "خضوع ينشأ عن استشعار القلب بعظمة المعبود"⁽⁵⁾.

والعبادة: "الخضوع المطلق لله سبحانه و-تعالى- وحده بحيث يكون القلب كله لله -تعالى- لا يحب إلا الله، ولا يكره إلا الله، والعبادات تعم الصلوات والزكوات، والصوم والحج، وغير ذلك مما يكلفه العباد حتى من الأعمال التي تكون بها الحياة، كلها تكون عبادة إذا قصد بالخير فيها وجه الله -تعالى- ونفع عبادة... فالعبادة تعم كل أفعال الإنسان، واختصت من بينها الفرائض؛ لأنها لا يمكن أن تكون إلا لله -تعالى-، وهو عليم بذات الصدور"⁽⁶⁾.

(1) الأصفهاني: المفردات. مادة عبد. ص542.

(2) سورة البقرة: آية 21.

(3) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج1. (217/1). بتصرف يسير.

(4) الرازي: التفسير الكبير. مج1. (111/2).

(5) انظر: المراعي: تفسير المراعي. (مج1/59).

(6) أبو زهرة: زهرة التفاسير. (مج1/155-156)، بتصرف يسير.

تساؤل: لمن الخطاب في الآية الكريمة؟

"يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (1)

لقد اختلف العلماء فيمن عني بالخطاب على عدة أقوال:

1. إنه عام في جميع الناس، وهو قول ابن عباس (2): فيكون خطابه للمؤمنين باستدامة العبادة وللكافرين بابتدائها وهذا حسن (3)، وهو الراجح عند صاحب تفسير المنار (4)، وهو ما يميل إليه الباحث.

2. إنه خطاب لليهود دون غيرهم قاله الحسن البصري (5).

3. إنه خطاب للكفار من مشركي العرب وغيرهم، قاله السدي (6)، وهذا خاص بالكفار الذين لم يعبدوه (7)، ويدل عليه قوله "الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" (8).

4. خطاب للمنافقين واليهود، قاله مقاتل (9).

5. للعرب واليهود في المدينة وما حولها، وكانوا يؤمنون بالله، ويعبدون غيره، إما بدعائه مع الله، أو من دون الله (10).

(1) سورة البقرة: آية 21.

(2) ابن الجوزي: زاد المسير. (37/1).

(3) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج 1. (216/1).

(4) رضا: تفسير المنار. (180/1).

(5) البصري: تفسير الحسن البصري. (75/1).

(6) ابن الجوزي: زاد المسير. (37/1).

(7) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج 1. (217/1-218). بتصريف.

(8) سورة البقرة: آية 27.

(9) مقاتل: تفسير مقاتل. (36/1).

(10) المراغي: تفسير المراغي. (مج 1/60).

وقد يسأل سائل فيقول: لماذا خص الله -تعالى- العبادة بالذكر دون غيرها؟!

وذلك في خطابه -تعالى- للناس "يجيب الإمام الشوكاني -رحمه الله- على هذا بقوله: "لأنها نعمة للخلق، ولأن جميع النعم مترتبة عليها، وهي أصلها الذي لا يوجد شيء منها بدونها، وأيضا فالكفار مقرون أن الله هو الخالق يقول تعالى: "وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ"⁽¹⁾. فامتن عليهم بما يعترفون به ولا ينكرونه"⁽²⁾.

وقد يسأل سائل فيقول: لماذا خص الخلق من بين الصفات الأخرى؟!

ويجيب الإمام القرطبي -رحمه الله- على هذا التساؤل بقوله: "حجة عليهم، وتقريعاً لهم، وليذكرهم بذلك نعمته عليهم"⁽³⁾.

وأصل الخلق... التقدير، يقال خلقت الأديم للسقاء، إذا قدرته قبل القطع... وقيل: إن أصل الخلق الإنشاء، والاختراع، والإبداع⁽⁴⁾، قال تعالى: "وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا"⁽⁵⁾. "وفي ذلك تنبيه وإرشاد بما في خلقنا من الحكم والأسرار"⁽⁶⁾ كما قال تعالى: "وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ"⁽⁷⁾.

وعلى هذا يكون معنى (لعلكم تتقون)، أي: "لعلكم أن تجعلوا بقبول ما أمركم الله به، وقاية بينكم وبين النار"⁽⁸⁾، ومنه قول البراء بن عازب -رضي الله عنه-: "كنا إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا الذي يحاذي به: يعني النبي -صلى الله عليه وسلم-"⁽⁹⁾.

(1) سورة الزخرف: آية 87

(2) الشوكاني، فتح القدير، (70/1-71).

(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج1، (217/1-218).

(4) المرجع السابق، مج1 (217/1-218). بتصرف يسير. وانظر: الشوكاني: فتح القدير. (70/1-71).

(5) سورة العنكبوت: آية 17.

(6) رضا: تفسير المنار، (59/1-60).

(7) سورة الذاريات: آية 20-21.

(8) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. مج1 (218/1).

(9) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الجهاد والسير برقم (1776)، (739).

يقول الإمام الطبري - رحمه الله - في معرض تفسيره لقوله تعالى: "لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"⁽¹⁾، "لعلكم تتقون بعبادتكم ربكم الذي خلقكم، وطاعتكم إياه فيما أمركم به، ونهاكم عنه، وإفرادكم له بالعبادة، لتتقوا سخطه وغضبه أن يحل عليكم، وتكونوا من المتقين الذين رضي عنهم ربهم"⁽²⁾.

وقيل: إن المقصود: "لعلكم تتقون، لكي تتجوا من السحت والعذاب"⁽³⁾.

قال ابن عباس: "لعلكم تتقون الشرك"⁽⁴⁾.

قال الزجاج: "تتقون الحُرّمات بينكم وتكفون عما تأتون مما حرمه الله"⁽⁵⁾.

قال الضحاك⁽⁶⁾: لعلكم تتقون النار⁽⁷⁾.

ويضيف القرضاوي:

1. إن العبادة المشروعة لا بد لها من أمرين:

الأول: الالتزام بما شرعه الله، ودعا إليه رسله الكرام أمراً، ونهياً، وتحليلاً، وتحريماً، وهذا الذي يمثل عنصر الطاعة، والخضوع.

الثاني: أن يصدر هذا الالتزام من قلب يحب الله -تعالى-، فليس في الوجود من هو أجدر من الله -تعالى- بأن يحب.

(1) سورة البقرة: آية 21.

(2) الطبري: جامع البيان. مج 1. (253-254).

(3) الثعلبي: الكشف والبيان. (166/1).

(4) الجوزي: زاد الميسر، (37/1-38).

(5) الزجاج: معاني القرآن وإعرابه، (98/1).

(6) الضحاك: مزاحم البلخي الهلالي، (ت105هـ)، انظر: الزركلي، الأعلام، (215/3).

(7) الضحاك: تفسير الضحاك. تحقيق د. محمد شكري أحمد الزاويتي، دار السلام، ط1. 1409هـ-1999م، (148/1).

سأشير إليه: الضحاك: تفسير الضحاك.

2. إن العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله، ويرضاه من الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة.

3. إن المسلم يتعبد لله بالقلب عن طريق العواطف الربانية، والمشاعر الروحية، مثل حب الله وخشيته، والرجاء في رحمته، والخوف من عقابه، والرضا بقضائه، والصبر على بلائه، والشكر لنعمائه والحياء منه، والتوكل عليه، والإخلاص له⁽¹⁾، قال تعالى: "قُلْ إِنْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"⁽²⁾.

3. إن العبادة تجعل النفس في خشية الله، ومراقبته، والشعور بعظمته، فيبتعد عن المعاصي، ويحب الطاعات، والفضائل لأنه يعلم أن الله يراقبه، ولا تخفى عليه خافية، وبذلك تكون العبادات إحدى الطرق التي تحقق التقوى حيث إن التقوى نتيجة للعبادة.

المطلب الثاني: التقوى في الصلاة

قبل أن أبين معنى الصلاة، وأوضح أهميتها، وعلاقتها بالتقوى، يجول في خاطري أسئلة كثيرة قد يعجز بعض الناس عن الإجابة عليها، فقد يسأل الإنسان نفسه لماذا وجدت؟ وما الحكمة من وجودي في هذه الحياة؟ وما هي رسالتي في هذه الحياة؟ سؤال يجب على كل عاقل أن يسأله لنفسه!! وإن من أكبر الإثم، والخطأ أن يعيش هذا الإنسان ليأكل، ويتمتع كما تتمتع الأنعام دون أن يستخدم عقله، ويعرف مصيره، والغاية من وجوده، فيأتيه الموت بغتة، وهو يواجه مصيره المحتوم، ولم يقدم لآخرته شيئاً، وحينئذ يندم يوم لا ينفع الندم، والإجابة الجامعة المانعة على هذا التساؤل جاءت من عند الحق -جلت قدرته- بقوله: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥١﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٢﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ" ⁽³⁾، ومن العبادات التي شرعها الله عز وجل، الصلاة، تلك العبادة الوحيدة التي فرضت في السماوات العلى دون غيرها من العبادات.

(1)القرضاوي، العبادة في الإسلام، (ص 31-33) بتصرف.

(2) سورة الأنعام: آية 162.

(3) سورة الذاريات: آية 56-58.

الصلاة في اللغة: "الدعاء، والاستغفار، والرحمة"⁽¹⁾.

"والصلاة مشتقة من الصَّلَوَيْنِ، عرقين هما أول موصل الفخذين من الإنسان، فكأنهما مكتنفا العصص، لأن المصلي يحركهما عند حركته فيها، ومنه المُصَلِّي في حلبة السباق، لأنه يضع رأسه عند صلوي السابق"⁽²⁾.

والصلاة: والدعاء، والرحمة، والاستغفار، وحسن الثناء من الله -تعالى- على رسوله، وعبادة فيها ركوع وسجود، وسميت العبادة المعروفة صلاة، كتسمية الشيء ببعض ما يتضمنه... وقد وردت الصلاة في القرآن على ثلاثة عشر وجهاً... وذكر الله -تعالى- الصلاة في مائة آية من القرآن الكريم⁽³⁾.

والصلاة في الاصطلاح: "التعبد لله -تعالى- بأقوال، وأفعال معلومة، مفتوحة بالتكبير، مختتمة بالتسليم، مع النية، بشرائط مخصوصة"⁽⁴⁾.

وقد فرض الله -تبارك وتعالى- الصلاة ليلة الإسراء المعراج، وجعلها أول عمل يحاسب عليه العبد يوم القيامة، والصلاة عمود الدين، لا يقوم إلا به، وهي العبادة الوحيدة التي لا تنفك عن المكلف، وتبقى ملازمة له طول حياته، وهي أول ما أوجب الله -تعالى- على عباده من العبادات، وجعلها الله -تبارك وتعالى- أول صفات المتقين، كما ورد ذلك في سورة البقرة، والصلاة تجنب صاحبها الشر والإثم، وتنتهي عن الفحشاء، والبغي قال تعالى: "إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ"⁽⁵⁾، وهي إحدى الطرق التي تحقق التقوى.

(1) ابن منظور: لسان العرب. مادة صلا. (465-464/14).

(2) السمين، الحلبي: عمدة الحفاظ. (406-405/2).

(3) الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز. (438-434/3).

(4) سالم، كمال بن السيد: صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة. تعليق عبد العزيز بن باز وآخرون. المكتبة التوفيقية القاهرة: د. ط. د. ت. (220/1). سأشير إليه: سالم: صحيح فقه السنة.

(5) سورة العنكبوت: آية 45.

لقد أمرنا الله -تبارك وتعالى- بالمحافظة على الصلاة، واعتبرها من التقوى لقوله تعالى: "وَأَنَّ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" (1).

قال الإمام الطبري -رحمه الله-: "أمرنا الله -تعالى- بإقامة الصلاة، وذلك أداؤها بحدودها التي فرضت علينا (واتقوه) ... واتقوا رب العالمين الذي أمرنا أن نسلم له، فخافوه واحذروا سخطه بأداء الصلاة المفروضة عليكم والإذعان له بالطاعة، وإخلاص العبادة له، (وهو الذي إليه تحشرون) ... فتجمعون يوم القيامة، فيجازى كل عامل منكم بعمله، وتوفى كل نفس ما كسبت" (2)، وإقامة الصلاة يكون بالدوام عليها، ولذلك فقد وصف الله عز وجل المؤمنين بالمحافظة، والمداومة عليها يقول تعالى: "وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ" (3).

" وإقامة الصلاة: الإتيان بها على الوجه الذي شرعت لأجله، وهي أن تزكي النفس بمناجاة الله، وذكره، وتنتهي عن الفحشاء والمنكر ... فليس من العقل، ولا من الحكمة أن يعبد غيره، أو يخاف ويرجى" (4).

"إن الإسلام هو رئيس الطاعات الروحانية، والصلاة التي هي رئيسة الطاعات الجسمانية، والتقوى التي هي رئيسة آداب التزوك، والاحتراز عن كل ما لا ينبغي، ثم بين منافع هذه الأعمال ... إنما تظهر يوم الحشر، والبعث، والقيامة" (5).

قال ابن عاشور -رحمه الله-: "وتخصيص إقامة الصلاة بالذكر للاهتمام" (6).

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: "والآية فيها وجهان:

الأول: أمرنا لأن نسلم، ولأن نقيم الصلاة.

(1) سورة الأنعام: آية 72.

(2) الطبري: جامع البيان. (مج4/3227)، بتصرف.

(3) سورة المؤمنون: آية 9.

(4) المراغي: تفسير المراغي. (137/3) بتصرف يسير.

(5) الرزاي: التفسير الكبير، مج7، (32/13) بتصرف.

(6) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج4، (306/7).

الثاني: أن يكون محمولاً على المعنى، لأن المعنى، أمرنا بالإسلام وبقائمة الصلاة⁽¹⁾.

وخلاصة القول: إن التقوى في الصلاة تكون بأدائها بأركانها، وشروطها، وآدابها، وسننها على أكمل وجه، لأنه من صلحت صلاته فقد صلح سائر عمله، ومن فسدت صلاته، فقد فسد سائر عمله، فيجب المحافظة عليها، حتى نصل من خلالها إلى تقوى الله -تعالى- ولعل السر في ذلك أن الصلاة طريق يوصل للتقوى؛ لأنها تنتهي عن الفحشاء والمنكر، ولا يكون ذلك إلا بتقوى الله -تعالى-.

المطلب الثالث: التقوى في الصيام

الصوم في اللغة: "الإمساك مطلقاً، سواء كان المُمسكُ عنه مَطْعَمًا، أو مَشْرِبًا، أو كلامًا، أو مشياً سواء صدر ذلك من حيوان أو غيره ومنه صامت الشمس: إذا بلغت كبد السماء"⁽²⁾.

"ولذلك قيل للفرس الممسك عن السير أو العلف: صائم"⁽³⁾.

والصوم شرعاً: "إمساك المكلف بالنية من الخيط الأبيض إلى الخيط الأسود عن تناول الأطيبين والاستمناء، والاستنقاء"⁽⁴⁾.

الصوم: من سبل التقوى الموصلة إلى مرضاة الله، فهو يعلم الناس كيف يترفعون عن مظاهر الحيوانية، حتى يصلوا إلى مستوى الملائكة، غذاء أرواحهم مراقبة الله وتقواه، وينمي في النفوس فضائل تحقق السعادة في الدنيا، والآخرة، ويربي فيهم ملكة الصبر، واحتمال الشدائد أمام العقبات، ومكاره الحياة، ومقاومة الأهواء، ويخلص النفوس من الإنهماك في متاع الدنيا، وزخارفها يقول تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"⁽⁵⁾.

(1) ابن الجوزي: زاد الميسر، مج3. (47/3).

(2) السمين، الحلبي: عمدة الحفاظ. (421-420/2).

(3) ابن منظور: لسان العرب. مادة صوم. (351/12).

(4) الأصفهاني: المفردات. مادة صوم. ص500.

(5) سورة البقرة: آية 183.

إن هذه الآية الكريمة تؤكد حقيقة عظيمة هي حقيقة أن يكون اتقاء الله بأداء هذا الركن من أركان الإسلام على الوجه الذي ينبغي ظاهراً، وباطناً، ومساهماً في أن يصبح المسلم من أهل التقى في كل أحواله وشؤونه. قال الإمام الرازي -رحمه الله-: "إن الله سبحانه وتعالى - بين بهذا الكلام أن الصوم يورث التقوى، لما فيه من انكسار الشهوة، وانقمار الهوى، فإنه يردع عن الأشر والبطر، والفواحش، ويهون لذات الدنيا ورياستها، وذلك لأنه يكسر شهوة البطن والفرج...، فمن أكثر الصوم هان عليه أمر هذين وخف عليه مؤنتهما، فكان ذلك رادعاً له عن ارتكاب المحارم والفواحش، ومهوناً عليه أمر الرياسة في الدنيا، وذلك جامع لأسباب التقوى فيكون معنى الآية، "فرضت عليكم الصيام، لتكونوا به من المتقين الذين اثبتت عليهم في كتابي، وأعلمت أن هذا الكتاب هدى لهم... لأن الصوم يقوي وجاؤكم في التقوى...، ولعلمكم تتقون الله بصومكم وترككم للشهوات... لعلمكم تنتظمون بسبب هذه العبادة في زمرة المتقين، لأن الصوم شعارهم والله أعلم"⁽¹⁾.

"وقد فرض الله -تعالى- الصوم علينا ليعدنا لتقوى الله بترك الشهوات المباحة الميسورة امتثالاً لأمره واحتساباً للأجر عنده، فنتربى بذلك العزيمة، والإرادة على ضبط النفس، وترك الشهوات المحرمة، والصبر عنها...، وإعداد الصوم لتقوى الله يظهر من وجوه كثيرة أعظمها شأنًا:

1. إنه يعود الإنسان الخشية من ربه في السر والعلن، إذ إن الصائم لا رقيب عليه إلا ربه....

2. يكسر حدة الشهوة، ويجعل النفس مصرقة لشهواتها بحسب الشرع، ويعود الشفقه والرحمة الداعيتين إلى البذل والصدقة... وفيه المساواة بين الأغنياء والفقراء... ويعود الأمة النظام في المعيشة... ويطهر الأمعاء من السموم التي تحدثها البطنة⁽²⁾.

"إن الله -تعالى- أوجب على هذه الأمة الإمساك عن المفطرات، كما أوجب على الذين من قبلهم لعلمهم يتقون، بالمحافظة عليها، ويتقون المعاصي بسبب هذه العبادة، لأنها تكسر الشهوة، وتضعف دواعي المعاصي"⁽³⁾.

(1) الرازي: التفسير الكبير. مج3(77/5). بتصرف.

(2) المراغي: تفسير المراغي. (مج1/244-245) بتصرف.

(3) الشوكاني: فتح القدير. (1/265-266).

وقد ورد في سنة الحبيب المصطفى ما يؤيد ذلك، عن أبي هريرة -رضي الله عنه-: "إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "الصيام جنة، فلا يرفث، ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم -مرتين- والذي نفسي بيده! لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يترك طعامه، وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي، وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها"⁽¹⁾.

وقد يسأل سائل ويقول: لماذا خص الله -تعالى- الصوم بأنه له، بالرغم من أن كل العبادات له؟ لأمرين، باين الصوم بهما سائر العبادات "أحدهما: إن الصوم، منع من ملاذّ النفس، وشهواتها، ما لا يمنع منه سائر العبادات.

الثاني: إن الصوم سر بين العبد، وربه، لا يظهر إلا له، فلذلك صار مختصاً به، وما سواه من العبادات ظاهر، ربما فعله تصنعاً ورياء، فلهذا صار أخص بالصوم من غيره"⁽²⁾.

"إن الصيام وصلة إلى التقى، إذ هو يكف النفس عن كثير مما تتطلع إليه من المعاصي"⁽³⁾، "وقد علل أصحاب تفسير البشائر ذلك بقولهم لما في الصوم من تطهير للنفس، وتنقيتها من الأخلاق الرديئة، والأخلاق الرذيلة، وكسر شهوات النفس، وتضييق مسالك الشيطان"⁽⁴⁾.

"لقد عبر القرآن الكريم بكلمة "عل" ولم يقطع، ولم يجزم، بأن ثمرة الصوم لا محالة تحقق التقوى، لأن الصوم: يعد الصائم للتقوى، إنه إعداد وتهيئة... فإذا ما تعهد الإنسان نفسه التي أعدت بالصوم، وانتهى إلى التقوى، كان جزاؤه حقيقة عند الله عظيماً"⁽⁵⁾.

ولا شك أن الصوم لا عدل له، ولا مثل له في تهية النفوس للتقوى، وأما من لم يتعهد نفسه، ولم يتق فيصدق عليه قول الرسول -عليه الصلاة والسلام-: "كم من صائم ليس له من صيامه

(1) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، برقم (1894)، (304-305).

(2) الماوردي: النكت والعيون. (مج/1/235).

(3) ابن الجوزي: زاد المسير. (167/1). وانظر الزجاج، معاني القرآن، (1/252).

(4) الميداني، وآخرون: تفسير البشائر وتنوير البصائر. تأليف علي الشرجي، دار البشائر. ط1. دمشق. 1418هـ - 1997م. (125/1). سائير إليه: الميداني وآخرون: تفسير البشائر.

(5) محمود، عبد الحلیم: العبادة أحكام وأسرار. د.ط. دار غريب. 1998. ص250. بتصرف يسير.

إلا الظماً، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر⁽¹⁾. وقوله -عليه الصلاة والسلام-: "من لم يدع قول الزور، والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"⁽²⁾.

"لقد ختم الله -تعالى- الآية الكريمة بقوله "لعلمك تتقون" لما فيها من القيم الروحية، والمبادئ العظيمة لفضيلة التقوى حيث بينت أن التقوى تتألف من عنصرين:

1. عنصر إيجابي، وهو القيام بما أمر الله سبحانه به من فروض، وواجبات في القول كالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. يقول تعالى: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ"⁽³⁾، وكذلك القيام بما أمر الله -تعالى- في الفعل، كالصلاة على وجهها الصادق الذي يترتب عليه الانتهاء عن الفحشاء والمنكر⁽⁴⁾.

2. الانتهاء عما نهى الله سبحانه و-تعالى- عنه في القول: كالغيبة التي مثل الله فاعلها بمن يأكل لحم أخيه ميتاً فقال تعالى: "يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ"⁽⁵⁾. والانتهاء كذلك عن الفعل عما نهى الله عنه مثل الغش، والاحتكار وغير ذلك... فإذا تحققت التقوى بالصوم، فقد تحققت القيم الروحية التي أحبها الله سبحانه للصائم...⁽⁶⁾.

وقد بين رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، ما ينبغي للصائم، وهو أن يكون صومه جنّة، أي: وقاية له عن إهمال ما أمر الله -تعالى- به، ووقاية عن إتيان ما نهى الله -تعالى- عنه...، فإذا

(1) الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت255هـ): مسند الدارمي. المعروف "سنن الدارمي". تحقيق حسين سليم أسد الداراني. باب المحافظة على الصوم. ط1. برقم (2762). دار ابن حزم. د.ط. 1421هـ-2000م. بالمحافظة على الصوم. برقم (2762/3). قال المحقق إسناده حسن. سأشير إليه: الدارمي: المسند.

(2) البخاري: صحيح البخاري. كتاب الصوم. باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم. برقم (1903). ص306.

(3) سورة آل عمران: آية 110.

(4) محمود: العبادة أحكام وأسرار، (251-252) بتصرف.

(5) سورة الحجرات: آية 12.

(6) محمود. العبادة أحكام وأسرار. ص252. بتصرف يسير.

ما وطن الإنسان نفسه على الخير، والصلاح بعد أن مهد له الصوم السبيل إلى ذلك، وأعدّه ليسير في سهولة ويسر على الصراط المستقيم، فقد فاز بثمره الصوم المرجوة وهي التقوى⁽¹⁾.

هذا هو الركن الثاني من أركان الإسلام إنه الصوم، تصوم الجوارح ويصوم اللسان، وسائر الجسد، نصوم لعلنا نتقي المعاصي، والذنوب، ولعلنا ننتظم في زمرة المتقين، نصوم لعلنا نتقي الله مما حرم علينا في الصيام من الطعام، والشراب، والمناكحة، نصوم لعلنا نجعل بيننا وبين ما يسخط الله، وقاية بالمسارعة بالتوبة إليه؛ لتكون التقوى صفة راسخة، يقول -عليه الصلاة والسلام- في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه عز وجل: "قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به"⁽²⁾.

وإذا كان الأمر كذلك فلا غرابة في أن يكون الصوم -وهو شرعة الحكيم الخبير- من أكبر العون على التقوى لما له من تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة.

وخلاصة القول: أن الله -تعالى- فرض علينا الصوم؛ لينبت التقوى في قلوبنا، وإنما يكرم الله العباد لتقواهم، فهو سبحانه لا ينظر إلى صور العباد وأشكالهم، بل إلى قلوبهم التي هي محل التقوى، وأعمالهم القائمة على أساس من التقوى، وهذه التقوى هي التي يعبأ الله بها من أعمالنا، قال تعالى: "لَنْ يَنَالَ اللَّهُ هُجُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَٰكِنَّ يَنَالُهُ الْتَقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ" ⁽³⁾.

إن الصيام ينمي التقوى في القلوب، ويعلاج القلوب تصلح الأعمال، وبصلاح القلوب والأعمال تصلح الأمة، ولعل هذا هو السر في أن الصوم سر بين العبد وربّه إذ لا يطلع على صدق العبد في هذا غير خالقه، واستشعار لمراقبة الله له في السر وقيل العلن، ولذلك يترك الصائم طعامه، وشرابه من أجل الله، ولا يردعه عن ذلك إلا الخوف من الله ومراقبته، فالصوم يربي المؤمن على مراقبة نفسه بنفسه، لا يرأى الناس به؛ لأنه يستطيع إذا خلا مع نفسه أن ينقض صيامه،

(1) المرجع السابق. ص 253. بتصرف يسير.

(2) البخاري: صحيح البخاري. كتاب الصوم. باب هل يقول إني صائم إذا شتم جزء من حديث، برقم (1904). ص 306.

(3) سورة الحج: آية 37.

وهنا يتجلى عنصر مراقبة النفس بالنفس، ومحاسبة النفس للنفس، ولعل السر في اقتران الصيام بالتقوى، هو أن الصيام مراقبة لله -تعالى- واستشعار خشيته وكذلك التقوى.

المطلب الرابع: التقوى في الزكاة

الزكاة في اللغة: "النماء" ومنه زكى المال يزكو وقيل الطهارة"⁽¹⁾. وهي مأخوذة من زكا الشيء يزكو أي: زاد ونما"⁽²⁾.

والزكاة شرعاً: "قدر مخصوص من مال مخصوص في زمن مخصوص"⁽³⁾.

وقيل: هو النمو الحاصل عن بركة الله -تعالى- ولذا سمي المخرج زكاةً وإن كان فيما يشاهد نقصاً، لما ذكروا من أنه يبارك فيه، وفيه قيل: الزكاة بركة المال، لأنها تحصنه من الضياع"⁽⁴⁾.

وقيل إن الزكاة شرعاً تعني: "اسماً لما يخرج الإنسان من حق الله -تعالى- إلى الفقراء، وهي القدر الواجب اخراجه لمستحقه في المال الذي بلغ نصاباً بشروط معينة"⁽⁵⁾. ولقد قرنت بالصلاة في القرآن، وهذا يدل على أنه لا فرق بينهما في الدين، ولذلك قال خليفة رسول الله أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- حين منعه الزكاة بعض الناس "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة"⁽⁶⁾.

وقد عرف الفيروزآبادي الزكاة بقوله: "النمو الحاصل عن بركة الله -تعالى- ويعتبر ذلك بالأموال الدنيوية والأخروية... وسميت بذلك لما يكون فيها من رجاء البركة، أو لتزكية النفس، أي: تنميتها بالخيرات والبركات... وبزكاة النفس، وطهارتها يصير الإنسان بحيث يستحق في

(1) السمين، الحلبي: عمدة الحفاظ. (161/2).

(2) عكاش، عيد الكريم: فقه الناشئ المسلم (الزكاة). دار المحبة. ط1. دمشق. د. ت. ص 11-13. بتصرف يسير. سأشير إليه: عكاش: فقه الناشئ.

(3) السمين الحلبي: عمدة الحفاظ. (161/2).

(4) المرجع السابق، (161/2)

(5) عكاش: فقه الناشئ. ص 11-13.

(6) البخاري: كتاب الزكاة. باب وجوب الزكاة. برقم (1400). ص 225.

الدنيا الأوصاف المحمودة، وفي الآخرة الأجر والثوبة، وهو أن يتحرى الإنسان ما فيه تطهيره... وقد وردت في القرآن على ستة عشر وجهاً...⁽¹⁾.

"ولأهميتها فقد ذكرها الله -تعالى- بعدة أساليب: فتارة بأسلوب الأمر، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾⁽²⁾. وتارة بأسلوب الثناء على فاعلها بقوله تعالى: "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا"⁽³⁾، وتارة بالتحذير والتهاون فيها، قال تعالى: "وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبِئْسَ لَهُمْ بَعْدَ ابِّ أَلِيمٍ"⁽⁴⁾.

من أجل هذا وجدنا أول الخلفاء الراشدين سيدنا أبا بكر -رضي الله عنه- يقف موقف الحكمة والحزم من الذين منعوا الزكاة، فلم يفرق بين من ارتد عن الإسلام، وبين من امتنع عن الزكاة⁽⁵⁾.

قال تعالى: "وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمِبَهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَائِنَتِنَا يُؤْمِنُونَ"⁽⁶⁾، "أي فأنبت رحمتي بمشيئتي للذين يتقون الكفر، والمعاصي، ويأتون الصدقة التي تنزكي بها أنفسهم. وخص الزكاة بالذكر دون ما عداها من الطاعات، لأن النفوس شحيحة، ففتنة تقتضي أن يكون المانعون للزكاة أكثر من التاركين غيرها من الطاعات، كما أن في ذلك إحياء إلى أن اليهود أشربوا في قلوبهم حب المال، وفتنوا بجمعه، ومنع بذله في سبيل الله، كما أنني سأكتبها كتابة خاصة للذين يصدقون بجميع آياتنا التي تدل على توحيدنا، وصدق رسلنا تصديق ايقان مبني على العلم الصحيح دون تقليد الآباء والأجداد"⁽⁷⁾.

(1) انظر: الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز. (132/3-135)، بتصرف.

(2) سورة المؤمنون: آية 4.

(3) سورة التوبة: آية 103.

(4) سورة التوبة: آية 34.

(5) عباس، فضل حسن: أنوار المشكاة في أحكام الزكاة. دار الفرقان. ط1. عمان: 1408هـ-1988م.

(6) سورة الأعراف: آية 156.

(7) محمود: الخوف والرجاء، ص244.

هذه الآية الكريمة تبين أن رحمة الله -تعالى- خاصة بمن يؤدي الزكاة، فإنه إن فعل ذلك، فقد اتصف بالتقوى، ولهذا فقد بين الحبيب المصطفى -صلى الله عليه وسلم- في أحاديث كثيرة فضل من يخرج الزكاة، وما أعد الله -تعالى- له من الأجر العظيم والثواب الجزيل، حيث يكون من الذين يظلمهم الله -تعالى- بظلمه يوم لا ظل إلا ظله، في ذلك اليوم العصيب المرير والذي يكون فيه الإنسان بأمر حاجة لرحمة الله -تعالى-؛ لأنه انفق ولم تعلم شماله ما انفقت يمينه، ولعل هذا هو السر في اقتران الزكاة بالتقوى.

قال قتادة: وسعت رحمته في الدنيا البر، والفاجر، وهي يوم القيامة للمتقين خاصة⁽¹⁾.

قال ابن عباس -رضي الله عنهما- في قوله "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ" قال: جعلها الله لهذه الأمة⁽²⁾.

عن ابن جريج⁽³⁾ قال: لما نزلت "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ" قال إبليس: أنا من ذلك الشيء، قال الله سبحانه و-تعالى- "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَابَتِنَا يُؤْمِنُونَ"⁽⁴⁾، فتمناها اليهود والنصارى، وقالوا: نحن ننتقي ونؤتي الزكاة، ونؤمن فجعلها الله لهذه الأمة⁽⁵⁾.

فالمال مال الله -تعالى- والإنسان مستخلف فيه وسيسأل عن هذا المال من أين اكتسبه وفيم أنفقه، ولهذا فقد دعا الإسلام وحث على السعي في طلب الرزق وبين أن الرزق بيد الله وحده فقال تعالى: "وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ"⁽⁶⁾.

(1) الماوردي: النكت والعيون. مج2. (267/2).

(2) المرجع السابق: مج2، (267/2)

(3) ابن جريج: عبد الملك بن عبد العزيز بن فقيه الحرم المكي. كان إمام أهل الحجاز في عصره، رومي الأصل توفي 150هـ. الزركلي: الأعلام. (مج4/160).

(4) سورة الأعراف: آية 156.

(5) البغوي: معالم التنزيل. (171/2).

(6) سورة الذاريات: آية 22.

وقد بين الله -تعالى- طريق التقوى في الزكاة وانفاق المال في وجهه المشروع حتى يحصل المسلم على الأجر العظيم، قال تعالى: "قَوْلَ مَعْرُوفٍ وَمَغْفِرَةَ خَيْرٍ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ" (1).

فمن أعظم الثواب في الصدقات ما كان سراً بين العبد وربه، فمن بذل ماله لوجه الله، فقد أثبت أنه صادق الإيمان، وأنه من أهل التقوى، فالزكاة ليست منة، إنما هي حق للفقير في مال الغني، وقد بين الله عز وجل أن الزكاة هي طريق الوصول للتقوى، وبشر من يخرج الزكاة بالرحمة الواسعة.

من أجل ذلك، وحتى لا يطغى المال على صاحبه، ويغمسه في الشهوات الحرام فرض الله -تعالى- الزكاة، وجعلها ركناً أساسياً من أركان الإسلام قال تعالى: "وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لَّيْرُبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِبُوا عِندَ اللَّهِ ۗ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضَعِفُونَ" (2).

وقد بين ابن عاشور -رحمه الله-: "أن الرحمة التي وردت في قوله "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ" (3)، "هي الرحمة التي سألتها موسى -عليه السلام- له ولقومه، وعد الله باعطائها لمن كان منهم متصفاً بأنه من المتقين، والمؤتئين الزكاة، ولمن كان من المؤمنين بآيات الله... فتشمل هذه الرحمة من أتقى، وآمن، وآتى الزكاة من بني إسرائيل قبل بعثته محمد عليه الصلاة والسلام، فإن اتباعهم إياه متعذر الحصول قبل بعثته" (4).

وفي الآية الكريمة ثلاثة أقوال:

الأول: "إن مخرجها عام، ومعناها خاص، وتأويله ورحمتي وسعت المؤمنين بي من أمة محمد -عليه الصلاة والسلام- لقوله "فسأكتبها للذين يتقون" قاله ابن عباس (5).

(1) سورة البقرة: آية 263.

(2) سورة الروم: آية 38-39.

(3) سورة الأعراف: آية 156.

(4) ابن عاشور: التحرير والتنوير. مج5. (130/9). بتصرف يسير

(5) الماوردي: النكت والعيون، مج2. (267/2).

الثاني: إن هذه الرحمة على العموم في الدنيا، والخصوص في الآخرة، وتأويلها: ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا البر، والفاجر، وفي الآخرة هي للمتقين خاصة، قاله الحسن⁽¹⁾، ففي هذا معنى الرحمة في الدنيا للكافر، أنه يرزق، ويدفع عنه كقوله تعالى: "وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ"⁽²⁾.

الثالث: إن الرحمة: التوبة، فهي على العموم"⁽³⁾.

ويضيف الإمام ابن الجوزي رحمه الله-: الرابع: أن الرحمة تسع كل الخلق، إلا أن أهل الكفر خارجون منها، فلو قدر دخولهم فيها لوسعتهم، قاله ابن الانباري⁽⁴⁾ (5).

وقال الزجاج وسعت كل شيء في الدنيا "فسأكتبها للذين يتقون" في الآخرة⁽⁶⁾.

قال المفسرون: معنى سأكتبها، سأوجبها.

والمتقون: هم المتقون من الشرك قاله ابن عباس⁽⁷⁾.

وقال قتادة: يتقون المعاصي⁽⁸⁾.

وأما الإمام الرازي فيقول: "إن جميع التكاليف محصورة في نوعين:

(1) البصري: تفسير الحسن البصري. (389/1).

(2) سورة القصص: آية 77.

(3) الماوردي: النكت والعيون. مج 2. (267/2).

(4) ابن الانباري، عبد الرحمن بن محمد ابن عبيد الله (ت 577هـ). من علماء اللغة والحديث، ولد بالأندلس ومات ببغداد، ومن أشهر كتبه، البيان في اعراب غريب القرآن ومشكل القرآن. انظر: صلاواتي، ياسين: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة. مؤسسة التاريخ العربي. ط 1. (6422-2001)، (مج 1/37).

(5) ابن الجوزي: زاد المسير. مج 3. (183/3).

(6) الزجاج: معاني القرآن. (380/2).

(7) الماوردي: النكت والعيون. مج 2. (267/2).

(8) المرجع السابق. مج 2. (267/2).

الأول: التروك، وهي الأشياء التي يجب على الإنسان تركها، والاحتراز عنها، والاتقاء منها، وهذا النوع إليه الإشارة بقوله "للذين يتقون..." وهذا هو الزكاة الذي أشار إليه بقوله "ويؤتون الزكاة".

الثاني: الأفعال، وتلك التكاليف: إما أن تكون متوجهة على مال الإنسان، أو على نفسه⁽¹⁾.

من هنا يتبين لنا أن الزكاة عبادة مالية يتقرب بها العبد لربه عز وجل، حيث إنها تزكي النفس، وتطهرها من البخل، والشح، وتزكي المال بالزيادة والبركة، وتضاعف لهم الأجر، والثواب.

ويتجلى معنى التقوى في الزكاة حينما ينفق الإنسان من أعلى ما يحب بصدق، وإخلاص حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه يريد بذلك وجه الله -تعالى- والحصول على مرضاته، ولعل السر في ذلك أنه ينفق ماله ليحصل على التقوى، فهو يزكي ماله، لأنه يعلم أن في هذا المال حق لغيره، وليست منة يمنها على الفقراء والمحتاجين، بل هو واجب عليه، وحق لغيره وبذلك يتبين لنا أن الزكاة تحقق التقوى، وخاصة في هذا العصر، وقد انتشرت المعاصي، وكثرت الآثام بسبب ضعف وازع التقوى، فبالزكاة نصل إلى التقوى.

لقد أصبحت هذه الفريضة، مهجورة، مجهولة الأحكام لدى فئة ليست بالقليلة من أبناء الإسلام ممن توفرت فيهم مقومات إخراجها، وذلك نتيجة لطغيان تيار الحياة المادية الجارف، وغلبة الشح المطاع، فضنت النفوس بالمال، نتيجة لغياب الفهم الصحيح لهذه الفريضة، وقدرتها، وصلاحياتها لعلاج مشاكل الحياة من كل عصر⁽²⁾.

المطلب الخامس: التقوى في الحج

الحَجُّ والحِجُّ: مصدران لحَجَّ أي: قصد، والحجُّ في اللغة: القصد⁽³⁾.

(1) الرازي: التفسير الكبير. مج8. (24/15). بتصرف.

(2) عقله، محمد: أحكام الزكاة والصدقة. مكتبة الرسالة الحديثة. عمان: ط1. 1402هـ-1982م. ص4.

(3) الأصفهاني: المفردات، مادة حج، ص218.

الحج شرعاً: "قصد مخصوص، لمكان مخصوص، في زمان مخصوص، على هيئات مخصوصة"⁽¹⁾.

"وأصل الحج: القصد للزيارة، وخص في تعارف الشرع بقصد بيت الله إقامة للنسك"⁽²⁾.

إن الحج ركن من أركان الإسلام، وهي عبادة مالية وجسمية حيث جعل لمن استطاع إليه سبيلاً، يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "من حج لله فلم يرفث، ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أمه"⁽³⁾، إنه الوقوف بين يدي الله، بجوار بيت الله بقلوب مليئة بالخشية، والأيدي مرفوعة، ومرتعشة طمعاً في رجاء العفو، والألسنة تلهج بالدعاء، والثناء، والتهليل، والتعظيم، مؤتمراً يجتمع فيه المسلمون من شتى المعمورة، يتوجهون لأداء ركن واحد بلباس واحد، ويعبدون رباً واحداً، صاحب العزة القائمة، والمملكة الدائمة، يمحو ذنوب عباده، ويغفر لهم، ويعتقهم من النار، ويجازيهم بالجنة، سئل النبي -عليه الصلاة والسلام-: أي الأعمال أفضل؟ قال: "إيمان بالله ورسوله، قيل ثم ماذا؟ قال جهاد في سبيل الله. قيل ثم ماذا؟ قال: حج مبرور"⁽⁴⁾.

"إن علامة بر الحج أن يزداد بعدها خيراً، ولا يعاود المعاصي بعد رجوعه، فعن الحسن البصري أنه قال في الحج المبرور: "أن يرجع زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة، ولا يقتصر به على تكفير بعض الذنوب، بل لا بد أن يبلغ به الجنة"⁽⁵⁾.

"إن الحج المبرور هو الحج الذي استكمل سائر مؤهلات القبول من الإخلاص، وحسن الأداء والابتعاد عن كل ما يخدش في قيمته، كحج صادق مأواه الخير والإحسان، وإن الحاج البار هو ذلك الحاج المطيع الذي لا يعصى، والمحسن الذي لا يسيء في خدمة سيده، والذي جمع إلى

(1) السمين، الحلبي: عمدة الحفاظ. (432/1).

(2) الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز. (432/2).

(3) البخاري: صحيح البخاري. كتاب الحج. باب فضل الحج المبرور. برقم (1521). ص247.

(4) البخاري: صحيح البخاري. كتاب الحج. باب فضل الحج المبرور. برقم (1519). ص247.

(5) المكي، أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر، محب الدين الطبري (ت694هـ): القرى لقاصد أم القرى،

عارضة مصطفى السقا، دار الفكر، ط2، القاهرة، د. ط، (1390هـ-1970م)، ص34.

الطاعة الكاملة، والإحسان العام فعل الخير، وإسداء المعروف لوافدي بيت الله، فلم يكن له من جزاء يعادل ثوابه إلا الجنة منزلة الإبرار، ومقر الأصفياء الأخيار⁽¹⁾.

"إذا تأملنا آيات الحج، وكيف ارتبطت هذه العبادة بالتقوى، وكيف أشارت إلى أن الدرس الأول الذي يأخذه المؤمنون من الحج هو التقوى، وأن هذه العبادة هي موسم من المواسم التي يتزود فيها المرء بالتقوى، نجد أن أول آية من آيات الحج، قد ورد فيها ذكر التقوى، يقول تعالى: "وَأْتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّع بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"⁽²⁾.

وتختتم آيات الحج بذكر التقوى "وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ"⁽³⁾. وكذلك هناك أمر آخر، وهو أن التقوى يعقبها في كثير من الأحيان ذكر لليوم الآخر، أو تخويف من جهنم، وتحذير من العقاب يقول تعالى: "يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ"⁽⁴⁾، وكذلك في آيات الحج تختتم الآية الأولى بقوله تعالى: "وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"⁽⁵⁾. والآية الأخيرة "وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ"⁽⁶⁾، وفي هذا إشارة إلى أن الذي ينجي من عذاب الله، ومن أهوال القيامة هو تقوى الله -تعالى-⁽⁷⁾.

(1) الجزائري: الحج المبرور. مكتبة الكليات الأزهرية. د. ط. القاهرة: 1399هـ - 1979م. ص 29-30.

(2) سورة البقرة: آية 196.

(3) سورة البقرة: آية 203.

(4) سورة الحج: آية 1.

(5) سورة البقرة: آية 196.

(6) سورة البقرة: آية 203.

(7) الزهراني، ناصر بن مسفر: إبهاج الحاج. مكتبة العبيكان. الرياض، ط4: 1422هـ. ص 19-20.

فإذا قام المسلم بتعظيم شعائر الله -تعالى- في الحج، فإن ذلك يدل على تقوى القلوب، خاصة إذا قام بها كما أمر بها القرآن الكريم، وكما جرت عليها سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام يقول تعالى: "ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ" (1).

وقد بين الله -تبارك وتعالى- إن الحج طريق من طرق الوصول للتقوى حيث جعل الله وقتاً معلوماً فقال تعالى: "الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ۗ وَاتَّقُوا يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ" (2).

قال الإمام الطبري -رحمه الله-: "التقوني يا أهل العقول، والأفهام بأداء فرائضي عليكم، التي أوجبتها عليكم في حجكم ومناسككم وغير ذلك من ديني الذي شرعته لكم، وخافوا عقابي باجتتاب محارمي التي حرمتها عليكم: تتجوا بذلك، مما تخافون من غضبي عليكم وعقابي، وتدرکوا ما تطلبون من الفوز بجناتي" (3).

لقد ذكرهم الله -تبارك وتعالى- بسفر الآخرة، وحثهم على تزود التقوى، فإن التقوى زاد الآخرة الذي لا ينفذ أبداً.

قال صاحب كتاب التفسير القرآني للقرآن: "الحج مدخل إلى طاعة الله، وسعي إلى التقرب منه، والتعرض لمغفرته، ورضوانه... ومن أجل هذا، خرج الحاج من أهله، وأعماله، واتجه إلى ربه، وبيت ربه، ومن أجل ذلك أيضاً نزع كل ما على جسده من ملابس عاش فيها قبل هذه الرحلة إلى الله، وأصابها ما أصابها مما اقتترف من سيئات، واستبدل بها ملابس الإحرام التي ينبغي أن يصونها، ويصون نفسه فيها عن كل حرام، فلا يندنس بملابسة رفث، أو فسوق، أو جدال، وبذلك يكون أهلاً لأن يدنو من الله، وينال من رحمته ما يناله المتقون...، وقد أخبر الله -تعالى- أن هناك زاداً خيراً من زاد الطعام، والمال ويجب على كل حاج أن يحرص عليه وأن

(1) سورة الحج: آية 32.

(2) سورة البقرة: آية 197.

(3) الطبري: جامع البيان. (مج2/1069).

يسعى ما استطاع لتحصيله وهو التقوى، فهي الزاد الطيب الباقي، الذي يعين على الوصول إلى الله، والتعرض لهواطل رحمته، وغيوث رضوانه⁽¹⁾.

وقد يسأل سائل ويقول: لماذا خص الله -تعالى- أولي الألباب بالذكر؟ يجيب الإمام الطبري عن ذلك بقوله: "لأنهم أهل التمييز بين الحق، والباطل، وأهل الفكر الصحيح، والمعرفة بحقائق الأشياء التي بالعقول تدرك، وبالألباب تفهم"⁽²⁾.

"إن قضية اللب استشعار خشية الله عز وجل وتقواه، حثهم على التقوى، ثم أمرهم بأن يكون المقصود بذلك هو الله -تعالى- فيتبرؤا من كل شيء سواه"⁽³⁾.

إن الحج من أفضل الأعمال، ينزه الإنسان من أضرار النفس، وحب الشهوات، ويقربه من ربه، يرقى بروحه، ويسمو بضربيته، وبه يمحو الله السيئات، وينفي عن المعذر المقصر المذنب"⁽⁴⁾.

حيث يكون الدافع على أداء هذا الركن العظيم: هو تقوى الله -تعالى- حتى يعود الحاج كيوم ولدته أمه. فإن من صلاح النفس، وزكائها مداره الإيمان والتقوى، والعمل الصالح، وفساد النفس، وخبثها مداره الشرك والمعاصي، وبذلك كانت هذه العبادة هي موسم من المواسم التي يتزود فيها المرء بالتقوى، وهو الدرس الأول الذي يأخذه المؤمنون من الحج.

(1) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن. مج1. (222/2). بتصرف يسير.

(2) الطبري: جامع البيان. (مج2/1070).

(3) أبو السعود: إرشاد العقل السليم. (251/1).

(4) ابن تيمية: فقه الحج. تحقيق سيد الجميلي. ط6. بيروت: 1417هـ-1997م. ص8.

المبحث الرابع

معرفة الله تعالى

قال تعالى: "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" (1) قال أهل التفسير: ما عرفوا الله حق معرفته (2).

"لقد بين الحق جلته أن الرسوخ في العلم يؤدي إلى معرفة الحق، والحق يؤدي إلى الهدى، والهدى يؤدي إلى التقوى، وتكون العقابة جنات تجري من تحتها الأنهار، وأزواجاً مطهرة ورضوان من الله" (3).

"إن معرفة الله -تعالى- هي المعنى الأول للتربية الإسلامية، حيث إن تدبر القرآن الكريم يورث معرفة الله سبحانه و-تعالى- وهذه المعرفة الحية بالله، وبصفاته التي يعرف بها عز وجل في القرآن، إنه الخالق، البارئ، المصور، الرزاق... وهذه المعرفة هي اللبنة الرئيسة في التربية الإسلامية، لا شيء قبلها، وكل شيء بعدها يجيء" (4)، دخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على شاب وهو في الموت فقال: "كيف تجدك؟ قال والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وآمنه مما يخاف" (5).

إن المعرفة بالله عز وجل من شأنها أن تربط القلب البشري بالله، فأين ذهب القلب البشري بعيداً عن الله، وهو معه أينما كان، في صحوه ونومه، في يقظته وغفلته، في إقباله وإدباره، لا يغيب

(1) سورة الزمر: آية 67.

(2) القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف. تحقيق معروف زريق. دار الخير. ط1. بيروت: 1413هـ-1993م. ص311-312. سأسير إليه: القشيري: الرسالة القشيرية.

(3) كمال، يوسف: الأساس الأخلاقي للأمة من سورة آل عمران. ط1. دار التوزيع. 1419هـ-1998م. ص26. سأسير إليه: كمال: الأساس الأخلاقي.

(4) الخطيب، محمد عبد الله: وقفة مع النفس البشرية. دار التوزيع. د.ط. 1418هـ-1998م. ص23-26. بتصرف يسير. سأسير إليه: الخطيب: وقفة مع النفس البشرية.

(5) الترمذي: سنن الترمذي. باب ما جاء أن المؤمن يموت بعرق الجبين. برقم (983). ص234. قال الألباني: حديث

حسن.

منه شيء عن علم الله الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات، ولا في الأرض!، أين يذهب من علمه الشامل؟ وأين يذهب من حسابيه، وهو يحاسب على الصغيرة، والكبيرة يوم القيامة، يقول تعالى: "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٢٦﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ" (1)، ذلك هو وجدان الخشية والتقوى الذي يغمر قلوب المؤمنين، ولكن القلب المؤمن الذي يخشى الله يحبه كذلك (2).

إن التعرف على الله بأسمائه، وصفاته، وتصور عظمته، وإحاطة علمه، وعظيم سلطانه، يورث الخشية، والإنابة، ولزوم الطاعة، مما يعين على الوصول للتقوى، وكذلك معرفة عذاب الله، وعقابه وسخطه وغضبه، فإن ذلك يورث العبد مقام المراقبة والمحاسبة، والتدبر في نعيم أهل التقوى، وما أعدّه الله لهم مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وإن النظر في سير المتقين السابقين حتى يتأثر بهم ويهتدي بهديهم، وأيضاً حبس النفس على فعل الخيرات ومجاهدتها على ترك السيئات، وأخيراً الابتعاد عن أصحاب السوء، والابتعاد عن بيئة الفساد، وأماكن الفجور، واللغو، والفسوق، والله -تعالى- أعلم.

(1) سورة الزلزلة: آية 7-8.

(2) الخطيب، محمد عبد الله: وقفة مع النفس البشرية. ص 23-26. بتصرف.

المبحث الخامس

مراقبة الله تعالى

إن علم الله تعالى واسع لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، فالمسلم الحق يعتقد أن الله تعالى رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله، مطلع على كل أعماله، في كل وقت وفي كل لحظة، ولا يغيب عنه شيء، ولهذا فقد كان المراقبة إحدى الطرق التي تحقق التقوى.

المراقبة لغة واصطلاحاً:

الرقيب: "هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء" والرقيب: المنتظر⁽¹⁾

المراقبة في الاصطلاح: "اشتغال القلوب بالله -تعالى- وأنه مطلع على السرائر، عالم بالضمائر، محيط بحقائق الأعمال"⁽²⁾.

"إن مراقبة الله -تعالى- طريق تحقق التقوى، وهو الشعور بأن الله -تعالى- رقيب عليه في أفعاله وأقواله، ولا يشعر بها إلا من ذاق حلاوة الإيمان، وعرف التقوى.

فلماذا يخفق كثير من الناس في الوصول إلى السعادة النفسية، على الرغم أنك ترى كثيراً من هؤلاء منعم عليه، في سعة من أمره، تشعر أنه يعيش في بحبوحة من نعيم الدنيا، ومع هذا تجد هذا الصنف يشكو ويبئن، ويتوجع ويتأفف، لكونه لا يجد طعماً حقيقياً لسعادة نفسية تفيض على قلبه، فهو متكرر في ليلة ونهاره...!!

الحقيقة التي جهلها أكثر الناس، أن السعادة أقرب إليهم مما يتصورون...! نعم، هي في متناول يدك، لكنك إما لا تراها، أولاً تعرف كيف تمد يدك، لتضغط على زر الإضاءة! أو أنك إنسان قد

(1) ابن منظور: لسان العرب، مادة رقب مج1، (42/1) وانظر الفيروز آبادي: بصائر ذوي التمييز (94/3).

(2) الزقار، يحيى بن حمزة اليماني (ت749هـ): تصفية القلوب من أدران الأوزار والذنوب. تحقيق وتقديم حسن محمد مقبولي الأهدل. مؤسسة الكتب الثقافية. ط1. بيروت، (1412هـ-1991م). (ص319-320). سأنشير إليه: الزقار: تصفية القلوب.

استنله هواه، واستعبدته شهوته، فهو يمضي في دنياه كالمسحور، لا سمع، ولا بصر، ولا عقل...!.

إن السعادة الحقيقية ليست حكراً على شعب دون آخر، ولا على طبقة دون أخرى، بل إن السعادة ليست بكثرة عرض من مال يسيل من بين الأصابع، ويفيض، ولا عرض من جاه يتسامخ به بعض الأقرام على من حوله، ولا هو بنجومية زائفة، يندفع بها الناس، وصاحبها في عناء منها.

إن السعادة أمر من داخلك أيها الإنسان، هي ينبوع يمكنك تفجيرها إذا استطعت، يقول نبي الرحمة ورسول الهدى، وطبيب القلوب محمد -صلى الله عليه وسلم-: "ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس"⁽¹⁾.

هذا هو المفتاح الحقيقي إذن! إن تحصيل التقوى أسرع طريق تستجلب به حياة القلب، وبحياة القلب تنبت السعادة، كما تنبت النخلة، جذرها في الأرض، وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، حين تغمر أنوار التقوى، ومراقبة الله، واستحضار عظمتها، ومعيتها في قلبك، تهتز جوانب قلبك ولا بد، وتشرق زواياها، وتنعكس تلك (الأوار) على سيما الوجه، وتفويض بما يدور به اللسان من أطايب الكلام، وعذب الحديث، وإشعاع الروح"⁽²⁾.

ويرى الإمام ابن القيم -رحمه الله-: "إن المراقبة دوام العبد وتيقنه بإطلاع الحق سبحانه و- تعالى- على ظاهره وباطنه، فاستدامته لهذا العلم، واليقين هي (المراقبة). وهي: ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه، ناظر إليه، سامع لقوله، وهو مطلع على عمله كل وقت، وكل لحظة، وكل نفس، وكل طرفة عين"⁽³⁾.

(1) مسلم: صحيح مسلم. الزكاة. باب ليس الغنى عن كثرة العرض، برقم (1051). ص(403).

(2) <http://sa3h.maktoobblog.com/?post=3891109>

الأوار: شدة حر الشمس ولفح النار ووجهها والعطش، وقيل الدخان واللهب. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة أور، (35/4).

(3) ابن القيم: مدارج السالكين. (65/2).

يقول الإمام القشيري في رسالته: "إن المراقبة هي دوام النظر بالقلب إلى الله -تعالى- فيراقب الإنسان أفعاله، وأحكامه، ويعبر عنه باستشعار نظر الله -تعالى- إليه في حركاته، وسكناته، وهذا أصل كله خير، ولا يكاد الإنسان يصل إلى هذه الرتبة إلا بعد فراغه من محاسبة نفسه على ما سلف، وعندها يعلم أن الله -تعالى- عليه رقيب، ومن قلبه قريب، يعلم أحواله، ويرى أفعاله، ويسمع أقواله"⁽¹⁾.

"إن المراقبة حالة من أحوال المقربين، ومنزلة من منازل المتقين، وتتمثل حقيقية المراقبة في ملاحظة الرقيب، وانصراف الهمة إليه فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال إنه يراقبه، ويراعي جانبه، إنها حالة للقلب تنمر المعرفة بالله -تعالى- وتلك الحالة تنمر أعمالاً في الجوارح بالطاعة، والانكفاف عن المعصية يقول تعالى: "أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى"⁽²⁾. ويقول أيضاً: "يَعْلَم خَائِبَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ"⁽³⁾.

وكم تفعل مراقبة الله -تعالى- بحضور قلب، ورغبة صادقة في مرضاته سبحانه وفعلها في رسوخ التقوى، حتى تكون للمسلم نوراً في حياته كلها، وفيصلاً بين الحق، والباطل.

وبعد أن نهى الله -تعالى- نهياً صريحاً عن اجتراح شيء مما يؤذي النبي -صلى الله عليه وسلم-، وبعد أن ربا بهم عن أن يقعوا في هذه الحمأة المخزية، فيكونوا مثل الذين استهانوا بما يجب من الأدب مع الأنبياء، وتوقيرهم فأذوا رسولهم، وجه سبحانه إليهم نداءه الكريم بقوله: "يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٥١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا"⁽⁴⁾.

(1) القشيري: الرسالة القشيرية. ص 189.

(2) سورة العلق: آية 14.

(3) سورة غافر: آية 19.

(4) سورة الأحزاب: آية 70-71.

قال الإمام الزمخشري -رحمه الله-: والمعنى: "راقبوا الله في حفظ ألسنتكم، وتسديد قولكم، فإنكم إن فعلتم ذلك، أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة: من تقبل حسناتكم، والإثابة عليها، ومن مغفرة سيئاتكم، وتكفيرها، واصلاح الأعمال: التوفيق في المجيء بها سالحة مرضية"⁽¹⁾.

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "يقول -تعالى- آمراً عباده المؤمنين بتقواه، وأن يعبدوه عبادة من كأنه يراه، وأن يقولوا (قولاً سديداً) أي: قولاً مستقيماً، لا اعوجاج فيه، ولا انحراف، ووعدهم أنهم إذا فعلوا ذلك أثابهم عليه بأن يصلح لهم أعمالهم أي: يوفقهم للأعمال الصالحة، وأن يغفر لهم الذنوب الماضية، وما قد يقع منهم في المستقبل، يلهمهم التوبة منها.. ويجار من نار الجحيم، ويصير إلى النعيم المقيم"⁽²⁾.

ويرى الإمام الزراي أن الله -تعالى- جعل الفوز عظيماً من وجهين:

الأول: "إنه من عذاب عظيم، والنجاة من العذاب تعظم بعظم العذاب...."

الثاني: إنه وصل إلى ثواب كثير، وهو الثواب الدائم الأبدي"⁽³⁾.

ويضيف أيضاً وفي الإشارة إلى سمو المنهج القرآني في تربية المؤمن على التقوى، مراقبة الله -تعالى- يقول الإمام الرازي -رحمه الله-: "أرشدكم إلى ما ينبغي أن يصدر منهم من الأفعال والأقوال، أما الأفعال: فالخير، وأما الأقوال: فالحق، لأن من أتى بالخير، وترك الشر، فقد اتقى الله، ومن قال الصدق، قال قولاً سديداً، ثم وعدهم على الأمرين بأمرين:

1. على الخيرات بإصلاح الأعمال، فإن بتقوى الله يصلح العمل، والعمل الصالح يرفع ويبقى فاعله خالداً في الجنة.

2. على القول السديد بمغفرة الذنوب"⁽⁴⁾.

(1) الزمخشري: الكشاف. مج3. (546/3). بتصرف يسير.

(2) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (237/6).

(3) الرازي: التفسير الكبير: مج13. (25-235)، بتصرف.

(4) المرجع السابق. مج13. (235/25).

ويضيف الرازي " وقد بشر الله -تعالى- أهل الطاعة بالخير الوفير فقال: "يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ" وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا" (1)، وهكذا يكون المعنى: يا أيها الذين صدقوا الله، ورسوله اتقوا الله أن تعصوه وتخالفوا أمره، وقلوا قولاً حقاً قوياً صواباً تتالوا إصلاح أعمالكم، ومغفرة ذنوبكم.

"وكان الآية تنزل على واقعنا اليوم، فكم تبدو الحاجة ماسة، بل كم تبدو الضرورة ملحة... وحال الأمة حال تنفطر لها القلوب... إلى أن تأخذ التقوى بالقول السديد، والكلمة الموزونة الصادقة مكانها اللائق في مرافق العلم، والإعلام، والتربية والدعوة، والفتوى والتوجيه، وفي كل ميدان ينتظم علاقة الناس بعضهم ببعض في الأسرة والمجتمع والدولة، وإذا وصل الناس للتقوى استقام المعوج، وعادت الثقة فأين نحن اليوم من القول السديد قول الحق؟ وأين نحن من الشعور الصادق بمراقبة الله -تعالى-؟(2).

(1) سورة الأحزاب: آية 71.

(2) الصالح: التقوى في هدي الكتاب. (131/3).

الفصل الخامس

عاقبة التقوى وآثارها

المبحث الأول: عاقبة التقوى

المبحث الثاني: الآثار المترتبة على التقوى في الدنيا

المبحث الثالث: الآثار المترتبة على التقوى في الآخرة

المبحث الأول

عاقبة التقوى

إن مما لا ريب فيه أن العاقبة المرضية في الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد لأولئك البررة من أهل الإيمان المتقين.

العقبى، والعقبى يختصان بالثواب قال تعالى: "خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا"⁽¹⁾... والعاقبة إطلاقها يختص بالثواب "وَالْعَقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ"⁽²⁾. وقد تستعمل في العقوبة⁽³⁾، قال تعالى: "ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا السُّوْءَ"⁽⁴⁾.

أكرم الله -تبارك وتعالى- عباده المتقين بحسن العاقبة في الدنيا، ويوم الدين، إنه الفوز العظيم بين يدي الله أحكم الحاكمين، والعاقبة الحسنة المرضية في الحياة الدنيا، ويوم يحشر الناس، ويقوم الأشهاد، قال تعالى: "وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا حَتَّىٰ تَرْزُقَهُ وَالْعَقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ"⁽⁵⁾.

لقد سبق الحديث عن عاقبة المتقين بالأمر بالصلاة، والصبر على التربية عليها؛ لما لها من عظيم المنزلة، والمشرقة بوعد الله الحق في شأن الرزق، وأن العاقبة المحمودة مآل أهل التقوى، وفي هذه الآية الكريمة أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يستنقذ أهله من عذاب الله بإقامة الصلاة، وأن يصطبر على فعلها.

(1) سورة الكهف: آية 44.

(2) سورة القصص: آية 83.

(3) الأصفهاني: المفردات. (ص575).

(4) سورة الروم: آية 10.

(5) سورة طه: آية 132.

قال ابن الجوزي: معنى (والعاقبة للتقوى) أي: "وحسن العاقبة لأهل التقوى"⁽¹⁾، وهو ما ذهب إليه الماوردي⁽²⁾ وأضاف البغوي: "الخاتمة الجميلة المحمودة (للتقوى)، أي: لأهل التقوى"⁽³⁾.

"إن حسن العاقبة في الدنيا، والآخرة هي الجنة لمن اتقى الله تعالى"⁽⁴⁾، وقد أشار الرسول الكريم -عليه الصلاة والسلام- أن العاقبة المرضية هي في الآخرة للمؤمنين، فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم، كأناً في دار عقبة بن رافع"⁽⁵⁾، فأتينا برطب من رطب ابن طاب، فأولت الرفعة لنا في الدنيا والعاقبة في الآخرة، وأن ديننا قد طاب"⁽⁶⁾، قال الإمام النووي "هو نوع من الرطب معروف يقال له "رطب بن طاب" وتمر بن طاب، وهي مضاف إلى ابن طاب، رجل من أهل المدينة"⁽⁷⁾.

"وقد تكون لغير التقوى عاقبة، ولكنها مذمومة فهي كالمعدومة"⁽⁸⁾.

وحقيقة العاقبة: "أنها كل ما يعقب أمراً، ويقع في آخره من خير وشر، إلا أنها غلب استعمالها في أمور الخير، فالمعنى: أن التقوى تجيء في نهايتها عواقب خير، واللام للملك تحقيقاً لإرادة الخير من العاقبة، لأن شأن لام الملك أن تدل على نوال الأمر المرغوب، وإنما يطرد ذلك في عاقبة خير الآخرة، وقد تكون العاقبة في خير الدنيا أيضاً للتقوى"⁽⁹⁾.

(1) ابن الجوزي: زاد المسير. مج5. (231/5).

(2) انظر: الماوردي: النكت والعيون، (مج3/434).

(3) البغوي: معالم التنزيل، (3/199).

(4) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (5/192).

(5) عقبة بن رافع: وقيل ابن نافع بن عبد القيس بن لقيط القرشي الفهري، شهد فتح مصر، وولي الأمانة على المغرب واستشهد بإفريقية (63هـ). انظر ابن الأثير: أسد الغابة، (3/1075). وانظر ابن عبد البر: الاستيعاب، (3/259).

(6) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي -صلى الله عليه وسلم-، رقم (2270)، ص933.

(7) النووي، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي: كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي -صلى الله عليه وسلم-، (15/33).

(8) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج6، (11/174).

(9) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج8، (16/343).

"إن العاقبة الصالحة من عمل كل عامل لأهل التقوى، والخشية من الله، دون من لا يخاف له عقابا، ولا يرجو له ثوابا"⁽¹⁾.

"إن العاقبة الحسنة ذات المجد، والرفعة في الحياة الدنيا تكون بالنصر والتأييد من الله، أو باكتساب الشهادة أو بالثواب العظيم وفي الآخرة تكون بالمنازل الرفيعة في جنات النعيم"⁽²⁾.

وخلاصة الأمر: أن الله -تعالى- قد أعد لعباده المتقين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر من الخير الجزيل، والأجر العظيم فهي عاقبة حسنة طيبة حميدة لأهل التقوى يقول تعالى: "هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ"⁽³⁾.

وحرري بالمؤمن أن يذكر أن ملاك الأمر هو التقوى، إذ هي العقبى المحموده لأهلها فهي الحصن المنيع لأهلها، وقد أوضح النبي -عليه الصلاة والسلام-، أن هذه السجية المباركة موطنها القلب حينما أشار إلى صدره، فلينظر المؤمن إلى إصلاح قلبه، والبعد عن كل ما يعكر صفاءه ونقاءه، من الانشغال الدائم بهوم الدنيا ومطامعها المشوبة بالأكدار، ويحول دونه، ودون تلقي نفحات الرحمن الرحيم، وأن يحرم مما أعد سبحانه لعباده الأبرار المتقين⁽⁴⁾.

يقول الله تعالى: "تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَنِقَةَ لِلْمُتَّقِينَ"⁽⁵⁾، هذه الآية الكريمة فيها تسلية لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يصبر على تكاليف الله -تعالى- كما صبر سيدنا نوح -عليه السلام-، "فإن الخير من عواقب الأمور لمن اتقى الله، فأدى فرائضه واجتنب معاصيه، فهم الفائزون بما يؤملون من النعيم في الآخرة، والظفر في الدنيا بالطلبة كما كانت عاقبة نوح -عليه السلام- إذ صبر لأمر الله، أن نجاه الله من الهلكة مع من آمن به، وأعطاه في الآخرة ما أعطاه من الكرامة"⁽⁶⁾.

(1) الطبري: جامع البيان، (5663/7).

(2) الميداني: معارج التفكير، (378/8).

(3) سورة الرحمن: آية 60.

(4) الصالح: التقوى في هدي الكتاب. (337-336/2)، بتصرف.

(5) سورة هود: آية 49.

(6) الطبري: جامع البيان، (مج6/4354).

"وجملة (إن العاقبة للمتقين) علة للصبر المأمور به، أي: اصبر، لأن داعي الصبر قائم، وهو أن العاقبة الحسنة تكون للمتقين، فستكون لك وللمؤمنين معك... واللام في المتقين للاختصاص والملك، فيقتضي ملك المتقين لجنس العاقبة الحسنة، فهي ثابتة لهم، لا تفوتهم، وهي منتفية عن اضدادهم"⁽¹⁾.

والخطاب في هذه الآية الكريمة لسيدنا محمد -عليه الصلاة والسلام- أي: سنجعل العاقبة لك يا محمد ولأتباعك في الدنيا، والآخرة، كما فعلنا بالمرسلين، حيث نصرناهم على أعدائهم⁽²⁾، قال تعالى: "وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٠٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ" ⁽³⁾.

"(إن العاقبة) في الدنيا بالظفر، وفي الآخرة بالفوزة (للمتقين) عن الشرك والمعاصي"⁽⁴⁾، "وفي الآية تنبيه على أن الصبر عاقبته النصر، والظفر، والفرح، والسرور، كما كان لنوح -عليه السلام- ولقومه"⁽⁵⁾.

"والوعد بالعاقبة الحسنی للمتقين، يتضمن الوعيد لأعدائهم الكافرين، إذ يحل بهم الخذلان والخيبة، والذل، والمهانة في الدنيا، ثم يحل بهم الخزي، والصغار، وعذاب النار، يوم الدين في جهنم وبئس المصير"⁽⁶⁾.

هنيئاً لأهل التقوى على هذه العاقبة الحميدة التي لا ريب فيها، وعندها يعلم أولئك المصرون الضالون عن طريق الحق، أن العاقبة في الدنيا، ويوم يقوم الإسهاد لأولئك المتقين البررة، ويؤمئذ يندم الظالمون في وقت لا ينفع فيه الندم، قال تعالى: "كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج6، (93/12) بتصرف يسير.

(2) أحمد شاكر: عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير، مختصر تفسير القرآن العظيم، دار الإبداع، الاسكندرية، ط2، 2005. (231/2)، سأشير إليه: أحمد شاكر: عمدة التفسير.

(3) سورة الصافات: آية 171-173.

(4) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج5، (45/9).

(5) الرازي: التفسير الكبير، مج9 (9/18).

(6) الميداني: معارج التفكير. (مج10/412).

اللَّهِ قَوِيٌّ عَزِيزٌ⁽¹⁾، ويقول -تعالى- أيضاً: "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ"⁽²⁾.

ولقد ختمت سورة آل عمران الأمر بتقوى الله مقروناً بالأمر بالصبر، والصلاة، والمرابطة، وترتيب الفلاح على ذلك ووعده الله حق وصدق يقول تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"⁽³⁾.

وهذا نداء لكل المسلمين حيث أمرهم الله -تعالى- بالاعتصام بحبل الله المتين، والوقوف صفاً واحداً في وجه أعدائهم، وأن يأخذوا، ويتمسكوا بمنهج التقوى، ولا يستثنون بعداً من أبعاده في الشؤون جميعاً، حتى تفوز من جديد، وخاصة أنها قد تجافت عن طريق النصر، والتمكين بعاقبة الدار، وعندها تعز وتنتصر، ويعود إليها ما غلبها عليه أعداؤها الحاقدون المفترسون الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة، وتنال كرامة الله في الآخرة، وذلك الفوز العظيم⁽⁴⁾. يقول تعالى: "قُلْ يَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۗ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۗ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ"⁽⁵⁾.

إن أول ما يتبادر للذهن أن عاقبة الدار هذه، هي العاقبة المحمودة لأهل التقوى، وهذه الآية الكريمة تبشر المتقين بأكرم عاقبة في الدنيا بالتمكين في الدين، والطمأنينة القلبية، بأن الله هو الرزاق رب العالمين، وفي الآخرة يفوزون بالجنة التي لا ينقطع نعيمها، ولا يزول، وإذا لم تكن عاقبة الدار عند الله -تعالى- لهؤلاء الأبرار الذين أقرؤا صادقين لله بالوحدانية، وأذعنوا لجلاله بالعبودية وتقربوا إليه بالاستقامة على شرعه والجهاد في سبيله، وصيانة القلب، والجوارح عن كل ما يسخطه ويباعد عن مرضاته سبحانه و-تعالى- فإذا لم تكن العقبى الحميدة لهؤلاء "والله

(1) سورة المجادلة: آية 21.

(2) سورة الأنبياء: آية 105.

(3) سورة آل عمران: آية 200.

(4) الصالح: التقوى في هدي الكتاب، (348/2) بتصرف.

(5) سورة الأنعام: آية 135.

لا يضيع أجر من أحسن عملاً"... فلمن تكون؟ يقول تعالى: "سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ"⁽¹⁾.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- ما عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: "هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أول من يدخل الجنة من خلق الله الفقراء المهاجرون، الذين تسد بهم الثغور، ويتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره، لا يستطيع لها قضاء"، فيقول الله عز وجل لمن يشاء من ملائكته: أتوهم فحيوهم، فتقول الملائكة، نحن سكان سمائك، وخيرتك من خلقك، أفتأمرنا أن نأتي هؤلاء فنسلم عليهم؟ قال: إنهم كانوا عباداً يعبدونني، لا يشركون بي شيئاً، وتسد بهم الثغور، ويتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره، لا يستطيع لها قضاء: قال: فتأتيهم الملائكة عند ذلك، فيدخلون عليهم من كل باب"⁽²⁾ "سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ"⁽³⁾.

(1) سورة الرعد: آية 22.

(2) أحمد: المسند، برقم (6570)، (131/11-132). قال المحقق شعيب الأرنؤوط إسناده جيد.

(3) سورة الرعد: آية 24.

المبحث الثاني

الآثار المترتبة على التقوى في الدنيا

إن التقوى لها ثمرات عظيمة في الدنيا والآخرة، وهذه الثمرات تظهر على الأفراد، ومن ثم على الجماعة المسلمة التي تسعى لتحكيم شرع الله، والتمكين لدينه.

إن تقوى الله عز وجل تجعل بين العبد، وبين ما يخشاه من ربه، وقاية تقيه، فيعمل بطاعة الله على نور منه يرجو ثواب الله، ويترك معصيته، قال تعالى: "قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى" (1).

وقد رأى بعض الناس أن أثر التقوى إنما يظهر في الحياة الآخرة فقط، ولا يشمل الحياة الدنيا، فمن أطاع الله سبحانه و-تعالى- وانتهى عن معاصيه فسوف يثاب في الآخرة، ومن لم يتق الله، ويتجاوز حدوده في هذه النشأة، فإنه سيعاقب في الآخرة، وعليه فلا فرق في هذه النشأة بين المتقين والفجار، لكن هذه النظرة للتقوى تخالف بشكل واضح ما يعرضه القرآن الكريم، وذلك أن القرآن الكريم يخصص أثر التقوى على الإنسان في النشأة الأخرى، من حيث الثواب والعقاب الآخروي فقط، وإنما وقد عمم أثرها لكلتا النشأتين قال تعالى: "أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ أَجْرَحُوا أَلْسِنَاتٍ أَنْ مَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ" (2)، وقد بينت آيات أخرى في القرآن الكريم آثار التقوى على حياة الإنسان في الدنيا حيث قال تعالى: "فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى" (3). فحياة المتقين في هذه الحياة الدنيا سهلة طيبة لا ضنك فيها، وإلى هذا أشار -تعالى- بقوله: "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْتِىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (4). فحياة المؤمن ليست طيبة في النشأة الآخرة فقط، إنما هي كذلك في هذه النشأة أيضاً.

(1) سورة طه: آية 123.

(2) سورة الجاثية: آية 21.

(3) سورة الليل: آية 5-7.

(4) سورة النحل: آية 97.

ومن الآثار المترتبة على التقوى في الدنيا:

1- إن التقوى سبب لتيسير أمور الإنسان، وعون الله لعبده:

قال تعالى: "فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٦﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِيَسْرَى" (1). "فمن أنفق في سبيل الله، وفي وجوه الخير والإحسان، متقياً بذلك ربه، خائفاً عذابه، طامعاً في ثوابه، (وصدق بالحسنى)، أي: مؤمناً بما للعمل الطيب من قدر، معتقداً أنه العمل الأفضل والأحسن... فمن أخذ طريق الحق، وشد عزمه عليه، وصرف همه نحوه، يسر الله له طريقه، وأعانه على المضي فيه، لأنه طريق الله، ومن كان على طريق الله، لم يحرم عونه وتوفيقه" (2).

فمن بذل (واتقى) أي: محارم الله التي نهى عنها، (وصدق بالحسنى) أي: بالخلف من الله - تعالى - على عطائه... (فسنيسره لليسرى) أي: نرشده لأسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها (3).

يدل قوله تعالى (فسنيسره لليسرى) على أن الله - تعالى - خص المؤمن بهذا التوفيق، وهو أنه جعل الطاعة بالنسبة إليه أرجح من المعصية، ويدل قوله (فسنيسره للعسرى) على أنه خص الكافر بهذا الخذلان وهو أنه جعل المعصية بالنسبة إليه أرجح من الطاعة (4).

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا وملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً" (5).

(1) سورة الليل: آية 5-7.

(2) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، (1593/16). بتصرف يسير.

(3) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج10، (74/20)، بتصرف.

(4) الرازي، التفسير الكبير، مج16، (201/31). بتصرف.

(5) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك، برقم (1010)، ص390.

"وقد يسأل سائل فيقول: لماذا خص الإعطاء بالذكر؟ ... لتحريض المسلمين على الإعطاء، فالإعطاء والتقوى شعار المسلمين مع التصديق بالحسنى"⁽¹⁾.

"إن الذي يعطي، ويتقي، ويصدق بالحسنى يكون قد بذل أقصى ما في وسعه، ليزكي نفسه ويهديها، عندئذ يستحق عون الله وتوفيقه الذي أوجبه سبحانه - على نفسه بإرادته ومشيئته... ومن يسره الله لليسرى فقد وصل ... وعاش في يسر، يفرض اليسر من نفسه على كل ما حوله، وعلى كل من حوله"⁽²⁾.

ومن الآيات التي تدل على أن التقوى سبب لتيسير أمور الإنسان قوله تعالى: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا"⁽³⁾، وقد سبق توضيحها، فكلما ضاق عليه أمر من أمور حياته جعل الله له من أمره الذي ضاق عليه مخرجاً، فلا تتعسر عليه أمورهِ في حياته مكافأة له على تقواه.

يقول سيد قطب -رحمه الله-: "واليسر في الأمر غاية ما يريه الإنسان، وإنها لنعمة كبرى أن يجعل الله الأمور ميسرة لعبده من عباده، فلا عنت ولا مشقة، ولا عسر ولا ضيقة. يأخذ الأمور بيسر في شعوره وتقديره، وينالها بيسر في حركته وعمله ويرضاها بيسر في حصيلتها ونتيجتها، ويعيش من هذا في يسر رخي ندي حتى يلقي الله... إلا إنه الإغراء باليسر وفي قضية الطلاق مقابل اليسر في سائر الحياة"⁽⁴⁾.

2- إن التقوى سبب لحماية الإنسان من ضرر الشيطان:

قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ"⁽⁵⁾، "وكثير منا من يقع تحت شباك، ووسوسة الشيطان دون معرفة ذلك، وقليل من هذا الكثير من يفتن إلى هذه الوسوسة، وصرفها عن نفسه، فلم يقل -عز وجل- بأن المتقين معصومون، ولكن إذا أتى

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج15، (386/30). بتصرف.

(2) قطب: الظلال، (مج6/3922). بتصرف.

(3) سورة الطلاق: آية 4.

(4) قطب: الظلال، (مج6/3602).

(5) سورة الأعراف: آية 201.

إليهم الشيطان اللعين، أحدثت لهم تلك التقوى التي في قلوبهم ذكرى بعظمة الله، وقدرته عليهم، فعادوا مرة أخرى، وندموا على ما وقع منهم من غفلة عن ذكر الله وشكره⁽¹⁾.

إن المتقين إذا ألم بهم لمم من الشيطان من غضب، وغيره، فإن الله -تعالى- تكفل بحمايتهم وحفظهم من ضرر الشيطان.

"إن الذين اتقوا المعاصي إذا لحقهم شيء تفكروا في قدرة الله -عز وجل- وفي إنعامه عليهم، فتركوا المعصية"⁽²⁾، فهذا التذکر لله تتبعه التوبة، والعودة إلى سواء السبيل.

إن المتقين لا سلطان للشيطان عليهم، وإذا أراد الإنسان أن يكون من المتقين فلا بد له أن يتخلص من عبودية الشيطان، حتى يخرج من سلطانه، بأن يكون من عباد الله الذي هم وحدهم تخلصوا من سيطرة الشيطان، وأساليب خداعه يقول -تعالى- في وصف عباده: "يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ" ﴿١٠٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِءَايَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ⁽³⁾.

3- إن التقوى سبب البركات من السماء والأرض:

قال تعالى: "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"⁽⁴⁾، تدعوا الآية الكريمة إلى النظر في بركات التقوى وخيراتها المكنوزة في الأرض، وأعلم أن ما نحن فيه من قلة البركة، ونقص الثمار، وكثرة الآفات والأمراض إنما هي نتيجة حتمية، لضعف وازع التقوى، وكثرة المعاصي، يقول تعالى: "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"⁽⁵⁾. فالرزق الحسن، والخروج من كل ضيق، وعد من الله -تعالى- لعباده المتقين.

(1) السيد: زاد المؤمنين التقوى، (ص64).

(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج4 (313/7).

(3) سورة الزخرف: آية 68-69.

(4) سورة الأعراف: آية 96.

(5) سورة الروم: آية 41.

4- إن التقوى سبب في توفيق العبد في الفصل بين الحق، والباطل، ومعرفة كل منهما، وإطلاق نور البصيرة:

قال تعالى: "يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ تَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ"⁽¹⁾، إن تقوى الله -تعالى- في الأمور كلها تعطي صاحبها نوراً يفرق به بين الحق والباطل، وبين دقائق الشبهات التي لا يعلمهن كثير من الناس.

"إن من اتقى الله بفعل أو امره، وترك زواجه، وفق لمعرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا، وسعادته يوم القيامة، وتكفير ذنوبه، وهو محوها وغفرها سترها عن الناس، وسبباً لنيل ثواب الله الجزيل"⁽²⁾.

عن ابن عباس قال: "فرقانا: نجاة"⁽³⁾، وعن مجاهد قال: مخرجاً في الدنيا والآخرة"⁽⁴⁾. "فإذا اتقى العبد ربه -وذلك باتباع أو امره واجتناب نواهيه- وترك الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات، وشحن قلبه بالنية الخالصة، وجوارحه بالأعمال الصالحة، وتحفظ من شوائب الشرك الخفي، والظاهر بمراعاة غير الله في الأعمال، والركون إلى الدنيا بالعفة عن المال، جعل له بين الحق والباطل فرقاناً، ورزقه فيما يريد من الخير إمكاناً"⁽⁵⁾.

"واعلم أنه -تعالى- لما حذر عن الفتنة بالأموال والأولاد، رغب في التقوى التي توجب ترك الميل، والهوى في محبة الأموال، والأولاد... وتقوى الله تكون بإتقاء الله في جميع الكبائر، ويكون ذلك بثلاثة أمور كما وردت في الآية الكريمة:

أولاً: قوله "يجعل لكم فرقانا"، والمعنى أنه -تعالى- يفرق بينكم، وبين الكفار في أحوال الدنيا، أو في أحوال الآخرة، أما في أحوال الدنيا: فإما أن يعتبر في أحوال القلوب، وهي الأحوال

(1) سورة الأنفال: آية 29.

(2) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (25/4).

(3) المرجع السابق: (25/4).

(4) الماوردي: النكت والعيون، مج2، (311/2).

(5) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج4 (354-355).

الباطنة، وفي الأحوال الظاهرة، أما في أحوال القلوب فأمر أحدها: أنه -تعالى- يخص المؤمنين بالهداية والمعرفة، وثانيها: يخص قلوبهم، وصدورهم بالانشراح، كما قال -تعالى- "أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ" (1). وثالثها: يزيل الغل، والحقد، والحسد عن قلوبهم، ويزيل المكر، والخداع عن صدورهم...

وأما في الأحوال الظاهرة، فإن الله تعالى يخص المسلمين بالعلو والفتح والنصر والظفر... وأما في أحوال الآخرة فالثواب، والمنافع الدائمة، والتعظيم من الله، والملائكة...

ثانياً: قوله "يكفر عنكم سيئاتكم" إن حملنا قوله (إن تتقوا الله) على الإتياء من الكفر كان المراد... جميع السيئات التي وجدت، قبل الكفر، وإن حملناه على الإتياء عن الكبائر، كان المراد من هذا تكفير الصغائر.

ثالثاً: قوله "يغفر لكم" إن المراد من تكفير السيئات سترها في الدنيا، ومن المغفرة إزالتها في القيامة لئلا يلزم التكرار" (2).

نعم إنه الفرقان الذي يعرف به الإنسان الحق فلا يلتبس عليه، والباطل فلا يجزع به، وعد به من يتقي، وهذه الآية الكريمة تبين بعض ثواب المتقين في الدنيا، وهو الفرقان، أي: البصيرة التي تجعل المتقي يفرق بين الحق والباطل، وهذا نوع من التوفيق العلمي الذي يمنح الله فيه المتقين نوراً خاصاً لبصائرهم، وقلوبهم، وأذهانهم.

"ويرى بعض المفسرين الذين أخذوا بطريقة تفسير القرآن بالقرآن أن هناك نصوصاً أخرى تبين أن من ثمار التقوى إطلاق نور البصيرة كما ورد ذلك في قوله تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (3)، وهو أن من أتقى الله، فتح الله له أبواب المعرفة، ونور بصيرته للجولان في آفاق العلم....

(1) سورة الزمر: آية 22.

(2) الرازي: التفسير الكبير، مج 8 (15/158-159). بتصرف.

(3) سورة الحديد: آية 28.

فالخطاب للذين آمنوا من أهل الكتاب، "يؤتكم كفلين من رحمته" أي يؤتكم نصيبين على إيمانكم الأول، ثم على إيمانكم بمحمد -صلى الله عليه وسلم-، وبالقرآن، والسورة قد تحدثت في سوابقها عن النور الذي يكون للمؤمنين يوم القيامة، وأن المنافقين والمنافقات محرومون من هذا النور⁽¹⁾.

إن هذا المغنم الندي بالفضل واقع لا محالة، سواء كان المخاطبون في الآية (يا أيها الذين آمنوا) أهل الكتاب الذين آمنوا إيماناً صادقاً بسيدنا عيسى -عليه السلام-، أو كانوا مؤمنين أمتنا أمة الشهادة على الناس، وهذا طلب جازم من الله -تعالى- لعباده المؤمنين المتقين أن يتحلوا بهذه المنقبة العظيمة، حيث جاء الطلب من العلي الكبير سبحانه، جاء جوابه بشارة قوامها هذا العطاء الندي الثري بصنوفه الثلاثة التي أولها "يؤتكم كفلين من رحمته"، وثانيهما "ويجعل لكم نوراً تخشون به" وثالثهما "ويغفر لكم والله غفور رحيم"، لقد جاءت هذه البشارة، لتحمل جزاءً في الدنيا وجزاءً في الآخرة⁽²⁾.

لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجورهم مرتين، أنزل الله هذه الآية في حق هذه الأمة أي: ضعفين وزادهم "ويجعل لكم نوراً تمشون به" يعني هدىً يُتبصر به من العمى والجهالة "يغفر لكم" ففضلهم بالنور والمغفرة. ويضيف الإمام الطبري -رحمه الله- "يحصنكم هذا الكفل من العذاب كما يحصن الكفل الراكب من السقوط"⁽³⁾.

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- ما قال: "ويجعل لكم نوراً تمشون به" قال: الفرقان واتباعهم النبي -صلى الله عليه وسلم-⁽⁴⁾، وروي عنه أيضاً أن المراد بالنور القرآن⁽⁵⁾.

وقال مجاهد: إن المقصود بالنور في هذا الموضع: الهدى⁽⁶⁾.

(1) الميداني: قواعد التدبير، (ص72-73)، بتصرف يسير.

(2) الصالح: التقوى في هدي الكتاب، (112/3-113)، بتصرف.

(3) الطبري: جامع البيان، (مج 7908/9).

(4) الماوردي: النكت والعيون، مج5 (486/5).

(5) المرجع السابق، مج5، (486/5).

(6) المرجع السابق، مج5، (486/5).

وأولى الأقوال بالصواب هو ما ذهب إليه الإمام الطبري -رحمه الله- أن يقال: "إن الله -تعالى- ذكره وعد هؤلاء القوم أن يجعل لهم نوراً يمشون به، والقرآن، مع اتباع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نور لمن آمن بهما وصدقهما، وهدى لأن من آمن بذلك فقد اهتدى"⁽¹⁾.

والحق أنه ليس هناك ما يمنع أن يكون هذا النور في الدنيا والآخرة، وقدرة الله صالحة لأن يجعله سبحانه لكل حاله بحسبها.

من الملاحظ في الآيات الكريمة السابقة أن الله -تعالى- يفتح على الإنسان من العلوم ما لا يفتحها لغيره، فإن التقوى يحصل بها زيادة الهدى، وزيادة العلم، وزيادة الحفظ، ولا شك أن الإنسان كلما ازداد علماً، زاد معرفة وازداد فرقاناً بين الحق، والباطل وبين الضار، والنافع، وذلك يدخل فيه ما يفتح الله على الإنسان من الفهم، فإن التقوى سبب لقوة الفهم، ويدخل كذلك فيهما الفراسة، فإن الله يعطي المتقي فراسة، يميز بها بين الناس بمجرد ما يرى الإنسان يعرف أنه كاذب، أو صادق، أو أنه بر، أو فاجر، حتى إنه ربما يحكم على الشخص، وهو لم يعاشره، ولم يعرف عنه شيئاً بسبب ما أعطاه الله من الفراسة.

5- إن التقوى سبب للخروج من المأزق، وحصول الرزق، والسعة للمتقين من حيث لا يحتسب:

قال تعالى: "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢٥﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا"⁽²⁾.

كلما ضاق على الإنسان أمر من أمور حياته، جعل الله له من أمره الذي ضاق عليه مخرجاً، ويرزقه الله دوماً من جهات لم تكن داخلة في تقديره وحسابه، "وينجو من ظلمات يوم القيامة، ويرزقه الجنة، ويجعل له مخرجاً من الشدة، ويرزقه من حيث لا يحتسب، ويوسع عليه من

(1) الطبري: جامع البيان، (مج9/7912).

(2) سورة الطلاق: آية 2-3.

الرزق، لأن الله -تعالى- هو الذي يرزقه ويمنحه ويعطيه، لأنه هو الرزاق، وهو المعطي، وهو المانع⁽¹⁾، كما قال تعالى: "هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ"⁽²⁾.

"ومن يطع الله فيما يأمره وينهاه (يجعل له مخرجاً) من الشدة إلى الرخاء، ومن الحرام إلى الحلال، ومن النار إلى الجنة، يعني: من صبر على الضيق، واتقى الحرام، جعل الله له مخرجاً من الضيق"⁽³⁾، "وهذه الآية عامة في كل من يتق الله تعالى... ويرزقه من حيث لا يرجو، ولا يؤمل، ولا يخطر له على بال"⁽⁴⁾.

6- إن التقوى سبب لنيل الولاية فأولياء الله هم المتقون:

قال تعالى: "وَمَا لَهُمْ آلًا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ"⁽⁵⁾، والولاية درجة عالية يتنافس المؤمنون للوصول إليها.

بينت الآية الكريمة أن أولياء الله هم المسلمون المتقون من الشرك الذين لا يعبدون غير الله -تعالى-⁽⁶⁾، "وقد صرح الله -تبارك وتعالى- في هذه الآية بنفي ولاية الكفار على المسجد الحرام، وأثبتها لخصوص المتقين"⁽⁷⁾.

"إن الله -تعالى- لا يتولى إلا المتقين، الذين جعلوا لله ولاءهم، فأمنوا به وتعبدوا له، استقاموا على شريعته... فاستحقوا أن يكونوا قائمين على خدمة المسجد الحرام، وحراسته، ولا يكون ذلك إلا لأهل الإيمان، والتقوى"⁽⁸⁾.

(1) السمرقندي: بحر العلوم، (374/3-375).

(2) سورة فاطر: آية 4.

(3) الواحدي: الوجيز، (مج2/1107).

(4) الجزائري: أيسر التفاسير، (375/5). بتصرف يسير.

(5) سورة الأنفال: آية 34.

(6) الألوسي: روح المعاني، مج6، (293/9). بتصرف.

(7) الشنقيطي: أضواء البيان، (53/2).

(8) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، (604/5) بتصرف يسير.

لقد وعد الله -تبارك وتعالى- أوليائه المتقين بالنصر، والتمكين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: "اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (1).

7- إن التقوى سبب لعدم الخوف من ضرر، وكيد الكافرين، وسبب للانتصار عليهم:

قال تعالى: "وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا" (2)، إذا صبر المؤمنون على طاعة الله -تعالى- فإنه -تعالى-، يحفظهم من كيد الأعداء، ولن يضرهم، لأنهم في حفظ الله ورعايته، وفي ذلك تسلية للمؤمنين وتقوية لنفوسهم حتى يصبروا (3).

"ولقد نهى الله -تعالى- عباده المتقين أن يتخذوا بطانة ممن دونهم من خلطائهم وعشرائهم وحلفائهم، وعلل بما علل به من بيان بغضائهم، وكيدهم حسن أن يذكروا بالصبر على هذا التكليف الشاق عليهم، وابتقاء ما يجب عليهم اتقاؤه لأجل السلامة من عاقبة كيدهم.. وهو أمر باتقاء شرهم، والصبر على عداوتهم دون مقابلة كيدهم، وشرهم بمثله... لأن القرآن لا يأمر إلا بالمحبة، والإحسان" (4).

إن كل من صبر على أداء أوامر الله -تعالى-، واتفق كل ما نهى الله عنه في حفظ الله، فلا يضره كيد الكافرين، ولا حيل المحتالين.

8- إن التقوى سبب لنزول المدد من السماء عند الشدائد،

"إن من نعمه سبحانه وتعالى- على المؤمنين أنه أمدهم بالملائكة في غزوة بدر، قال تعالى: "وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (5) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ ءَأَنفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ" (6) بَلَىٰ إِنَّ تَصَبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا

(1) سورة البقرة: آية 257.

(2) سورة آل عمران: آية 120.

(3) انظر ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج3، (68/4). بتصرف.

(4) رضا: تفسير المنار، (92/4-93). بتصرف يسير.

يُمَدِّدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ⁽¹⁾، فقد كان عدد المسلمين ثلاثمائة، وبضعة عشر رجلاً، بينما كان عدوهم من كفار قريش زهاء ألف رجل، ومعهم سلاح كثير، وعتاد وفير، (فاتقوا الله) في هذا اليوم بالثبات مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وطاعته، وشكروا الله -تعالى- لأن شكر الله -تعالى- يكون بطاعته وتقواه⁽²⁾. والإمداد بالملائكة يصح أن يكون من قبيل الإمداد بالمال الذي يزيد في قوة القوم، وأن يكون من الإمداد بالأشخاص الذين ينتفع بهم، ولو نفعا معنوياً، وذلك أن الملائكة أرواح تلبس النفوس، فتمدها بالإلهامات الصالحة التي تثبتها، وتقوي عزماتها⁽³⁾.

وبنزول المدد تكون البشرية، وتطمئن القلوب، ويحصل النصر من العزيز الحكيم، وهذا لا يكون إلا للمتقين، قال تعالى: "وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ"⁽⁴⁾.

9- إن التقوى سبب لعدم العدوان، وإيذاء عباد الله:

لقد ختم الله سبحانه و-تعالى- الآية الكريمة بتقرير المبادئ الإنسانية الرفيعة في تعامل المسلمين مع أعدائهم، أو فيما بينهم، وهذا الخلق الكريم كما يقول سيد قطب -رحمه الله- "إنها قمة في ضبط النفس، وفي سماحة القلب، ولكنها هي القمة التي لا بد أن ترقى إليها الأمة المكلفة من ربها، أن تقوم على البشرية لتهدئها، وترتفع بها إلى هذا الأفق الكريم الوضيء"⁽⁵⁾، ومن هذه المبادئ، والأخلاق الكريمة قوله تعالى: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّونَ"⁽⁶⁾، إنها دعوة ربانية موجهة إلى جميع المسلمين في مشارق الأرض، ومغاربها، ليتعاونوا فيما بينهم على القيام بكل ما أمر الله سبحانه واجتنب كل ما نهى الله -تعالى- عنه، والتعاون في جميع جوانب الحياة الإنسانية، فقد حث الله -تعالى- عباده المتقين بالتعاون على ما ينفعهم في

(1) سورة آل عمران: آية 123-125.

(2) طهراز: التوراة والإنجيل والقرآن في سورة آل عمران، دار القلم، دمشق، ط1، 1410هـ-1990م، ص119.

(3) رضا: تفسير المنار، (4/112).

(4) سورة آل عمران: آية 126.

(5) قطب: الظلال، مج2، (ص839).

(6) سورة المائدة: آية 2.

دينهم، وديناهم، ونهاهم عن التعاون على الإثم، والعدوان، وأمرهم بالتقوى التي يدفعون بها
المفاسد، والمآثم والمضار عن أنفسهم، ولقد أمر الله -تعالى- عباده المؤمنين، بالتعاون على
العفو والانتصار، والابتعاد عن الانتقام⁽¹⁾.

ومعنى الآية الكريمة: ليعين بعضكم بعضا على البر والتقوى، ولا يعن بعضكم بعضا على
معصية الله، والتعدي على الناس بما فيه ظلم⁽²⁾.

10- إن التقوى سبب، لتعظيم شعائر الله:

قال تعالى: "وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ"⁽³⁾، "إن تعظيم شعائر الله من أفعال ذوي
تقوى القلوب... وإنما ذكرت القلوب، لأنها مراكز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها
في سائر الأعضاء"⁽⁴⁾، "وقد أضاف التقوى إلى القلوب، لأن حقيقة التقوى في القلب... وفيه
إشارة لطيفة، أن أصل شراء البدن بما يحمل على فعل ما لا بد منه، فلا يدل على الإخلاص، فإذا
عظمها مع حصول الإجزاء بما دونه، فلا يظهر له عمل إلا تعظيم الشرع، وهو من تقوى
القلوب والله أعلم⁽⁵⁾.

ومعنى (ومن يعظم شعائر الله)، "وهي أعلام دينه من سائر المناسك، وبخاصة البدن التي تهدي
للحرم، وتعظيمها باستحسانها، واستسمانها ناشئ عن تقوى القلوب، فمن عظمها طاعة الله،
وتقرباً إليه دل ذلك على تقوى قلبه لربه"⁽⁶⁾.

يجب على المؤمن أن يعظم شعائر الله -تعالى- فإن ذلك يدل على تقوى قلوب أصحابها.

(1) الزمخشري: الكشاف، (591/1). بتصرف.

(2) انظر: الأشقر، محمد سليمان عبد الله: زبدة التفسير من فتح القدير، مؤسسة الرسالة، دار المؤيد للنشر والتوزيع، ط2،
1416هـ - 1996م، (ص135)، بتصرف. سأسير إليه الأشقر: زبدة التفسير.

(3) سورة الحج: آية 32.

(4) الزمخشري: الكشاف، (153/3). بتصرف.

(5) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج6، (53/12).

(6) الجزائري: أيسر التفاسير، (472/3).

11- إنها سبب لصلاح الأعمال وقبولها، ومغفرة الذنوب:

قال تعالى: "يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٥٦﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا" (1).

وبذلك يكون معنى الآية الكريمة "يا أيها الذين صدقوا الله" قولوا قولاً حقاً قوياً لا عوج فيه ولا انحراف تنالوا إصلاح أعمالكم، ومغفرة ذنوبكم.

إن الالتزام بالسداد في القول له أثر عظيم في حياة الفرد، والجماعة، حيث ينظم به السلوك، ومراقبة الله عز وجل في كل شأن من شؤون القول، والفعل ما لا يصح تجاهله، أو التغاضي عنه ويشمل إتقاء الله بالأقوال الواجبة، ومنها الصدق بكلمة الحق، كما يشمل الأقوال الصالحة النافعة على وجه العموم.

قال صاحب الكشاف: "قولا سديداً" قاصداً إلى الحق والسداد: القصد إلى الحق، والقول بالعدل" (2).

12- إن التقوى سبب لغض الصوت عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وسواء ذلك في حياته، أو بعد وفاته في قبره:

قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ عَظِيمٌ" (3)، "إن هؤلاء الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هم الذين اختبر الله قلوبهم بامتحانه إياها، فاصطفاها، وأخلصها (للتقوى)، يعني لاتقائه بأداء طاعته، واجتناب معاصيه، كما يمتحن الذهب بالنار، فيخلص جيدها، ويبطل خبيثها" (4).

(1) سورة الأحزاب: آية 70-71.

(2) الزمخشري: الكشاف، (3/546).

(3) سورة الحجرات: آية 3.

(4) الطبري: جامع البيان، (مج9/7525).

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله-: "قال العلماء: يكره رفع الصوت عند قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- كما كان يكره في حياته -عليه الصلاة والسلام-، لأنه محترم حياً، وفي قبره -صلى الله عليه وسلم- دائماً... ثم ندب الله -تعالى- إلى خفض الصوت عنده، وحث على ذلك، وأرشد إليه، ورجب فيه"⁽¹⁾.

قال ابن عاشور -رحمه الله- "ويجوز أن يجعل الامتحان كناية على تمكن التقوى من قلوبهم، وثباتهم عليها بحيث لا يوجدون في حال ما غير متقين"⁽²⁾.

وقد اختلف العلماء في تفسير قوله "امتحن قلوبهم طهرهم من كل قبيح وجعل في قلوبهم الخوف من الله والتقوى" فقال ابن عباس -رضي الله عنهما- "أخلصها (للتقوى) من المعصية"⁽³⁾.

فإن تعظيم أوامر الله من تقوى الله -تعالى- فكذلك تعظيم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، من تقواه... لأن الله -تعالى- يعلم أن قلوبهم سالحة أي كائنة للتقوى⁽⁴⁾، وقد جعل الله جزاء المغفرة الأجر العظيم، وذلك ما تصبوا إليه نفوس المؤمنين، ويتعشقونه من قريب، أو من بعيد، ويتخذون كل الأسباب لنيل مثل هذا الجزاء، وهذا الأجر العظيم، وحسبه أن الله -تعالى- وصفه بالعظيم وجعله من نصيب أولئك الذين يغضون أصواتهم، ويتكلمون بأدب، ووقار مع الله ورسوله، ثم بعد ذلك مع المؤمنين ومع الناس أجمعين⁽⁵⁾.

(1) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (246/7). بتصرف يسير.

(2) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج12، (223/26).

(3) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج8، (280/16). بتصرف.

(4) الرازي: التفسير الكبير، مج14، (116/28). بتصرف.

(5) الصواف، محمد محمود: نظرات في سورة الحجرات، مؤسسة الرسالة، ط3، 1400هـ - 1980م، (ص50-55)

بتصرف.

وفي وصية لقمان لأبنيه وهو يعظه "وَأَقْصِدْ فِي مَشْيَاكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ" (1).

إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله قوم أخلص الله قلوبهم، وصفاها، وأعدّها للتقوى، وقد عرف الله قلوبهم بالتجربة والاختبار، وهو العليم بكل شيء، فظهرت أنها قلوب معدة للتقوى، متهيأة لكل خير، ولكل عمل صالح، ومقبول، فالله -تعالى- يبتي المؤمنين بالمحن، ليزكي نفوسهم ويطهرها، وهل يزكي الذهب إلا بالنار، وكذلك التقوى للمؤمن لا تزكى إلا بالمحن والشدائد، فإذا امتحن الله -تعالى- قلب المؤمن للتقوى أو للجهاد أو للعبادة أو للانفاق فصبر على الامتحان ونجح فيه، فقد كفل الله عز وجل له المغفرة، والأجر العظيم، وكتبه في عليين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين.

13- إن التقوى سبب، لنيل صحبة الله عز وجل:

وهذه المحبة تكون في الدنيا، كما تكون في الآخرة، كما قال الله عز وجل في الحديث القدسي الشريف: "من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل، حتى أحببته، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته" (2). قال تعالى: "بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ" (3) "إن الله -تعالى- يحب المتقين الموصوفين بالتقوى، فالله -تعالى- يحب الذين يتقونه، فيخافون عقابه، ويحذرون عذابه، فيجتنبون ما نهاهم عنه، وحرمه عليهم، ويطيعونه فيما أمرهم به" (4).

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء: فيقول

(1) سورة لقمان: آية 19.

(2) البخاري: صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، برقم (6502)، ص 1127.

(3) سورة آل عمران: آية 76.

(4) الطبري: جامع البيان، (مج3/1840).

إن الله قد يحب فلاناً فأحبهه فيحبه أهل السماء، قال: ثم يوضع له القبول في الأرض، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً، فأبغضه قال: فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً، فأبغضوه قال: فيبغضونه، ثم توضع له البغضاء في الأرض" (1).

14- التقوى سبب، لنيل العلم، وتحصيله

"لقد وعد الله -تبارك وتعالى- من اتقاه بأن علمه، "أي جعل في قلبه نوراً يفهم به ما يلقي إليه" (2). قال تعالى: "وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" (3).

إن الإسلام أخرج الناس من الظلمات إلى النور بالعلم وبالشرعية، "وأمر بالتقوى، لأنها ملاك الخير، وبها يكون ترك الفسوق... وهذا إيماء إلى أن التقوى سبب إفاضة العلوم" (4)، فتقوى الله -تبارك وتعالى- سبب في الحصول على أعلى درجات العلم الذي جعله الله -تعالى- فريضة على كل مسلم، ومسلمة، ورفع من مكانة أصحابه فقال جل شأنه: "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ" (5)، وقال -تعالى- أيضاً: "يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ" (6)، فالتقوى: تفتح قلوب المتقين للمعرفة، وتهيئ أرواحهم للتعلم ليقوموا بحق الطاعة.

15- إن التقوى سبب قوي تمنع صاحبها من الزيغ، والضلال بعد أن من الله عليه بالهداية:

قال تعالى: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (7).

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده، برقم (2637). (ص1057).

(2) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج2، (368/3).

(3) سورة البقرة: آية 282.

(4) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج3، (119/3). بتصرف يسير.

(5) سورة الزمر: آية 9.

(6) سورة المجادلة: آية 11.

(7) سورة الأنعام: آية 153.

أوصى الله -تعالى- عباده المؤمنين بالكتاب لعلمهم يتقون المعاصي، والضلالات⁽¹⁾، أي: ذلكم الأمر باتباع صراط الحق المستقيم والنهي عن سبل الضلالات، والأباطيل المعوجة، وهو جامع الوصايا النافعة البعيد المرمى، الموصل إلى ما لا يحط به الوصف من السعادة العظمى، وصاكم الله به ليعدكم ويهيئكم لما يرجى لكل من اتبعه من إتقاء كل ما يشقيه، ويرديه في دنياه، وآخرته⁽²⁾.

عن ابن مسعود -رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خطأ ثم خط عن يمينه، وعن شماله خطوطاً، ثم قال: هذا سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه⁽³⁾، ثم تلا هذه الآية "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"⁽⁴⁾.

16- التقوى سبب لنيل رحمة الله، وهذه الرحمة تكون من الدنيا، كما تكون من الآخرة:

قال تعالى: "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَائِيَّتِنَا يُؤْمِنُونَ"⁽⁵⁾.

"إن رحمة الله لا نهاية لها، أي: من دخل فيها لم تعجز عنه"⁽⁶⁾، لقد كتب الله -تبارك وتعالى- رحمته للمتقين من عباده الذين يتقون عن الكفر، والمعاصي، والآثام، والله -تعالى- فرضها لهم، ووعدهم بها ولا يخلف الله وعده، يقول الرسول -عليه الصلاة والسلام- "إن لله مائة

(1) الرازي: التفسير الكبير، مج7، (4/14) انظر: الطبري: جامع البيان، (مج4/3401).

(2) رضا: تفسير المنار، (197/8).

(3) الحاكم النيسابوري: المستدرک على الصحيحين، برقم (3241) (1213/4) قال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(4) سورة الأنعام: آية 153.

(5) سورة الأعراف: آية 156.

(6) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج4، (266/7).

رحمة، فمنها رحمة بها يتراحم الخلق بينهم، وتسعة وتسعون ليوم القيامة⁽¹⁾. فالله -تعالى- خص الرحمة لعباده المتقين إن سلكوا طريق التقوى، والإيمان.

17- التقوى سبب؛ لنيل معية الله الخاصة، فمعية الله لعباده تقسم إلى قسمين:

القسم الأول: معية عامة: وهي شاملة لجميع العباد بسمعه، وبصره، وعلمه، فالله سبحانه سميع، وبصير، وعليم بأحوال عباده، قال تعالى: "وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ"⁽²⁾. وقال تعالى: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آذَنُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ"⁽³⁾.

القسم الثاني: المعية الخاصة: التي تشمل النصرة، والتأييد، والمعونة، كما قال تعالى: "قَالَ لَا تَخَافْ إِنَّنِي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى"⁽⁴⁾. ولا شك أن معية الله الخاصة تكون للمتقين من عباده، فمن أراد أن يكون الله معه، فليكن من المتقين، لأن نيل معية الله سبحانه، هدف تصبوا إليه النفوس المؤمنة بالله سبحانه، قال تعالى: "وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ"⁽⁵⁾.

قال الإمام الطبري -رحمه الله- "إن الله يحب المتقين الذين يتقونه بأداء فرائضه، واجتناب محارمه"⁽⁶⁾، وقد أمر الله -تعالى- بطاعته، وتقواه، وأخبر بأنه مع الذين اتقوا بالنصر، والتأييد في الدنيا، والآخرة⁽⁷⁾.

(1) مسلم: صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله -تعالى- برقم (2753)، ص 1101.

(2) سورة الحديد: آية 4.

(3) سورة المجادلة: آية 7.

(4) سورة طه: آية 46.

(5) سورة البقرة: آية 194.

(6) الطبري: جامع البيان، (مج2/973).

(7) أحمد شاكر: عمدة التفسير، (213/1). بتصرف.

"إن المتقي: هو صاحب الحق، وبقاؤه هو: الأصلح، والعاقبة له في كل ما ينازعه به الباطل، لأن من أصول التقوى، إتياء جميع أسباب الفشل، والخذلان"⁽¹⁾. مما سبق يتبين لنا أن الله - تعالى - تكفل بإعانة المتقين بالنصر، والوقاية، والعناية، والتأييد، وهي خاصة بهم دون غيرهم.

18- التقوى سبب؛ لحصول البشرى في الحياة الدنيا، سواء بالرؤيا الصالحة، أو بمحبة الناس له، والثناء عليه:

قال تعالى: "الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٣٦﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ"⁽²⁾. عن أبي هريرة رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو ترى له، جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة"⁽³⁾.

"وتشير الآية إلى تولية الله - تعالى - للمتقين بالكرامة... والمعنى أنهم يبشرون بخيرات قبل حصولها، في الدنيا: بما يتكرر من البشارات الواردة في كلام الله - تعالى -، وكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم -، وفي الآخرة بما يتلقونه من الملائكة، وما يسمعون من أمر الله بهم إلى النعيم المقيم... ومن البشرى الوعد بأن لهم عاقبة النصر على الأعداء، وتمكينهم من السلطان في الدنيا، وأن لهم النعيم الخالد في الآخرة"⁽⁴⁾.

وخلاصة الأمر: أن التقوى سبب للأجر العظيم، والبشرى الحسنة في الدنيا، والآخرة، كما قال تعالى: "وَإِنْ تَوَّابُونَ وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ"⁽⁵⁾.

19- إن التقوى سبب؛ لحسن الخلق:

ومنها عدم خضوع النساء في القول، حتى لا يطمع فيهن الذي في قلبه مرض قال تعالى: "يٰۤاَيُّهَا النِّبِيُّ لَسْتَنْ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتِنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا"

(1) رضا: تفسير المنار، (213/2).

(2) سورة يونس: آية 63-64.

(3) أحمد: المسند، برقم (9656)، (410/15). قال المحقق شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا إسناد حسن.

(4) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج6، (219/11). بتصرف.

(5) سورة آل عمران: آية 179.

مَعْرُوفًا⁽¹⁾، إن الخطاب في هذه الآية الكريمة لنساء النبي -صلى الله عليه وسلم- لستن كأحد من نساء هذه الأمة إن اتقین الله، فأطعته، فيما أمرکن، ونهاکن⁽²⁾.

"هذه آداب أمر الله بها نساء النبي -عليه الصلاة والسلام-، ونساء الأمة تبع لهن في ذلك، فقال مخاطباً لنساء النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنهن إن اتقین الله -تعالى- كما أمرهن، فإنه لا يشبههن أحد من النساء، ولا يلحقهن في الفضيلة، والمنزلة"⁽³⁾.

"بين الله -تعالى- إن الفضيلة إنما تتم لهن بشرط التقوى، لما منحهن الله من صحبة الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وعظيم المحل منه، ونزول القرآن في حقهن"⁽⁴⁾.

إن الخضوع في القول هو سبب لطمع أصحاب القلوب المريضة، فالمرأة التقية النقية لا تخضع بالقول، وهكذا كان حال زوجات الرسول -عليه الصلاة والسلام- حيث دلت الآية الكريمة على تفضيل زوجات الرسول على سائر نساء الأمة.

20- التقوى سبب؛ لعدم الجور في الوصية،

قال تعالى: "كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ"⁽⁵⁾.

قال الإمام الرازي -رحمه الله- في قوله -تعالى- "حقاً للمتقين" وجهان: "زيادة في توكيد وجوبه من وجهان:

الأول: إن المراد بقوله (حقاً على المتقين) أنه لازم لمن أثار التقوى، وتحراه وجعله طريقة له، ومذهباً، فيدخل الكل فيه.

(1) سورة الأحزاب: آية 32.

(2) الطبري: جامع البيان، (مج8/6655).

(3) أحمد شاكر: عمدة التفسير، (41/3).

(4) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج7، (161/14). بتصرف يسير.

(5) سورة البقرة: آية 180.

الثاني إن هذه الآية تقتضي وجوب هذا المعنى على المتقين، والإجماع دل على أن الواجبات والتكاليف عامة في حق المتقين وغيرهم، فهذا الطريق يدخل الكل تحت هذا التكليف⁽¹⁾.

وأما الإمام القرطبي فقد قال في قوله "حقاً على المتقين": ثابتاً ثبوت نظر وتحصين، لا ثبوت فرض ووجوب، بدليل قوله "حقاً على المتقين"، وهذا يدل على كونه ندباً، لأنه لو كان فرضاً، لكان على جميع المسلمين....⁽²⁾.

فالوصية حقاً للمتقين المطيعين لكتاب الله، والمحافظين على سنة رسول الله -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم-، فمن التقوى أن يوصي الإنسان المسلم، لقوله -عليه الصلاة والسلام-: "ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه، يبني ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده"⁽³⁾.

21- التقوى سبب؛ في إعطاء المطلقة متعتها الواجبة لها:

قال تعالى: "وَلَمَّا طَلَّقْتَ مَتَعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ"⁽⁴⁾. وقد خص الله -تعالى- المتقين بالذكر، وإن كان عاماً - تشريراً لهم⁽⁵⁾.

22- التقوى سبب في عدم ضياع الأجر في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: "إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ"⁽⁶⁾. إن سيدنا يوسف -عليه السلام- ضرب لنا مثلاً رائعاً في الصبح الجميل، والعفو عند المقدرة، حيث سامح إخوته، ودعى لهم بالرحمة والمغفرة على الرغم أنهم أسأؤوا إليه، وأخطأوا في حقه، لأنه من يتق المعاصي، ويصبر على أذى الناس، فإن الله -تعالى- لا يضره.

(1) الرازي: التفسير الكبير، مج3، (67/5).

(2) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج1 (249/2).

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث، برقم (1627). ص667.

(4) سورة البقرة: آية 241.

(5) الماوردي: النكت والعيون، مج1 (311/1).

(6) سورة يوسف: آية 90.

وتدل الآية الكريمة على اعتدال سيدنا يوسف -عليه السلام- في جوابه لإخوته فلم يقل: أنا أهل التقوى، والإحسان، وأنتم أهل العداة والحرب والانتقام، إنما قال إن الله -تعالى- لا يضيع أجر المحسنين.

23- التقوى سبب لحصول الهداية، والانتفاع بالقرآن الكريم:

قال تعالى: "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ" (1). وقليل ممن يقرأ كتاب الله، وينتفع به إلا المتقين. عن ابن عباس: أنه قال "هدى للمتقين" أي نوراً للمتقين وأتباعهم (2). قال القرطبي: "الهدى هُديان:

الأول: هدى الدلالة، وهو الذي تقدر عليه الرسل وأتباعهم، قال تعالى: "وَأَنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (3). فأثبت لهم الهدى الذي معناه الدلالة والدعوة والتنبيه.

والثاني: التأييد، والتوفيق، وينفرد به الله عز وجل، قال تعالى: "إِنَّكَ لَا تَهْدَى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدَى مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" (4). والهدى هنا يجيء بمعنى خلق الإيمان في القلب... وهذا لا يقدر على خلقه في قلوب العباد إلا الله، ومنه قوله تعالى: "أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (5)،... وقد خص الله -تعالى- المتقين بالهداية، وأن كان هدى للخلق أجمعين، تشریفاً لهم (6).

من خلال ما سبق يتبين لنا أن التقوى تقود الإنسان إلى طرق الهداية؛ تشریفاً له وإجلالاً له، وبياناً لفضله.

(1) سورة البقرة: آية 2.

(2) ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم، برقم (58)، (34/1).

(3) سورة الشورى: آية 52.

(4) سورة القصص: آية 56.

(5) سورة البقرة: آية 5.

(6) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مج 1 (156/1). بتصرف.

24- التقوى سبب؛ للعدل مع القريب، والبعيد، والعدو، والصديق:

قال تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا قَوْمِينَ ۚ لِلّٰهِ شُهَدَاءٌ بِالْقِسْطِ ۗ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلٰٓى الْآءَاتِدِلُوٓا۟ ءَعْدِلُوٓا۟ هُوَ اَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى ۗ وَاتَّقُوا اللّٰهَ ۗ اِنَّ اللّٰهَ خَبِيْرٌۢ بِمَا تَعْمَلُوْنَ" (1).

أمر الله -تبارك وتعالى- بالعدل في أكثر من آية من آيات كتابه العزيز، وحث على العدل في الشهادة على الخصوم، وفي المنازعات مع الأعداء دون تحيز، أو مجاملة للنفس، أو القرابة، وجعل العادلين يفوزون بمظلة من الرضوان الإلهي، والراحة المطلقة الشاملة، والشعور بالنجاة، والإطمئنان⁽²⁾، فإذا كان سبب العدل مع الآخرين هو تقوى الله -تعالى- فإن ذلك يكون سبباً لِنجاة الإنسان في الدنيا والآخرة، وقد كرر الله -تعالى- كلمة التقوى في الآية الكريمة تأكيداً على أهميتها ووجوب العمل بها لتكون سبباً للعدل مع القريب والبعيد والعدو والصديق.

(1) سورة المائدة: آية 8.

(2) الزحيلي: أخلاق المسلم وعلاقته بالمجتمع، (46-47). بتصريف.

المبحث الثالث

الآثار المترتبة على التقوى في الآخرة

إن الكافر ليس له في الآخرة من نصيب، وأما المتقون فقد جعل الله لهم نصيباً في الدنيا، والآخرة، قال تعالى: "وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ"⁽¹⁾، إنها خاصة بالمتقين لا يشاركهم فيها غيرهم، حيث أعد الله -تعالى- الجنة لمن اتقاه، وخافه، وفي ذلك دعوة لنا إلى السير في هذا السبيل، والصبر على المتاعب، حتى نلقى ما يلقاه الصالحون، المتقون، الذين راقبوا الله في أعمالهم سرّاً، وعلانية، ولم يتركوا هذا السبيل حتى يلاقوا ربهم، وهو راض عنهم، ولا يرتاب منصف في أن التقوى عندما تصبح سجية للمؤمن تثمر من النتائج الطيبة على صعيد الفرد، والمجتمع في الدنيا، والآخرة، ومن الآثار التي تترتب على التقوى في الآخرة ما يلي:

1. إن التقوى سبب؛ للإكرام عند الله عز وجل:

قال تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"⁽²⁾. لقد أكرم الله عز وجل هذه الأمة بالتقوى، فكرم المؤمنين لتقواهم، لأن المتقين يجعلون التقوى موضع اهتمامهم علماً، وعملاً، وسلوكاً، مخلصين في ذلك لله عز وجل، وهذا له أثر في تنظيف المجتمع من الشوائب، والابتعاد عن كل ما يعكر صفو المسلم، عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: "كرم المؤمن تقواه، ودينه حسبه، ومروءته خلقه، والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث شاء، فالجبان يفر عن أبيه وأمه، والجريء يقا تل عما لا يؤوب إلى رحله، والقتل حتف من الحتوف، والشهيد من احتسب نفسه على الله"⁽³⁾.

(1) سورة الزخرف: آية 35.

(2) سورة الحجرات: آية 12.

(3) مالك: المؤطأ، كتاب الجهاد، باب ما تكون فيه الشهادة برقم (35) ص 463.

وهذا الكلام يذكرنا بمنهج النبي -صلى الله عليه وسلم- في تربية الأمة المسلمة على التقوى، وأن ميزان التفاضل الذي تقاس به الأعمال: هو تقوى الله -تعالى- وهذا من كرم الله على عباده، والذي لا يصل إليه إلا المتقون.

2. إن التقوى سبب الفوز والفلاح:

قال تعالى: "وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ"⁽¹⁾، إن الفوز والفلاح يتوقف على التقوى، فيجب على المؤمن أن يتقي الله حتى يسعد بثوابه في الآخرة.

قال قتادة: "إن من يطع الله ورسوله ويلتزم بالتقوى فأولئك الذين فازوا بكل خير، وأمّنوا من كل شر في الدنيا والآخرة"⁽²⁾.

فالآية الكريمة جمعت أسباب الفوز في الآخرة، وأيضاً في الدنيا⁽³⁾، ومن الآيات الكريمة التي تدل على أن التقوى، سبب للفوز، والفلاح في الآخرة قوله تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَرْبَابًا أَضْعَفًا مِّمَّنْ ضَعْفَةً وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"⁽⁴⁾.

لقد رتب الله -تبارك وتعالى- الفلاح على تقوى الله في هذه الآية الكريمة، وهذا يزيد من أهمية العمل على أن يضع المؤمن بينه، وبين عذاب الله وغضبه وقاية في الانتهاء عما نهى الله عنه، والفلاح يتوقف -كما نصت الآية الكريمة- على التقوى، وعدم أكل الربا، فلو أكل لم يتق، وبذلك لا يحصل الفلاح، وما أحوج المسلم إلى الفلاح، ليس في الدنيا فحسب؛ بل في الدنيا والآخرة، ولذلك كان الفلاح أثراً من الآثار المترتبة على التقوى في الآخرة، فعلى المسلم أن يسلك طريق الفلاح ليتحقق له وعد الله بقوله "لعلكم تفلحون" والله لا يخلف الميعاد.

(1) سورة النور: آية 52.

(2) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (5/339).

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج9 (18/276).

(4) سورة آل عمران: آية 130.

3. إنها؛ سبب للنجاة يوم القيامة من عذاب الله:

قال تعالى: "وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُتِجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا" (1)، وأولى الأقوال في الورد هو ما قاله الإمام الطبري: "يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار، وورودها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من مرورهم بها على الصراط المنصوب على متن جهنم، فجاج مسلم، ومكس فيها" (2).

يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "لا يبقى بر، ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن برداً، وسلاماً، كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ضجيجاً من نرفها ثم قال: بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثياً" (3).

4. إنها سبب لقبول الأعمال:

قال تعالى: "وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ" (4)، إن المتقين يعملون الأعمال الصالحة الخالصة لوجه الله -تعالى- والموافقة لشرعه، لأن الله -تعالى- يبصر المتقين بالعمل الصالح ويوفقهم له، وعلى المسلم أن يسعى للوصول إلى انقاء الله بعقل متدبر، وقلب حاضر، وذلك بالتزام حدوده بعبودية وإخلاص.

قال الإمام الألويسي: "إنما يتقبل الله" أي: الطاعات "من المتقين" في ذلك بإخلاص النية فيه الله -تعالى- لا من غيرهم" (5).

(1) سورة مريم: آية 71-72.

(2) الطبري: جامع البيان، (مج7/5528).

(3) الحاكم: المستدرک، کتاب الأحوال، رقم (8744) (8/3134). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

(4) سورة المائدة: آية 27.

(5) الألويسي: روح المعاني، مج4 (6/164). بتصرف يسير.

لقد بين الله -تبارك وتعالى- أن الأعمال إذا عرت عن التقوى فقد فقدت روحها لما أن صاحبها قد ضل طريق القبول، لأن حصول التقوى شرط في قبول الأعمال.

قال الإمام ابن عطية الأندلسي: "وإجماع أهل السنة في معنى هذه الألفاظ أنها: انتفاء الشرك، فمن انتقاه، وهو موحد فأعماله التي تصدق فيها نيته مقبولة، وأما المنقي للشرك والمعاصي فله الدرجة العليا من القبول، والحثم بالرحمة، علم ذلك بإخبار الله -تعالى-"⁽¹⁾.

5. إن التقوى سبب قوي؛ لأن يرثوا الجنة:

قال تعالى: "بَلِّغْ أَلْحَنَّةُ الَّتِي تُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا"⁽²⁾، تبين الآية الكريمة أن من أسباب دخول الجنة: هو تقوى الله -تعالى- لأن الجنة حفت بالمكارة والنار حفت بالشهوات.

يقول صاحب تفسير (تيسير الكريم الرحمن) في معرض تفسيره للآية الكريمة: "أي نورثها المتقين، ونجعلها منزلهم الدائم، الذي لا يظعنون عنه، ولا يبيغون عنها حولا"⁽³⁾. "إن الأتقياء يلقون ربهم يوم القيامة، وقد انقضت أعمالهم، وثمراتها باقية وهي الجنة، فإذا أدخلهم الجنة، فقد أورثهم من تقواهم كما يرث الوارث المال من المتوفى"⁽⁴⁾.

6. إن المتقين لهم في الجنة غرف مبنية من فوقها غرف:

قال تعالى: "لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ هُمْ عُورٌ مِّنْ فَوْقِهَا عُورٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا تُخَلِّفُ اللَّهُ الْمِعَادَ"⁽⁵⁾. "أخبر عز وجل عن عباده السعداء أن لهم غرفاً في الجنة، وهي القصور أي: الشاهقة من فوقها غرف مبنية، طباق فوق طباق، مبنيات محكمات مزخرفات عاليات"⁽⁶⁾.

(1) ابن عطية: المحرر الوجيز، (178/2-179).

(2) سورة مريم: آية 63.

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 531.

(4) الرازي: التفسير الكبير، مج 11 (238/21-239).

(5) سورة الزمر: آية 20.

(6) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، (58/7).

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن في الجنة لغرفاً ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها" فقال له إعرابي: لمن هذه يا رسول الله؟ قال -صلى الله عليه وسلم-: "لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام وأدام الصيام، وصلى لله والناس نيام"⁽¹⁾. "وهذا على طريقة القرآن، يقرن البشارة بالإندار، والوعد بالوعيد، وذكر المتقين، وثوابهم بذكر الطاعين، وعقابهم، فلهؤلاء من فوقهم ظلال من النار، ومن تحتهم ظلال، ولأولئك غرف في الجنة فوقها غرف... وهذا وعده - تعالى - ووعيده، ومن أصدق من الله حديثاً"⁽²⁾.

7. إنهم بسبب تقواهم يكونون فوق الذين كفروا يوم القيامة في محشرهم، ومنشرهم، ومسيرهم، ومأواهم، فاستقروا في الدرجات في أعلى عليين :

قال تعالى: "زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ"⁽³⁾.

"إن السعيد حقاً من كان يوم القيامة سعيداً، فإنه يوم القيامة يكون في عليين، وسواهم من أهل الشرك والكفر به في أسفل سافلين، فأهل الإيمان يوم القيامة في كرامة، وأهل الكفر في مذلة، المؤمنون يسخرون من الكافرين كما كانوا منهم في الدنيا يسخرون... وإنما قال تعالى: "والذين اتقوا" بعد قوله "ويسخرون من الذين آمنوا" ليدل -تعالى- على أن الذين آمنوا متقون، وأن استعلاءهم من أجل التقوى، وفي هذه تحريض للمؤمنين على الاتصاف بالتقوى إذا سمعوا ذلك، أو للإيذان بأن إعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها، لكونها شاغلة عن جانب القدس... والفوقية، في قوله (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة) فوقية مكانية... فهم فوق الكافرين في الرتبة، فأين رتبة الكافرين من رتبة المتقين"⁽⁴⁾.

(1) الترمذي: سنن الترمذي، كتاب صفة الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في صفة غرف الجنة، برقم (2527)، ص569، قال الألباني: حديث حسن.

(2) مغنية، محمد جواد: التفسير الكاشف، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990، (مج6/404). سأشير إليه مغنية: الكاشف.

(3) سورة البقرة: آية 212.

(4) أبو العلاء، محمد مصطفى: نور الإيمان في تفسير القرآن، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، (1411-1991)، ص(377-378).

8. إنها سبب في دخولهم الجنة، وذلك لأن الجنة أعدت لهم:

قال تعالى: "وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ"⁽¹⁾. بعد أن نهى الله سبحانه وتعالى - عن أكل الربا، وحذر من النار، ودعا إلى التقوى وطاعة الله والرسول، بعد هذا كله أمر بالمسارعة إلى فعل الخير الذي يستوجب رضوان الله وجزائه، فالسعادة الأبدية التي لا تنقطع ولا تزول، إذ أن الجنة أكلها دائم وظلها، ويتمتع أهلها بالنعيم المقيم خالدين فيها أبداً، فقد ادخرها الله لأحبابه البرره المتقين الذين عبدوه حق العباداة، وأخلصوا له في القول والعمل، وهم الذين صاروا في طريق التقوى حتى أصبحت التقوى شعاراً لهم، فوعدهم بجنة عرضها كعرض السماوات والأرض، إيذاناً بالسعة، والبسطة بين أهلها.

وفي الآية الكريمة، "إثارة وإغراء بالمبادرة إلى طلب المغفرة من الله، باجتناب المحرمات، وعلى رأسها الكفر والربا... فمن بادر بالتوبة، ورجع إلى الله من قريب، مستغفراً ربه، وجد رباً غفوراً رحيماً، يفتح له مع خزائن رحمته، أبواب جنته وما فيها من نعيم مقيم. وهذه الجنة التي وعد بها المتقون تسع الناس وأضعاف أضعاف الناس... يجد فيها المؤمنون والتائبون، - مهما كثر عددهم - مكاناً فسيحاً، لا حد له، حيث يسرحون ويمرحون ما شاءوا"⁽²⁾.

9. إن التقوى سبب للتكفير من السيئات، والعفو عن الزلات:

قال تعالى: "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ"⁽³⁾، فمن يتقي الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه، ويؤدي الواجبات ويتجنب المحرمات يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً، ويغفر له ذنوبه، ويدخله الجنة.

(1) سورة آل عمران: آية 133.

(2) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، (585/2).

(3) سورة المائدة: آية 65.

"إن الإيمان والتقوى، وتحقيق منهج الله في واقع الحياة البشرية في هذه الحياة الدنيا، سبباً لتكفير السيئات، ودخول الجنات وهذا جزاء الآخرة، فلو أن أهل الكتاب حققوا في حياتهم الدنيا منهج الله الممثل في التوراة، الإنجيل، وما أنزله الله إليهم من التعاليم... لصلحت حياتهم الدنيا"⁽¹⁾.

10. إن التقوى سبب لنيل ما تشتهيهِ الأُفْس، وتلذ الأعين:

قال تعالى: "جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ تَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ"⁽²⁾.

لقد أعد الله -تعالى- لعباده في الجنة ما تشتهيهِ نفوسهم، وكل ما يخطر ببالهم، يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم- يقول الله تعالى: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"⁽³⁾.

11. إن التقوى سبب لعدم الخوف والحزن، وعدم المساس بالسوء يوم القيامة:

قال تعالى: "وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"⁽⁴⁾.

"إن الله -تعالى- يجعل الأمن في الآخرة يوم الخوف الأكبر المهول لعباده المتقين... وهذا الأمن مطلب كريم لأهل التقوى، وعدهم الله بتحقيقه يوم يقوم الأشهاد، غير ساهين ولا لاهين، ولكن راجين رحمة الله خائفين سطوته ونقمته، غير غافلين عن الأخذ بكل ما هو من لوازم التقوى، أو يمت إليها بسبب، مهما كلفهم ذلك، لأنهم يعتقدون أن الصبر على مشاق الاتقاء -إذا وقعت- أهون من الصبر على لأواء يوم القيامة. كيف؟ وأن الصبر الأول في حد ذاته مصحوباً بالأدب مع الله، والتضرع الخاشع إليه، والذلة بين يديه"⁽⁵⁾.

(1) البغدادي، عيد العزيز بن شاکر: القطف الحسان في ظلال القرآن، دار ابن القيم، ط1، (1414هـ-1994) (مج1/316). بتصرف يسير. سأشير إليه البغدادي: القطف الحسان في ظلال القرآن.

(2) سورة النحل: آية 31.

(3) البخاري: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله (يريدون أن يبدلوا كلام الله)، برقم (7498)، ص1291.

(4) سورة الزمر: آية 61.

(5) الصالح: التقوى في هدي الكتاب، (394-395)، بتصرف.

12. إنهم يحشرون يوم القيامة وفدا إليه -تعالى-:

قال تعالى: "يَوْمَ حَشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا"⁽¹⁾، إن أهل التقوى على موعد مع نوع العطاء الرباني يوم القيامة وهو أن الله -تعالى- يحشرهم إليه على صورة تشرق ببالغ الفضل، والنعماء، ويستقبلهم ربهم حسن استقبال، وتغمرهم الرحمة، قال الإمام الزمخشري: "ذكر المتقون بلفظ التبجيل، وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته، وخصهم برضوانه، وكرامته، كما يفد الوفاة على الملوك منتظرين للكرامة عندهم"⁽²⁾.

"إن الحشر إلى الرحمن الرحيم، الذي يرحم عباده المؤمنين، بجنة أورثوها بعملهم الطيب، ويدخلون الجنة تجري من تحتها الأنهار... وهذا إكرام وفد الأبرار، وهذا وفد المتقين"⁽³⁾.

13. إن الجنة تقرب لهم:

قال تعالى: "وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ"⁽⁴⁾ "هذه أول آية في هذه السورة تتحدث عن المؤمنين، وما أعدده الله لهم من ثواب عظيم وأجر كريم، فإن هناك جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين... وأنه إذا كان هناك جهنم تنتظر الواردين الذين يسوقهم إليها سائق عنيف يدعهم دعاء، فإن الجنة تسعى للقاء أهلها، وتلقاهم متوددة، متلطفة تماماً، كما يفعل المضيف عند استقبال ضيف عزيز كريم، فيلقاه على الطريق مرحباً محبباً"⁽⁵⁾، يقول تعالى: "وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ"⁽⁶⁾.

(1) سورة مريم: آية 85.

(2) الزمخشري: الكشاف، (41/3).

(3) أبو زهرة: زهرة التفسير، (مج4687/9). بتصريف يسير.

(4) سورة ق: آية 31.

(5) الخطيب: التفسير القرآني للقرآن، (487/13). بتصريف يسير.

(6) سورة الشعراء: آية 90.

14. إن التقوى سبب في عدم مساواة المتقين بالفجار، والكفار:

قال تعالى: "أَمْ حَجَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ حَجَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفَجَارِ"⁽¹⁾، لا يستوي عند الله -تعالى- من عمل الصالحات من الأعمال، واستنار قلبه بالإيمان، ومن كان همه الفساد في الأرض والتمرغ في ظلمات الشر والفجور، وهذا من عدل الله -تبارك وتعالى- وحكمته البالغة، وهو قليل مما أعده الله لعباده المتقين، قال تعالى: "وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿٥١﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٥٢﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٥٣﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿٥٤﴾ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ"⁽²⁾، ومن هنا لا مساواة بين أهل التقوى، وبين الكفرة، والفجرة قال تعالى: "أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا"⁽³⁾.

15. إن كل صحبة وصدقة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة إلى عداوة إلا صحبة المتقين:

قال تعالى: "الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ"⁽⁴⁾.

إن علاقة المتقين بعضهم ببعض تقوم على محبة الله عز وجل، وهذه العلاقة لا تزول بل تبقى على حالها وتزداد، لأن العلاقة بينهم لم تكن لمطلب هابط، أو غرض زائل قريب، وإنما كانت لله، وفي مرضاة الله، وهكذا يخبر الله -تعالى- في ذلك اليوم العصيب، يوم تنقطع كل صلة بين المتخالين في غير ذات الله، وتنقلب عداوة، إلا صلة المتصادقين في الله، فإنها الصلة الباقية، حيث ينتفع بعضهم من بعض، ويشفع بعضهم لبعض ويؤيد هذا ما قاله الإمام ابن كثير: "إن كل صدقة وصحابة لغير الله عز وجل، فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة، إلا ما كان لله عز وجل فإنه دائم بدوامه"⁽⁵⁾.

(1) سورة ص: آية 28.

(2) سورة فاطر: آية 19-22.

(3) سورة مريم: آية 73.

(4) سورة الزخرف: آية 67.

(5) ابن كثير: التفسير القرآن العظيم، (158/7).

16. إن للمتقين مقاماً أميناً، وجنات وعيوناً:

قال تعالى: "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٩﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٦٠﴾ لَا يُدْفِقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ" (1).

لقد جمع الله -تعالى- لعباده بين أمن المكان، وأمن الطعام، وأمن الموت، فلا يخافون موتاً، يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: "يجاء بالموت يوم القيامة، كأنه كبش أملح فيقال: يا أهل الجنة! هل تعرفون هذا؟ فيشربون، وينظرون، ويقولون: نعم، هذا الموت، قال تعالى: يا أهل النار! هل تعرفون هذا؟ قال: فيشربون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت قال فيؤمر به فيذبح، قال ثم يقال: يا أهل الجنة: خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت" ثم قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" (2)، وأشار بيده إلى الدنيا (3).

17. إن لهم مقعد صدق عند مليك مقتدر:

قال تعالى: "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ ﴿٦١﴾ فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ" (4).

لقد أكرم الله عز وجل أحبائه المؤمنين الذين يتحلون بالنقوى بأحسن العاقبة، وجعل مأواهم في الآخرة جنة الخلد، وأجزل لهم العطاء الذي لا ينفذ، ولا ينقطع.

قال الإمام الزمخشري -رحمه الله-: "مقربين عند مليك مبهم أمره في الملك، والافتقار فلا شيء إلا وهو تحت ملكه، وقدرته، فأى منزلة أكرم من تلك المنزلة، وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها" (5).

(1) سورة الدخان: آية 51-56.

(2) سورة مريم: آية 39.

(3) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء، برقم (2849)، ص 1143-1144. وأخرجه البخاري في كتاب التفسير برقم (4740)، ص 825.

(4) سورة القمر: آية 54-55.

(5) الزمخشري: الكشاف، (431-430/4).

إن من يعبد الله ويشكره على نعمه، ويحبه، ويتقرب إليه بالطاعات يجازيه الله -تعالى- خيرا الجزاء، بمقعد صدق عند مليك مقتدر.

18. إن التقوى سبب في ورود الأنهار المختلفة:

فهذا نهر من ماء غير آسن، وذلك نهر من لبن لم يتغير طعمه، وآخر من خمر لذة للشاربين: قال تعالى: "مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ" (1).

ويؤيد هذا الكلام ما جاء في الهدى النبوي بقوله -صلى الله عليه وسلم-: "إن في الجنة بحر الماء، وبحر اللبن، وبحر العسل، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعد ذلك" (2).

قال قطب: "ومن ثم فضل الله أنواع النعيم، والعذاب، و صنوف المتاع والآلام، وفق علمه المطلق بالعباد... هنالك ناس يصلح لتربيتهم، ولاستجاشة همتهم للعمل، كما يصلح لجزائهم ويرضي نفوسهم، أن يكون لهم أنهار من ماء آسن، أو أنهار من لبن لم يتغير طعمه، أو أنهار من عسل مصفى، أو أنهار من خمر لذة للشاربين، أو صنوف من كل الثمرات، مع مغفرة من ربهم تكفل لهم النجاة من النار، والمتاع بالجنات..." (3).

ومن الآيات الكريمة التي وصفت ما أعدده الله -تعالى- لأهل التقوى من الجنة قوله تعالى: "مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ" (4).

(1) سورة محمد: آية 15.

(2) الترمذي: سنن الترمذي، كتاب صفة أنهار الجنة، باب ما جاء في صفة أنهار الجنة، برقم (2571)، ص579، قال الألباني حديث صحيح.

(3) قطب: الظلال، (مج/6/3290). بتصرف يسير.

(4) سورة الرعد: آية 35.

قال ابن كثير: "أي: فيها الفواكه، والمطاعم، والمشارب، لا انقطاع ولا فناء"⁽¹⁾، وفي حديث في صلاة الكسوف وفيه قالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك هذا، ثم رأيناك كففت فقال: إني رأيت الجنة، فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلت منه ما بقيت الدنيا"⁽²⁾.

19. إن التقوى سبب المسير تحت أشجار الجنة، والتنعيم بظلالها:

قال تعالى: "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ"⁽³⁾ إن أسلوب الترغيب والترهيب امتاز به القرآن الكريم، فبعدما ذكر الله -تعالى- للمكذابين الضالين، ذكر ما للمتقين من نعيم "في ظلال أشجار الجنة وعيونها من ماء، ولبن، وخمر، وعسل، وفواكه كثيرة متنوعة، بما يشتهون على خلاف الدنيا، إذ الناس يأكلون مما يجدون، فلو اشتهوا شيئاً لم يجدوه، ما أكلوه. أما دار النعيم فإن المرء ما انتهى شيئاً إلا وجدته وأكله، وهذا هو السر في التعبير في غير موضع بكلمة مما يشتهون"⁽⁴⁾.

قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها"⁽⁵⁾.

20. إن لهم البشري في الآخرة بألا يحزنهم الفرع الأكبر، وتلقي الملائكة لهم:

قال تعالى: "لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ"⁽⁶⁾.

قال الإمام ابن كثير: "وأما بشرهم في الآخرة فكلما قال تعالى: "لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ"، وقد دلت الآية الكريمة على أن المؤمنين لا ينالهم الخوف، والرعب يوم القيامة"⁽¹⁾.

(1) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم.

(2) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الكسوف، باب ذكر من قاله أنه ركب برقم (907). ص353.

(3) سورة المرسلات: آية 41.

(4) الجزائري: أيسر التفاسير، (498/5).

(5) مسلم: صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، برقم (2827)، ص1137.

(6) سورة الأنبياء: آية 103.

(1) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. (222/5). بتصرف

قال الأصفهاني: "الفرع: انقباض ونفاز يعتري الإنسان من الشرع المخيف، وهو من جنس الجزع، والمقصود به في الآية، الفرع من دخول النار"⁽¹⁾.

21. إن المتقين لهم نعم الدار:

قال تعالى: "وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ"⁽²⁾. "إنها خير لهم من الدنيا، فإذا كانت لهم في الدنيا حسنة، فلهم في الآخرة أحسن، فكلما كان للذين كفروا عذاب الدنيا، وعذاب جهنم، كان للذين اتقوا خير الدنيا، وخير الآخرة... وحسنة الدنيا هي الحياة الطيبة، وما فتح الله لهم من زهرة الدنيا مع نعمة الإيمان، وخير الآخرة هو النعيم الدائم... والمعنى: ولنعم دار المتقين دار الآخرة"⁽³⁾.

فمن أخذ نفسه بطريق أهل التقوى فاز بتلك الدار التي هي خير مستقر وأحسن مقبلا، إنه الإكرام الإلهي، فإن السعداء هم أهل الإيمان، والتقوى، وهم الذين يفرحون بفضله، ورحمته فلهم نعم الدار، ويؤيد هذا قوله تعالى: "تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ جَعَلْنَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَنِقَةَ لِلْمُتَّقِينَ"⁽⁴⁾.

22. إن المتقين تضاعف أجورهم، وحسناتهم:

قال تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"⁽⁵⁾.

إن الله تعالى يجعل للمتقين نوراً يمشون به على الصراط يوم القيامة، ونوراً في الدنيا يميزون فيه بين الحق والباطل.

(1) الأصفهاني: المفردات، مادة فرع، ص 635.

(2) سورة النحل: آية 30.

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، مج 7، (142/14). بتصرف يسير.

(4) سورة القصص: آية 83.

(5) سورة الحديد: آية 28.

وجهت الآيات الكريمة في ختام السورة نداءها للمؤمنين تدعوهم إلى تقوى الله، والالتزام بسنة نبيه -عليه الصلاة والسلام-، فإله -سبحانه وتعالى- ينور قلوب المتقين في الدنيا، وينور طريقهم على الصراط يوم القيامة، فتفضل سبحانه عليهم بالنور والمغفرة⁽¹⁾.

فيجب أن تكون التقوى تفسير المنار الهادي للفرد وللجماعة في شتى ميادين الحياة لإقامة شرع الله، والحرص على تحقيق كل ما فيه طاعة الله، ورسوله -عليه الصلاة والسلام-.

(1) طهماز: من سورة الطور إلى سورة الناس، ص108.

الخاتمة

أما وقد أعان الله وتم البحث فإن الباحث عندما يمعن النظر في آيات التقوى في القرآن الكريم يصل إلى النتائج التالية:

1. شمول مصطلح التقوى، فهو شامل لخيري الدنيا والآخرة.
2. أهمية موضوع التقوى، فهو من أهم الموضوعات في القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية.
3. مركزية وأساسية التقوى، فالتقوى تشكل لحمة أو محوراً رئيساً تدور حوله جميع العبادات في القرآن الكريم وكذلك المعاملات والأخلاق.
4. لعل السر في التركيز على التقوى وأهمية التقوى ومركزية التقوى راجع إلى استجلاء حقيقة أن التقوى تعني أن الله عز وجل مطلع وبصير بالعباد، فعلى الإنسان أن يعمل تحت هذه الرقابة بمنتهى الأمانة.
5. التقوى شعور بالمراقبة الإلهية، فهي دولة بلا دولة وشرطة بلا شرطة بها تنتظم الحياة وتتحقق السعادة في الدارين.
6. إن واقع الأمة الإسلامية اليوم مدعاة للمزيد من الاستمساك بعرى التقوى وأن يشعروا بدوام الحاجة إليها.
7. إن التقوى هي جماع الخير والبر والصلة ولهذا كانت وصية الله -تعالى- للأولين والآخرين.
8. التقوى كوثر، والمنقي هو السعيد الذي يرد هذا النبع العظيم، ولكن كم هو مؤلم أن هؤلاء المحظوظين قليل عددهم.
9. إن ما نحن فيه من قلة البركة، ونقص الثمار، وكثرة الآفات، والأمراض إنما هو نتيجة حتمية لضعف وازع التقوى في النفوس.
10. التقوى هي خير وسيلة تنجي الإنسان من كرب الدنيا، والآخرة وتدفع عنه البلايا والمصائب.

11. الكشف عن العلاقة بين اتقاء الله تعالى وبين توفيقه سبحانه في الدنيا وعطائه الكبير يوم القيامة.
12. الاستمساك بعرى التقوى واجب على الأمة الإسلامية.
13. أورد القرآن الكريم الطرق التي تحقق الوصول للتقوى، كالعبادة، وتدبير القرآن، ومجاهدة النفس، ومعرفة الله ومرآته.
14. استخدام القرآن الكريم مصطلحات ذات علاقة بالتقوى من أمثال: الخوف، الخشية، الحذر، الرهبة، الإشفاق، والوجل، والهيبة، واستخدام القرآن لهذه التعابير ليس من قبيل التزلف اللغوي والفكري فهي ترتبط بالتقوى وتعمق معناها.
15. اقتران التقوى بالعديد من الصفات التي ترسخ وتوضح العلاقة بينهما مثل: الصبر، والشكر، والتعاون، والطاعة وغيرها.
16. العبادة تمثل ركناً أساسياً وعموداً فقرياً من أعمدة التقوى ولا يمكن الوصول للتقوى إلا بأداء العبادات المفروضة والمحافظة عليها.
17. تدبر القرآن الكريم وفهم معانيه، والكشف عن أسرارهِ طريق يحقق التقوى.

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	الآية	السورة
		الفاحة
77	6	أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
		سورة البقرة
105، 107، 111، 214	3-2	ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ
215	5	أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
155	21	يَأْتِيهَا النَّاسُ عِبْدًا وَأَنْتُمْ أَوْلَىٰ بِمَا خَلَقْتُمْ وَالَّذِينَ مَنَعْتُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
158	27	الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ
76	40	يَبْنَئِي إِسْرَائِيلَ أَذْكَرُوا بِعَمِّيَ الَّذِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ
12، 76	41	وَأَمِينُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰئِكَ كَافِرٍ بِهِ ۗ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيَّتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِكُونَ
129	54	فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَىٰ الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ ۗ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
24، 40	155	الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
2	-156 159	الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ * إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۗ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ
14، 77، 125، 127	177	يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۗ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ۗ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۗ فَمَنْ عُيِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ
212	180	فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِي يَبْدُلُونَهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
24	182	فَمَنْ خَافَ مِن مُّوَسَّجَتًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

الصفحة	الآية	السورة
164	183	يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
145	191	وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُفْتَلُوا فِيهِ ۚ فَإِن قَتَلْتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَمَا كُتِبَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ
210	194	الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَالْحَرَامُ بِاللَّحْمِ الْحَرَامِ وَالْحُرْمَتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ
176	196	وَأَمِنُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِن أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ ءَازٍ مِّن رَّأْسِهِ ففِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۚ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ۚ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
176، 20	197	الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَّعْلَمُهُ اللَّهُ ۚ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ
176	203	وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ تُحْشَرُونَ
220	212	زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
214	241	وَلِلْمُطَلَّفَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ
77	256	لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
102، 70	257	اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
171، 60	263	قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ
12	281	وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
208، 65، 63	282	وَإِن كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً ۚ فَإِن أَزْمِنَ لَكُمْ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ ۚ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاتِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ

الصفحة	الآية	السورة
		آل عمران
113، 126،133	17	الصّٰدِقِيْنَ شٰهِدَ وَالصّٰدِقِيْنَ وَالْقٰنِطِيْنَ وَالْمُنْفِقِيْنَ وَالْمُسْتَغْفِرِيْنَ بِالْاَسْحٰرِ
74	18	اَللّٰهُ اَنَّهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ وَالْمَلٰٓئِكَةُ وَاُولُو الْعِلْمِ قٰٓيِمًا بِالْقِسْطِ ۗ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ
13	28	لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُوْنَ الْكٰفِرِيْنَ اَوْلِيَآءَ مِنْ دُوْنِ الْمُؤْمِنِيْنَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّٰهِ فِيْ شَيْءٍ ۗ اِلَّا اَنْ تَتَّقُوْا مِنْهُمْ تُقٰتَةً وَيُحٰذِرْكُمْ اللّٰهُ نَفْسَهُ ۗ وَاِلَى اللّٰهِ الْمَصِيْرُ
26	35	اِذْ قَالَتْ اَمْرٰتُ عِمْرٰنَ رَبِّ اِنِّيْ نَذَرْتُ لَكَ مَا فِيْ بَطْنِيْ مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيْ ۗ اِنَّكَ اَنْتَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ
75	64	قُلْ يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ تَعٰلَوْا اِلَى كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنِنَا وَبَيْنَكُمْ اِلَّا نَعْبُدَ اِلَّا اللّٰهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا اَرْبَابًا مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ ۗ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوْا اشْهَدُوْا بِاَنَّا مُسْلِمُوْنَ
207	76	بَلٰى مَنْ اَوْفٰ بِعَهْدِهٖ وَاَتَقٰۤى فَاِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِيْنَ
15	102	يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تُقٰتِهٖ وَلَا تَمُوْنُوْا اِلَّا وَاَنْتُمْ مُسْلِمُوْنَ
176	110	كُنْتُمْ خَيْرَ اُمَّةٍ اُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُوْنَ بِالْمَعْرُوْفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَلَوْ ءَامَنَ اَهْلُ الْكِتٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۗ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُوْنَ وَاَكْثَرُهُمُ الْفٰسِقُوْنَ
202، 48	120	اِنْ مَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوْهُمُ وَاِنْ نَصَبْكُمْ سَيِّئَةً يَفْرِحُوْا بِهَا ۗ وَاِنْ تَصِيْرُوْا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ اِنَّ اللّٰهَ بِمَا يَعْمَلُوْنَ مُحِيْطٌ
86	123	وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ بِبَدْرِ وَاَنْتُمْ اُدْلٰٓةٌ فَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُوْنَ
203	-123 125	وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ بِبَدْرِ وَاَنْتُمْ اُدْلٰٓةٌ فَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُوْنَ ﴿١٢٣﴾ اِذْ تَقُوْلُ لِلْمُؤْمِنِيْنَ اَلَنْ يَكْفِيَكُمْ اَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ اَلْفٍ مِنَ الْمَلٰٓئِكَةِ مُزْلِيْنَ ﴿١٢٥﴾ بَلٰى ۗ اِنْ تَصِيْرُوْا وَتَتَّقُوا وَيَاْتُوْكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هٰذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ اَلْفٍ مِنَ الْمَلٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِيْنَ
203	126	وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ اِلَّا بُشْرٰى لَكُمْ وَلِتَطْمَِٔنَّ قُلُوْبُكُمْ بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ اِلَّا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ الْعَزِيْزِ الْحَكِيْمِ
217	130	يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا لَا تَاْكُلُوْا الرِّبَا اَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۗ وَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ
14	131	وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِيْ اُعِدَّتْ لِلْكَافِرِيْنَ
221	133	وَسَارِعُوْا اِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰتُ وَالْاَرْضُ اُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِيْنَ
115	134	الَّذِيْنَ يُفْقُوْنَ فِي السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ وَالْكٰظِمِيْنَ الْغَيْظَ وَالْعَٰفِيْنَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِيْنَ
130	135	وَالَّذِيْنَ اِذَا فَعَلُوْا فَجْحٰشَةً اَوْ ظَلَمُوْا اَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللّٰهَ فَاَسْتَغْفَرُوْا لِذُنُوْبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوْبَ

الصفحة	الآية	السورة
		إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ
88	144	وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَلَا يَنفَكُونَ مِّنْ قِبَلِكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنفَكْ عَلَيْكَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ
24	170	فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاسْتَبْشِرُوا بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
99	172	الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ
100	174	فَأَنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ
212	179	مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَفَاتَمُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ
81، 9	186	لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذَىٰ كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ
191	200	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
		سورة النساء
13	1	يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَنَسَّ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا
26	9	وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا
95، 26، 4	80	مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا
137	82	أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا
141، 24	83	وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا
75	116	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا
162	128	وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا

الصفحة	الآية	السورة
		وَأَصْلَحْ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا
31	130	وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا
31	131	وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا
		المائدة
203 ، 89	2	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُلُوا شَعِيرَةَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا تَجْرِمَنكُمْ شَتَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۚ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
215	8	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا قَوْمِي ۖ لِلَّهِ شُهَدَاءٌ بِالْقِسْطِ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَا تَعْدِلُوا ۚ أَعِدُّوا لَهُمْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ
218	27	وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلُ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۗ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ
153	35	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَانْتَعُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
27	41	يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا مَحْزَنًا الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامِنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۗ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۗ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ تَحْرِيفُونَ ۗ الْكَلِمَةَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۗ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۗ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِك لَهُ مِن ۗ اللَّهُ شَيْئًا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّر قُلُوبَهُمْ ۗ هُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۗ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ
27	48	وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيَّرَ بِرِيدِهِ مِّنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا ءَاتَاكُمْ ۗ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۗ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ
222 ، 38 ، 14	65	وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ
143	83	وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ

الصفحة	الآية	السورة
		وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ
195، 136	201	إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ
23	205	وَأَذْكُرَ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ
		سورة الأنفال
28	2	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ
197	29	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ سَجَّلَ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
201، 67، 66	34	وَمَا لَهُمْ آلًا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۗ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَئِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ
		سورة التوبة
170	34	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
145	36	إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ۗ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۗ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ۗ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتَلُونَكُم كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ
75، 45	40	إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
146	44	لَا يَسْتَعِذُّنَّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ
147	62	تَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ
27	64	تَحَدَّرَ الْمُتَنَفِقُونَ ۗ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۗ قُلِ اسْتَخْرِئُوا إِنَّا اللَّهُ مَخْرُجٌ مَّا تَحَدَّرُونَ

الصفحة	الآية	السورة
170	103	خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
125	119	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ
148	123	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَتَلُوتُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ
		سورة يونس
73	26	لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
142	43	وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ ؕ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ
50	-62 63	أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ
211	-63 64	الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
		سورة هود
189	49	تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ
104	115	وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ
		سورة يوسف
115	84	وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفِي عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْتَصَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ
83، 45	90	قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ
		سورة الرعد
192، 76	14	لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسُطِ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ ؕ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
191	22	وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ هُمُ عُقْبَى الدَّارِ
76	24	سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَبِعَمِّ عُقْبَى الدَّارِ

الصفحة	الآية	السورة
227	35	مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ
		سورة إبراهيم
88	7	وَإِذْ تَأَذَّرَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ
74	24	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ
74	27	يُثْبِتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ
		سورة النحل
228	30	وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ
222	31	جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ هُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ
53	32	الَّذِينَ تَتَوَفَّوهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ آذْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
24	47	أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبُّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ
75	60	لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
73	90	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
193	97	مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
47، 44	-125 128	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَا يَنْصُرْكُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ
		سورة الكهف
187	44	كُتِبَ لَهُ السَّنَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا

الصفحة	الآية	السورة
110	46	وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتِ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا
		سورة مريم
219	39	وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
219	63	تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا
218 ، 62	-71 72	وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا
224	73	وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا
223	85	يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا
76	87	لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا
		سورة طه
210	46	قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى
193	123	قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَلِمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى
187 ، 31	132	وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا لَنْ نَرْزُقَكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى
		سورة الأنبياء
137	10	لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ
76	22	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ
120 ، 118	-48 49	وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١١٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ
228	103	لَا تَحْزَنُوا الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَلْقَاهُمْ أَلْمَلَكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ
95	105	وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ
		سورة الحج
176	1	يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ
74	24	وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ
، 176 ، 13 204	32	ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظَمِ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ

الصفحة	الآية	السورة
168	37	لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتَكْبُرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَنَكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ
77	54	وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ۖ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
145	78	وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِلَىٰ بَرِّهِمْ ۗ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۗ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ
		سورة المؤمنون
169	4	وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ
162	9	وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
142	-68 70	أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كِرْهُونَ
50	96	أَدْفَعْ بِالنَّبِيِّ هِيَ أَحْسَنُ السَّبِيحَةِ ۗ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ
		سورة النور
217	52	وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَتَخَشَّ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ
		سورة الفرقان
132	70	إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا
		سورة الشعراء
224	90	وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ
17	-105 106	كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ
93	-106 110	إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ۗ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۗ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
17	-123 124	كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ
93	-124 126	إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
17	127	إِنَّ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ

الصفحة	الآية	السورة
93	-142 144	إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤٣﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٤٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
94	-161 163	إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤٥﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٤٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
94	-177 179	إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤٧﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٤٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
31	-206 207	ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٩﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتِعُونَ ﴿٥٠﴾
		سورة القصص
28	32	أَسَلُّكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴿٥١﴾ فَذَانِكَ بُرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴿٥٢﴾ وَمَلَإِيهِٖ ﴿٥٣﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٥٤﴾
215، 56	77	وَأَتَّبَعِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تَنْسَ نَصِيحَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴿٥٦﴾ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٥٧﴾
229، 215	83	تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴿٥٨﴾ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٥٩﴾
		سورة العنكبوت
145	6	وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ﴿٦٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾
159	17	إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴿٦٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَاتَّبِعُوا عِنْدَ اللَّهِ الزَّرْقَ ﴿٦٣﴾ وَأَعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٤﴾
162	45	أَتَلَّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقْبِرَ الصَّلَاةَ ﴿٦٥﴾ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴿٦٦﴾ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٦٧﴾
149، 145	69	وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴿٦٨﴾ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾
		سورة الروم
137	8	أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٦٩﴾ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٧٠﴾
187	10	ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسْتَفَوْا السُّوْأَىٰ ۖ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧١﴾
133	26	وَأَلَّهُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿٧٢﴾
172	38	فَقَاتِلْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ ۗ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴿٧٣﴾ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ ﴿٧٤﴾
172	39	وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لَيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ ﴿٧٥﴾ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٧٦﴾

الصفحة	الآية	السورة
196، 40	41	ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
		لقمان
75	13	وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ
207	19	وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ
166	34	إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ
		سورة السجدة
23	16	تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ
		الأحزاب
24	19	أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنِّسَاءِ حَدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا
212	32	يَنْبِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقِيْتَنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا
185، 183	-70 71	يَتَأَيُّمُ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا
		سورة فاطر
201	4	وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ
74	10	مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْرَأُ
224	-19 22	وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ
118، 63، 25	28	وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا تَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ
		سورة الصافات
36	147	وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ

الصفحة	الآية	السورة
		سورة ص
136	28	أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ
140	29	كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ
		سورة الزمر
73	3-2	إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٣﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ
77	3	أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ
208	9	أَمْ مَنْ هُوَ قَبِيضٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْأَخْرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴿٩﴾ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ
25	16	"لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ" ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ﴿١٦﴾ يَعْبَادُونَ فَاتَّقُوا
219	20	لَيْكِنَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ هُمْ غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِعَادَ
198	22	أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّنْ رَبِّهِ ﴿٢٢﴾ فَوَيْلٌ لِلنَّفْسِئَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ
139	23	اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ءَايَاتِهِ لِيُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ
77	33	وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴿٣٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ
25	39	
132	53	قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ
223، 58	61	وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
76	63	لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ
179	67	وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ء وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ

الصفحة	الآية	السورة
		سُبْحٰنَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ٤
		سورة غافر
183	19	يَعْلَمُ خَائِبَتَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ
		سورة فصلت
76	30	إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ
		سورة الشورى
73	11	فَاطِرُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
214	52	
77	53	صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ
		سورة الزخرف
75	26	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ
75	28	وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ۖ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ
216، 16	35	وَرُحْرُقًا ۖ وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ۗ وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ
138	44	وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ
95	63	وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
225	67	الْأَخِلَّاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ
296	-68 69	يَعْبَادِ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِفَايْتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ
77	86	وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ
158	87	وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۗ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ
		الجاثية
69	19	إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۖ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ
193	21	أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ
		سورة محمد
226	15	مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ

الصفحة	الآية	السورة
		مِنْ حَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهَمُّ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ
150	17	وَالَّذِينَ أَهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ
193 ، 42	24	أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا
		سورة الفتح
74 ، 71 ، 14	26	إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا
75	28	هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا
		سورة الحجرات
205 ، 13	3	إِنَّ الَّذِينَ يُغْضُونَ أَسْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ
216 ، 167	12	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَنُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ
56	13	يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ
		سورة ق
224	31	وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ
		سورة الذاريات
121	17	كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ
110	19	وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ
159	-20 21	وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ
171	22	وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوَعَّدُونَ
61	56	وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ
61	58	إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ
		سورة النجم

الصفحة	الآية	السورة
53	32	الَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ كَثِيرًا أَجْرًا وَالْقَوَاعِ حَشًا إِلَّا أَلَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنْ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى
		سورة القمر
226	54	إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهْرٍ
		سورة الرحمن
189، 103	60	هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ
		سورة الحديد
210	4	هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
229، 198	28	يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
		سورة المجادلة
210	7	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
69	19	اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ
208، 90	21	كَتَبَ اللَّهُ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَرْجُوا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْغُيُوبُ وَأَنَّ الْغُيُوبَ لَا يَأْتِيهِمْ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ الَّذِي يَكْفُرُ بِالَّذِينَ هُمْ يَكْفُرُونَ
		سورة الطور
29	26	قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ
		سورة الحشر
137	21	لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
		سورة المنافقون
27	4	وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ خُشْبٌ مُمْسَخَةٌ تَحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلْتَهُمُ اللَّهُ أَنْيُ يُؤْفَكُونَ
		سورة التغابن

الصفحة	الآية	السورة
27	14	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
		سورة الطلاق
200، 41	3-2	فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُعْظَمُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا
195	4	وَالَّتِي يُبْسِنُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ تَحِيضْ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا
43، 39	5	ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا
		سورة الملك
119	12	إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ
		سورة المعارج
108	23	الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ
		سورة المزمل
122	2-1	يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ﴿١﴾ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا
		سورة المدثر
13	56	وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْعَفْرِ
		سورة المرسلات
113	2-1	وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَصْفَتِ عَصْفًا
227	41	إِنَّ الْهَتَّاقِينَ فِي ظِلِّ لَيْلٍ وَعُيُونٍ
		سورة الإنسان
9	11	فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّهْمُ نَصْرَةً وَسُرُورًا
		سورة النازعات
105	-40 41	وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿١﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ
		سورة الفجر
110	20	وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا
		سورة الليل
193	5	فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَىٰ

الصفحة	الآية	السورة
193	7	فَسَنِّيئِرُهُد لِّلْيَسْرِي
		سورة العلق
194	9-5	عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَبَطْغِي ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْفِي ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ
183	14	أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ
		سورة الزلزلة
180 ، 15	8-7	فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ
		سورة الإخلاص
73	4-1	قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
1.	اتق الله حيثما كنت	31
2.	إذا أحب الله العبد قال لجبريل قد أحببت فلاناً فأحبه	208
3.	أعددت لعبادي الصالحين	223
4.	إن الله كتب الإحسان على كل شيء	103
5.	إن الله يحب العبد التقي	54
6.	إن أوليائي يوم القيام المنقون	68
7.	أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله	106
8.	أن تعبد الله كأنك تراه	97
9.	إن عبداً أصاب ذنباً وربما قال: أذنب ذنباً	131
10.	إن في الجنة بحر	227
11.	إن في الجنة شجرة يسير	228
12.	إن في الجنة لغرفاً	220
13.	إن لله مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم الخلق بينهم	210
14.	إن من عباد الله عبداً	51
15.	انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً	91
16.	انظر فإنه ليس بخير من أحمر	55
17.	إني أتقاكم الله	26
18.	إني رأيت الجنة فتناولت	227
19.	إني لاستغفر الله وأتوب إليه	114
20.	إني لأعلم كلمة يقولها عبداً حقاً من قلبه	72
21.	إيمان بالله ورسوله	175
22.	البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك	90
23.	حدثنا من كان يقرأنا من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام	140
24.	الحسب والمال والكرم والتقوى	56
25.	دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب وهو في الموت	179
26.	الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له	211

الرقم	طرف الحديث	الصفحة
27.	رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم	188
28.	الصيام جنه فلا يرفث	165
29.	عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر	126
30.	عينان لا تمسهما النار	26
31.	قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذات ليلة	139
32.	قيل يا رسول الله من أكرم الناس قال أنقاهم	55
33.	كرم المؤمن تقواه ودينه حسبه	216
34.	كل عمل ابن آدم له إلا الصوم	168
35.	كل مخموم القلب صدوق اللسان	54
36.	كم من صائم	166
37.	كنا إذا احمر البأس	159
38.	لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها	62
39.	لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن برداً وسلاماً	218
40.	لا يلج النار رجل بكى من خشية الله	119
41.	لما نزل تحريم الخمر، قالوا: يا رسول الله	99
42.	ليس الغنى عن كثرة العرض	182
43.	ما حق امرئ مسلم له شيء يريد أن يوصي فيه	213
44.	ما كان الرفق في شيء قط إلا زانه	117
45.	ما من عبد يذنب ذنباً ثم يتوضأ	130
46.	ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان	194
47.	المجاهد من جاهد نفسه لله	144
48.	من حج فلم يرفث	174
49.	من دل على خير	90
50.	من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل	121
51.	من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب	207
52.	من لقي الله لا يشارك به شيئاً	75
53.	من لم يدع قول الزور	166
54.	من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا	111

الصفحة	طرف الحديث	الرقم
209	هذا سبيل الله وهذه سبل	.55
193	هل تدرون أول من يدخل الجنة من خلق الله	.56
67	هل فيكم من غيركم؟ قالوا:	.57
52	هم الذين بذكر الله برؤيتهم	.58
72	وألزمهم كلمة التقوى قال: لا إله إلا الله	.59
110	والصدقة برهان	.60
138	والقرآن حجة لك أو عليك	.61
169	والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة	.62
56	يا أيها الناس انما الناس رجالان	.63
151	يا معاذ قلت: لبيك يا رسول الله وسعديك	.64
225	يجاء بالموت يوم القيامة	.65
114	ينزل الله -تبارك وتعالى- في كل ليلة	.66

فهرس الأعلام

الصفحة	العلم	
173	ابن الاتباري	.1
81	أسامة بن زيد	.2
108	اسماعيل بن حماد الجوهرى	.3
66	اسماعيل بن عبد الرحمن السدي	.4
152	ابن بطال	.5
84	بنيامين	.6
52	ابن تيمية	.7
62	جابر بن عبد الله	.8
170	ابن جريج	.9
78	خالد بن الوليد	.10
78	خبيب بن عدي	.11
102	رافع بن خديج	.12
52	سعيد بن جبير	.13
56	سمرة بن جنادة بن جندب	.14
204	الضحاك بن مزاحم الهلالي	.15
130	عبد الرحمن بن أبي عمرة	.16
140	عبد الله بن حبيب	.17
54	عبد الله بن عمرو بن العاص	.18
188	عقبة بن رافع	.19
103	عمران بن حطان	.20
16	الغزالي	.21
10	الفارياي	.22
41	قتادة بن دعامة السدوسي	.23
152	القشيري	.24
28	ابن القيم	.25
207	لقمان	.26
72	ابن المبرد	.27
66	مجاهد بن جبر	.28
90	النواس بن سمعان	.29
138	النوي	.30
48	هرم بن حيان العبدي	.31

المصادر والمراجع

كتب التفسير وعلوم القرآن:

القرآن الكريم.

الأشقر، محمد سليمان عبد الله: **زبدة التفسير من فتح القدير**، مؤسسة الرسالة، دار المؤيد للنشر والتوزيع، ط2، 1996م.

احمد شاكر، عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: **مختصر تفسير القرآن العظيم**، دار الإبداع، الاسكندرية، ط3، 2005م.

الأصفهاني، الراغب (ت502هـ): **مفردات ألفاظ القرآن الكريم**، دار القلم، دمشق، ط2، 1997م.

الألوسي، شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي (ت127هـ): **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المعروف بتفسير الألوسي**، إشراف هيئة البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، ط1، 1994م.

الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الشيرازي الشافعي (ت905هـ): **جامع البيان في تفسير القرآن**، ومعه حاشية محمد بن عبد الله الغزنوي المتوفى (1296هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م.

البصري، الحسن (ت110هـ): **تفسير الحسن البصري**، دار الحديث، القاهرة، د.ط، د.ت.

البغدادي، عبد العزيز ابن شاكر: **القطوف الحسان في ظلال القرآن**، دار ابن القيم، الدمام، ط1، 1994م.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت516هـ): **تفسير البغوي**، المسمى معالم التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحرني دمشقي
(ت728هـ): **التفسير الكامل هو تفسير أي القرآن الكريم**، دار الفكر، بيروت، ط1،
2002م.

الصنعاني، أبي بكر عبد الرازق بن همام (ت211هـ): **تفسير القرآن العزيز**، دار المعرفة،
بيروت، ط1، 1991م.

البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت885هـ): **نظم الدرر في تناسب الآيات
والسور**، خرج أحاديثه عبد الرازق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت791هـ): **أنوار
التنزيل وأسرار التأويل**، المعروف بتفسير البيضاوي، حققه عبد القادر عرفات العشا حسونة،
دار الفكر، بيروت، ط1، 1996م.

الثعالبي، عبد الرحمن (ت875هـ): **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، د.ط، د.ت.

الثعالبي، أبو إسحاق أحمد (ت427هـ): **الكشف والبيان**، المعروف بتفسير الثعالبي، دراسة
وتحقيق محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2002م.

الجزائري، أبو بكر جابر: **أبسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، دار الفكر، بيروت، 1998م.

ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ): **زاد المسير
في علم التفسير**، حققه محمد بن عبد الرحمن عبد الله، دار الفكر، بيروت، ط1، 1987م.

ابن الجوزي: **نزهة الأعين النواظر في علم الوجود والنظائر**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1،
1984م.

ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد (ت327هـ): **تفسير القرآن العظيم**، المكتبة العصرية،
بيروت، ط3، 2003م.

الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت880هـ): اللباب في علوم الكتاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

حوى سعيد: الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، ط1، 1985م.

أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، (ت745هـ): تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م.

الخطيب، عبد الكريم: التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، 1967م.

الدامغاني، أبو عبد الله الحسيني بن محمد (ن 478هـ): الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز، مطابع الأهرام، د.ط، 1996م.

الدرراويش، حسين أحمد: معجم الإكليل المفهرس للوجوه والنظائر في محكم التنزيل، ط1، 1995م.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسين (ت604هـ): التفسير الكبير، دار الفكر، بيروت، 1993م.

رضا، السيد محمد رشيد: تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، بيروت، 1993م.

الزجاج، أبو اسحاق إبراهيم السري (ت311هـ): معاني القرآن وإعرابه، دار الحديث، القاهرة، ط2، 1997م.

الزحيلي، وهبه: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1991م.

الزمخشري، أبو القاسم محمد بن عمر (ت538هـ): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل، رتبه وضبطه وصححه محمد بن عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1995م.

- أبو زهرة، محمد، (ت1394هـ): **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت.
- أبو السعود، القاضي محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت 982هـ): **تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، المعروف بتفسير أبو السعود، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م.
- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت375هـ): **تفسير السمرقندي، المسمى بحر العلوم**، تحقيق وتعليق علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م.
- السمين الحلبي، شهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم (ت756هـ): **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، دار القلم، دمشق، ط1، 1986م.
- : **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1993م.
- شاکر، أحمد: **عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير: مختصر تفسير القرآن العظيم**، دار الإبداع، الاسكندرية، ط2، 2005م.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الموريتاني المالكي الإفريقي (ت1393هـ): **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، إشراف مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت، 1995م.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت1255هـ): **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، دار الحديث، القاهرة، ط3، 1997م.
- الصابوني، محمد علي: **صفوة التفاسير**، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- الصاوي، أحمد الصاوي المالكي (1241هـ): **حاشية الصاوي على تفسير الجلالين**، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2002م.

الصنعاني، أبو بكر عبد الرازق بن همام (ت 211هـ): تفسير القرآن العزيز، المسمى تفسير عبد الرازق، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1991م.

الضحاك، مزاحم الهاللي، (ت105هـ): تفسير الضحاك، دار السلام، القاهرة، ط1، 1999م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد عبد الرازق البكري وآخرون، دار السلام، القاهرة، ط2، 2007م.

عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. دار الفكر، بيروت، ط4، 1994م.

ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله (ت543هـ): أحكام القرآن، تحقيق علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، د.ط، 1987م.

ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، د.ط، د.ت.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن عطية الغرناطي (ت546هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م.

ابن عباس، عبد الله (ت68هـ): تفسير ابن عباس المسمى صحيفة علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط2، 1993م.

أبو العلاء، محمد مصطفى: نور الإيمان في تفسير القرآن، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1991م.

الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ): بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المكتبة العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

القاسمي، محمد جمال الدين (ت1332هـ): تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، دار الفكر، بيروت، ط3، 1978م.

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (ت671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، خرج أحاديثه وعلق عليه عرفات العشاء، دار الفكر، بيروت، 1993م.

قطب، سيد: **في ظلال القرآن**، دار الشروق، القاهرة، ط17، 1992م.

القوجوي، محمد بن مصلح مصطفى القوجوي الحنفي (ت951هـ): **حاشية شيخ زاره على تفسير القاضي البيضاوي**، ضبطه وصححه وخرج آياته محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م.

القونوي، عصام الدين اسماعيل بن محمد الحنفي (ت1195هـ): **حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي**، ومعه حاشية ابن التمجيد، ضبطه وصححه وأخرج آياته عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.

ابن القيم، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت691هـ): **التفسير القيم**، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1988م.

ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت774هـ): **تفسير ابن كثير**، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الصفاء، القاهرة، ط1، 2002م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت450هـ): **النكت والعيون المسمى تفسير الماوردي**، راجعه وعلق عليه السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

المراغي، أحمد مصطفى: **تفسير المراغي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.

مقاتل، أبو الحسن بن سليمان بن بشير (ت150هـ): **تفسير مقاتل**، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م.

مغنية، محمد جواد: **التفسير الكاشف**، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1990م.

موسى، هارون: **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، دار البشير، عمان، ط1، 2002م.

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكه: **معارض التفكير ودقائق التدبر**، دار القلم، دمشق، ط1، 2000م.

: **قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل**، دار القلم، دمشق، ط2، 1989م.

النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود (ت701هـ): **تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، راجعه وضبطه وأشرف عليه إبراهيم محمود رمضان، دار القلم، بيروت، ط1، 1989م.

النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت468هـ): **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994م.

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت728هـ): **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ضبطه وأخرج آياته وأحاديثه زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996م.

الواحدي، أبو الحسن علي بن احمد ت 468هـ): **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق صفوت عدنان داوودي، دار الشامية، بيروت، ط1، 1995م.

الميداني، وآخرون: **تفسير البشائر وتنوير البصائر**، دار البشائر، دمشق، ط1، 1997م.

كتب الأحاديث والسيرة النبوية:

أحمد بن حنبل (ت241هـ): **المسند**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1999م.

البخاري: **شرح صحيح الأدب المفرد**، دار ابن حزم، ط1، 2003م.

البخاري، محمد بن اسماعيل بن المغيرة (ت256هـ): **صحيح البخاري**، مكتبة دار السلام، الرياض، ط3، 1999م.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (ت279هـ): **سنن الترمذي**، حكم على أحاديثه وآثاره وعلق عليه محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، د.ت.

ابن حبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت739هـ): **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1997م.

الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام (ت255هـ): **مسند الدارمي المعروف سنن الدارمي**، دار ابن حزم، د.ط، 2000م.

ابن رجب الحنبلي، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن أحمد (ت795هـ): **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ): **التوشيح شرح الجامع الصحيح**، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1998م.

العوايشة، حسين بن عودة: **شرح صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري**، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2003م.

مالك: **الموطأ**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ط، 1951م.

الندوي، أبو الحسن علي الحسن (ت420هـ): **السيرة النبوية**، دار القلم، دمشق، ط1، 2001م.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت303هـ): **السنن الكبرى**، إشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2001م.

النووي، محي الدين (ت678هـ): صحيح مسلم بشرح النووي المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار المؤيد، الرياض، ط2، 1995م.

النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت405هـ): المستدرک علی الصحیحین، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.

الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت807هـ): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1994م.

كتب اللغة:

إبراهيم، أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، القاهرة، ط1، د.ت.

الجرجاني، علي محمد السيد الشريف (ت816هـ): التعريفات، دار الرشاد، القاهرة، د.ط، د.ت.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت666هـ): مختار الصحاح، دار الجيل، بيروت، د.ط، 1987م.

الزبيدي، السيد محمد مرتضى (ت817هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1994م.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن علي (ت395هـ): معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.

الفاريابي، محمود بن أحمد (ت607هـ): تهذيب خالصة الحقائق ونصاب غاية الدقائق، دار ابن حزم، ط1، 2000م.

الفيروزآبادي (ت817هـ): القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني (ت1094هـ): **الكليات**، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، ط3، 1998م.

ابن اللباد، أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن علي بن محمد بن علي البغدادي (ت629هـ): **المجرد**، دار الفاروق الحديثة، القاهرة، ط1، 2002م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت711هـ): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط3، 1994م.

ابن الهائم، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد (ت798هـ): **التبيان في غريب القرآن**، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م.

هارون، نبيل عبد السلام: **المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم**، دار النشر للجامعات، ط1، 1997م

كتب الأعلام والتراجم:

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت630هـ): **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1997م.

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن مهران (ت430هـ): **معرفة الصحابة**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م.

أبو حجر، أمّنة إبراهيم: **موسوعة المدن والقرى الفلسطينية**، دار أسامة، عمان، ط1، 2003م.

ابن خليكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ): **وفيات الأعيان**، دار الثقافة، بيروت، د.ط، د.ت.

الزركلي، خير الدين محمود: **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط13، 1998م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ): سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1990م.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م.

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري، (ت748هـ): الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990م.

العسقلاني، ابن حجر (ت852هـ): الإصابة في تمييز الصحابة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م.

الصفدي، صلاح الدين خليل ابن ابيك (ت764هـ): الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م.

صلاواتي، ياسين: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، مؤسسة التاريخ الإسلامي، ط1، 2001م.

الوائلي، عبد الحكيم: موسوعة قبائل العرب، دار أسامة، الأردن، ط1، 2003م.

كتب فكرية وثقافية:

الأصفهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت430هـ): حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1996م.

أيوب، حسن: فقه العبادات بأدلتها في الإسلام، دار السلام، القاهرة، ط1، 2002م.

ابن تيمية: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993م.

الجزائري: الحج المبرور، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د. ط، 1979م.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح: لطائف قرآنية، دار القلم، دمشق، ط1، 1992م.

الخرندار، محمود محمد: هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً، دار طيبة، السعودية، ط4، 1999م.

الخطيب، محمد بن عبد الله: وقفة مع النفس البشرية، دار التوزيع، د.ط، 1998م.

الدوسري، محمود بن أحمد بن صالح: عظمة القرآن، دار ابن الجوزي، د.ط، د.ت.

الرضي، الشريف، محمد بن الحسين بن موسى (ت406هـ): نهج البلاغة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1988م.

زاده، خير الدين أبي البركات نعمان بن محمود بن عبد الله آلوسي (ت1317هـ): غالية المواعظ ومصباح المتعظ وقبس الواعظ، دار المعرفة، د.ط، د.ت.

الزحيلي: أخلاق المسلم وعلاقته بالمجتمع، دار الفكر المعاصر، بيروت، د.ط، د.ت.

الزقار، يحيى بن حمزة اليماني (ت749هـ): تصفية القلوب من أدران الأوزار والذنوب، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1991م.

الزهراني، ناصر بن مسفر: إبهاج الحاج، مكتبة العبيكان، الرياض، ط4، 2002م.

سالم، كمال بن السيد: صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة. المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ط، د.ت.

السيد، مجدي بن فتحي: زاد المؤمنين التقوى، دار البشير، القاهرة، د.ط، د.ت.

الشيخ، ربيع إبراهيم محمد: أخلاق الإسلام وأخلاق دعائه، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2001.

الصالح، محمد أديب: تفسير النصوص، المكتب الإسلامي، د.ط، د.ت.

: التقوى في هدي الكتاب والسنة وسير الصالحين، دار القلم، دمشق، ط1،

1996م.

الصلابي، علي محمد محمد: **فقه النصر التمكين في فقه القرآن الكريم**، دار الفجر للتراث، القاهرة، د.ط، 2003م.

أبو طاهر، اسماعيل بن موسى الجيطاني النفوسي (ت75هـ): **قناطر الخيرات**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م.

طهماز: **التوراة والإنجيل والقرآن في سورة آل عمران**، دار القلم، دمشق، ط1، 1990م.

عباس، فضل عباس: **أنوار المشكاة في أحكام الزكاة**، دار الفرقان، عمان، ط1، 1988م.

العفاني، سيد بن حسين: **رهبان الليل**، مكتبة معاذ بن جبل، بني سويف، ط1، 2002م.

العفيفي، طه عبد الله: **من وصايا الرسول - عليه الصلاة والسلام -**، دار التراث العربي، د.ط، د.ت.

عقلة، محمد: **أحكام الزكاة والصدقة**، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط1، 1982م.

العك، خالد عبد الرحمن: **تسهيل الوصول إلى معرفة أسباب النزول**، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1998م.

عكاش، عبد الكريم: **فقه الناشئ المسلم (الزكاة)**، دار المحبة، دمشق، ط1، د.ت.

العلي، إبراهيم محمد: **صحيح أسباب النزول**، دار القلم، دمشق، ط1، 2003م.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ): **إحياء علوم الدين**، دار الصابوني، د.ط، د.ت.

غنيم، هاني سعيد: **التقوى جنة وطريقك إلى الجنة**، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1، 2005م.

القرضاوي، يوسف: **العبادة في الإسلام**، مكتبة وهبة، ط10، 1985م.

كيف نتعامل مع القرآن العظيم، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م.

قرعوش، كايد وآخرون: **الأخلاق في الإسلام**، دار المناهج، عمان، ط4، 2004م.

- القرني، عائض بن عبد الله: **سياط القلوب**، دار ابن حزم، ط2، 2002م.
- القشيري، عبد الرحيم بن عبد الكريم (ت514هـ): **الرسالة القسيرية في علم التصوف**، دار الخير، بيروت، ط1، 1993م.
- كرزون، أنس أحمد: **صحابه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وجهودهم في تعليم القرآن الكريم والعناية به**، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2003م.
- كمال، يوسف: **الأساس الأخلاقي للأمة من سورة آل عمران**، دار التوزيع، ط1، 1998م.
- مبيض، محمد سعيد: **أخلاق المسلم وكيف نربي أبنائنا عليها**، مكتبة الغزالي، سوريا، ط1، 1991م.
- المحاسبي، أبو عبد الله الحارث بن أسد (ت243هـ): **التوبة**، دار الفضيلة، د.ط، د.ت.
- الرعاية لحقوق الله**، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- محمود، صفوت عبد الفتاح: **الخوف والرجاء**، دار ابن حزم، ط2، 2003م.
- محمود، علي عبد الحلیم: **العبادة أحكام وأسرار**، دار غريب، د.ط، 1998م.
- محمود، علي عبد الحلیم: **ركن الطاعة في فقه الإصطلاح والتجديد عند الإمام حسن البنا**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، د.ط، 1997م.
- المكي، أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر، محي الدين الطبري (ت694هـ): **القرى لقاصد أم القرى**، دار الفكر، القاهرة، ط2، 1970م.
- المودودي، أبو الأعلى (ت1979م): **المصطلحات الأربعة في القرآن**، دار التراث العربي، القاهرة، د.ط، د.ت.
- الميداني: **بصائر للمسلم المعاصر**، دار القلم، دمشق، ط2، 1988م.

مواقع انترنت:

<http://audio.islamweb.net/andio/index.php?page=full.conxent=122031>

<http://audio.net/show.php?sid>.

<http://sa3h.maktoobblog.com/?post=38911.9>

<http://www.daawa.info/does/sifet.mouttakin.doc>.

<http://www.odabasham.netLshow.bbp?sid>

www.gowran-way

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Piety in the Holy Koran

Prepared by
Nabil Muhammad Ahmad Zhoor

Supervised by
Dr. Muhsen El-Khaldi

***Submitted in Partial Fulfillment for the Requirements for the Degree of
Master in Usol Ad-Din, Faculty of Graduate Studies, at An-Najah
National University, Nablus, Palestine***

2008

Piety in the Holy Koran
Prepared by
Nabil Muhammad Ahmad Zhoor
Supervised by
Dr. Muhsen El-Khalidi

Abstract

I have made this research in an introduction and five chapters. In the first I come to acquainting of piety and its importance, and I showed the meaning of piety in the language and iction and demonstrated the nature of relation between them then illustrated the fact of piety and its status in the religion of Allah -The Most High God-. Then in the last chapter, I spoke about the synonymous words' for piety and what may be near to its meaning.

In the second chapter: I spoke about the virtues of piety and the pious, I showed that piety is a source of live hood and sins atonement and are a factor of victory and strength. I showed the standard of prefer ability among people, and does not occur but by piety, and its is the cause of rescue, cause of science, and it is an attribute of Allah's attributes –The Most High God-. Then I ended the chapter by showing the importance of the word "piety".

In the fourth chapter, I spoke about the qualities of the pious as the holy Koran illustrated. I illustrated their meanings. I adduced the explainers' sayings in this. I commenced the speech about patience as it is the greatest attribute of the attributes of the pious, then thank fullness and welfare on godliness and showed the quality of obedience, then illustrated the attribute of charity which no one reaches to but the pious, I also spoke about belief in divination, saying prayers, expenditure in the God's please,

then asking God's pardon as it is a motto of the pious. Then I ended the chapter in the attribute of devotion of God.

In the third chapter; I introduced the ways of reaching to piety which are: managing the Koran struggling of the self worships. I showed how piety will be in prayers, fasting, almsgiving pilgrimage. I spoke about the knowledge of Allah and observing the methods that approve piety.

In the five chapter: I ended in speaking about the result of piety and ascertained on the honorable valises that illustrate and assure that the good result is to the pious. Then I dealt the adjusted results on piety in the life as they are the great fruits that appear on individuals and then on the Moslem groups who endeavor to arbitrate the laws of Allah and foster his religion.

Then I ended the chapter by speaking about the results adjusted on piety on the Resurrection Day, and showed that the blasphemers, will not have a portion but only the pious as God granted them a portion in life and on the Resurrection Day and detailed in it according to what the status requires, hoping to be blessed in what I have presented.

God's Bless